

سلسلة
تراث الأجداد
٤

لخوري
يوسف العلم

أعاد نشره
الخوري بولس الفغالي



تيسير الوسائل في تفسير الرسائل

١

الرسائل البولسية الكبرى

في سلسلة «تراث الأجداد» نقدّم «تيسير الوسائل في تفسير الرسائل» تأليف الخوري يوسف العلم. قسّمناه قسمين: قسم أوّل عنوانه: «الرسائل البولسيّة (الكبرى)»، على أن يأتي القسم الثاني في جزء ثانٍ. فبعد مقدّمة مستفادّة حول اللغة السريانيّة والكتاب المقدّس وترجماته، ينتقل الكاتب إلى شرح رسالة رومة، رسالتي كورنثوس، رسالة غلاطية. الأسلوب هو هو، بعد تعريف بالرسالة في صفحة أو صفحتين ينتقل الخوري بولس إلى شرح النصّ آيةً آية: يقدّم الآية مترجمة عن السريانيّة، ثمّ يشرح استنادًا إلى الشراح الغربيين، في اللغة الفرنسيّة. شرح علمي، شرح روحي، شرح رعائي. ماذا ينتظر الكاهن أو المؤمن الذي يهتمّ معرفة إيمانه، أو الراهب والراهبة إلّا مثل هذه التفسيرات الغنيّة. ولا يحسبن أحد أنّ هذا الكتاب قديم، لأنّه يعود إلى سنة ١٨٧٣. أمّا أنا فقرأته أكثر من مرّة ووجدتُ فيه الغنى الكبير الذي يساعد على تقديم كلام الله إلى شعب الله في الألف الثالث.

Panarion

Tel : 01115050135

01001389 180.00



تيسير الوسائل في تفسير الرسائل جـ 1

رسالة القديس بولس
إلى أهل رومية

كلام في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية

هذه الرسالة مع أنها السادسة كما سبق، قد تصدرت في الكتاب المقدس على سائر الرسائل لوجهين: أولهما، تضمُّنها أخصَّ عقائد الديانة المسيحية كالإيمان والنعمة واستحقاق المسيح. ثانيهما، كونها أنفذت إلى رومية رأس العالم. وهي أكثر إبهاماً وإعجاباً لسببين: عام، وهو كتابتها في اليونانية بأحد الأقوال، مع أن أكثر عباراتها عبرانية لا بل سريانية، وخاص وهو أن الرسالة أوجز فيها واختصر، وأعرض عن غرضه دفعات، ثم عاد إليه عجباً، ودفع ما فُرض أن يردَّ عليه دون إيضاح، وأورد كثيراً من أقوال اليهود استطراداً. وُجِّهَتْ إلى المؤمنين في رومية الذين آمنوا بتبشير بطرس الرسول.

وأما الداعي إلى كتابتها فهو نزاع المؤمنين، من اليهود والشعوب. فإنَّ اليهود كانوا يخاصمون الشعوب ويحتقرونهم، كأنهم غير أهل للنعمة الإلهية، ويفتخرون بشريعة موسى ويرعون حرمتها، مدَّعين أنَّهم بها صاروا أهلاً لبشرى الإنجيل، وفضلوا الأمم، وبأنَّهم شعب الله الذي أعطاه شريعته وأرسل إليه أنبياءه، ووعد به بالمسيح ابنه. ولوفائهم واستقامتهم في عبادته، ولصلاح آبائهم، استحقُّوا البشارة الإنجيلية والإيمان اللذين مُنحا للشعوب تفضلاً وهبة.

وأما الشعوب الذين يدعوهم الرسول يونانيين، فكانوا يفتخرون بالفلسفة التي أزهرت بهم، والحكمة التي أشرقت فيهم، ومعرفة بعضهم الإله الحق، وفعالهم العجيبة التي أورثت ذريَّتهم وخلفاءهم الملك. ويعتذرون عن عبادة الوثن بالجهالة. ويصمون اليهود بعبادة الصنم وترك الإله الحق واضطهاد الأنبياء، وقتل ابن الله جوراً، إلى غير ذلك ممَّا صيَّره غير أهل لبشارة المسيح. فأراد الرسول

أن يصلح بينهم ويبطل تفاخرهم بهذه الرسالة، التي أوضح فيها إثم الشعوب في أنهم لم يسجدوا لله الذي عرفوه من خلائقه، وذنب اليهود بمخالفة ناموسه، وأنهم بأجمعهم غير مستوجبين الخلاص، ومحتاجون إلى النعمة الإلهية التي أعطوها مجاناً، لا لحفظ ناموس موسى والشرعة الطبيعية.

وقد كتبها (الرسالة) في اليوناني، لأنه أرسلها من بلاد اليونان إلى أهل رومية، الذين كانوا وقتئذٍ على الأكثر يُحسنون التكلم في اليونانية، ولأن الغرباء في رومية كانوا أعرف لليوناني من اللاتيني. وكان الرسول حينئذٍ في غنغرا أو مينا غنغرا القريبة من قورنثية سنة ٥٨، كما قال بارونيوس، وأرسلها مع فوبا التي كانت خادمة كنيسة غنغرا.

الفصل الأول

من الرسالة إلى رومية

يتضمن هذا الفصل تقريبه للإنجيل وشدة غيخته في نشره، وشوقه إلى الرومانيين وبيان ما كان من الشعوب من معرفة الله، واستبدال عبادته بالوثنية. وما رزقوا به لذلك، من تغاضي الله عنهم، وتوافقهم في أفضع القبائح.

عنوان الرسالة

١١ من بولس. تبع الرسول عادة زمانه في وضع اسمه صدر الكتاب. وفي اسميه شاول وبولس أقوال. قال أوريجانوس والقديس أنسلموس والقديس توما: إنه دُعي شاول وبولس في الختان. وقال فم الذهب: إن الله سمّاه بولس لما دعاه، كما سمّى سمعان بطرس. وقال القديس إيرونيموس وبارونيوس: إنه دُعي بولس من بولس سرجيوس الوالي الذي رده إلى إيمان المسيح في قبرص. ومذ انطلق مع برنابا يبشّر الشعوب، لم يُدع إلا بهذا الاسم ولا اختار سواه في كتبه. عبد يسوع المسيح. قال فم الذهب: عبوديتنا لله من وجوه كثيرة، كالخلق والفداء والإيمان والحياة وغيرها، وفيها كلّها الرسول عبدٌ ليسوع المسيح.

المدعو والرسول الذي أفرز لإنجيل الله. أشار إلى قوله تعالى عنه في أع ٩: ١٥ إنه إناء مختارٌ لي إلخ. وإلى قول الروح القدس عنه أيضاً في أع ١٣: «أفرزوا لي شاول...». وأوضح في هذه الكلمات التي افتتح بها خطابه، حقيقة ديانته وسمو درجته ودعوته، تنفيذاً لرسالته عند الرومانيين؛ وعلمنا واجبات الكاهن، في أن يكون مختاراً بدعوة الروح القدس، وعبدًا خاصًا ليسوع المسيح وكنيستته، ببذل حياته وأتعبه وكلّ ماله في خدمتهما. فلا يحقُّ إذاً لأحد أن

يتقدّم إلى الأسقفية أو الكهنوت، إلا عن دعوة إلهية. ومن أدلة دعوته، عبوديته للمسيح وكنيسته لا غير، وغاية دعوته بشرى الإنجيل.

٢. الذي وعد به قديماً بواسطة أنبيائه في الكتب المقدسة. أي الإنجيل الذي وعد به الله بالأنبياء في الكتب المقدسة، على أن هذه الكتب والسنة القديمة كأنها ما ترتبت إلا للدلالة على المسيح والإنجيل. ٣. عن ابنه الذي وُلد بالجسد. قوله عن ابنه، متعلّق بإنجيل الله، لما أن ابن الله موضوعه. أو بقوله وعد به لأن الكتاب المقدس الجديد يعلم أن المسيح وعد به الله الآب. من ذرية بيت داود. أي من مريم العذراء المولودة من ذرية داود.

٤. وعُرف بالقوة وبالروح القدس أنه ابن الله، ربنا يسوع المسيح الذي قام من بين الأموات. أي تبين كون المسيح ابن الله، بفعل العجائب وإعطائه الروح القدس ومغفرة الخطايا وقيامته الأموات بقيامته وبعث من أقامهم من الموت. قاله يوحنا فم الذهب وتاودوريطوس وتاوفيلكتوس.

٥. الذي نلنا به نعمة ورسالة بين جميع الشعوب، لكي يسمعوا إيمان اسمه. يعني أنه نال وظيفة الرسالة من يسوع المسيح، وأن الرسالة نعمة من نعم المسيح، غايتها تبشير الناس ووعظهم ليؤمنوا. قد نظر فم الذهب في قول الرسول لكي يسمعوا (أي يخضعوا ويدعنوا) إيمان اسمه، فقال إن بشارة الإنجيل هي للطاعة لا للمجادلة، ونحن مرسلون لبثها لا لبحثها، ولنشرها لا لإثبات سرها على أن ما قاله الله حقيقاً بالقبول والامتثال دون بحث وجدال.

٦. الذين أنتم أيضاً مدعوون فيما بينهم بيسوع المسيح. إذ دُعيتم عن نعمة منه إلى الإيمان.

٧. إلى جميع من في رومية من أحبّاء الله المدعوين والقديسين. قوله إلى جميع من في رومية متعلّق بمحذوف تقديره: هذه الرسالة من بولس إلى جميع من في رومية. وقوله القديسين بمعنى أنهم تقدّسوا بماء العماد، ودُعوا إلى الإيمان لتحصيل القداسة، على أن غاية الإيمان تقدّيس المؤمنين. السلام

معكم والنعمة من الله أبينا ومن ربنا يسوع المسيح. هذه تحية الرسول في رسائله. ويقول هذا برهن المفسرون الشرقيون وكيرلوس على لاهوت المسيح ومساواته للآب.

الشكر والصلاة

٨. فأولاً أشكر إلهي يسوع المسيح عن جميعكم. على النعم التي أعطاكموها بابنه يسوع المسيح وسيطنا، الذي به أوتينا الإيمان وسائر النعم. تأمل ما أحيل الرسول في استماله الرومانيين إلى طاعته واستماع كلامه، من هذه الآية إلى الآية السابعة عشرة. واعلم أن العبادة لله تكاد تنحصر في قبول نعم الله وشكره عليها. وأحسن الشكر لله الآب ما كان بابنه يسوع المسيح، إذ إننا به ولأجله نُعطى نعم الله. على أن إيمانكم ذاع في العالم كله. لأن الرومانيين كانوا قد آمنوا بالمسيح، فذاع إيمانهم وانتشر خبره في أصقاع الدنيا. ٩. ويشهد لي الله الذي أعبدته بالروح في إنجيل ابنه. أي بخلوص ضميري وروحي، لا بالقرابين الجسدية اليهودية، مبشراً بإنجيله ومعلماً به، لا بالعبادات الناموسية. على أنني لم أكف عن ذكركم في صلواتي في كل وقت.

١٠. وأتوسّل إن كان يُفتح لي تارة سبيل بمشيئة الله فأقدم إليكم. يعني أنّما يسأل في صلواته القدوم إليهم ليراهم، فعلم الرؤساء بمثاله الصلاة على رعاياهم والتوسّل إلى الله من أجلهم، وهدانا أحسن مناهج الصلاة، وهو طلب مشيئة الله ووكالة أمرنا إليه. ١١. لأنني تائق جداً إلى أن أراكم وأمنحكم عطية الروح لتثبتوا بها في إيمانكم. فما ارتياحي إليكم باطلاً وعن بغية دنيوية، لكن لتوطيدكم بالإيمان بهبة الروح القدس. ١٢. ونتعزّى جميعاً بإيمانكم وإيماني. قال تاودوريطوس: انظر إلى ضعة الرسول في خطابه، وقد علّم الرؤساء أن غاية تفقّدهم لرعاياهم، هي أن يمدّوهم بنعمة روحية، لا أن يتنزّهوا ويتلهّوا، على أن الزائر حاملٌ للنعم الإلهية، وموزع العطايا الروحية،

وحقّه تثبيت المؤمنين في الدين والبرّ. فمن ثمّ يتعزّى بإيمانهم الوطيد ويتعزّون بإيمانه المفيد.

١٣١. وأحبُّ أن تعلموا يا إخوتي، أني قد هويتُ مراراً كثيرة أن آتيكم فمُنعت إلى الآن، ليكون لي فيكم ثمرٌ كما في سائر الأمم. يعني أن الذي حبسه عن القدوم إليهم، هو أمر الإنجيل الأُلزم في تبشير الأمم، وأن الذي حمله على زيارتهم هو أن يسقي ما كان القديس بطرس الرسول قد زرعه فيهم من كلام الإنجيل. فيعود شريكاً له في ثمار إيمانهم، ويَجني منهم ثمرة الرسالة التي هي الإيمان والخلاص كما جناها من غيرهم. ١٤١. من اليونان والبرابرة والحكماء والجهال. أراد باليونان من كانوا متروّضين بفلسفة اليونان مثل الرومانيين. وبالبرابرة من كانوا غير متروّضين بها. والبرابرة عند اليونان من كانوا يجهلون اليونانية. ١٥١. لأنّه يجب عليّ أن أبشّر جميع الناس. قال فم الذهب: انظر إلى همّة الرسول ما أشدها، من حيث تعمّده أن يبشّر كلّ العالم وجميع الناس. فليتعلم الرعاة منه. وهكذا أجتهد أن أبشركم أنتم الذين في رومية.

موضوع الرسالة

١٦١. لأنني لا أستحي بالإنجيل. أي ولئن كان التبشير يسوع مصلوباً عاراً مهيناً، ورومية قصبة الدنيا العظمى، لا أخجلن فيها ببشرى المسيح، كما لم أخجل في أنطاكية وأثينا وأفسس وقورنتيه وغيرهنّ. لأنّه قوّة الله. أي إنَّ الإنجيل هو قوّة الله، باعتبار ما تضمّنه من تجسّد ابن الله وآلامه وموته وما أشبه، وبالنظر إلى ما يعملّه الله به من الخلاص في المؤمنين، إذ إنّهُ أخفى تحته قوّته وعمل الروح القدس في أمر الخلاص. حياة كلّ المؤمنين به، سواء كانوا من اليهود أو من اليونان. قدّم اليهود، لكونهم هم الذين وُعدوا بالمسيح، وعلى ذلك بشّرهم المسيح أولاً، وأرسل إليهم تلاميذه ورسله. والمراد باليونان هنا غير اليهود.

١٧١. لأنّه فيه أُعلنَ برُّ الله. أي البرّ الذي من الله، الذي يتبرّر به الإنسان قدام الله. وهذا البرّ أُعلن لنا في الإنجيل لما تضمّنه من تعليم المسيح وأسراره كما سبق. من إيمان. لا من الناموس والشرعية كما زعم اليهود، ولا من قوى الطبيعة كما وهم الشعوب. هذه خلاصة الرسول الأولى في رسالته، هذه التي أراد أن يثبت فيها أن الخلاص تقرّر لليهود والشعوب من بشرى الإنجيل والإيمان بالمسيح، لا من الشرعية والطبيعة، كما كانوا يزعمون. إلى إيمان. أي أن مبدأ البرّ إيمانٌ قاصر. وكما أنّه إيمانٌ قد تكمّل بالحبّة وباقي الأعمال الصالحة. فالبرّ ينشأ عن الإيمان، وبه يتقوّى ويزداد ويتكّمّل يوماً فيوماً، إلى أن يوصل صاحبه إلى الحياة الثابتة، وهذه هي قوّة الإنجيل كما مرّ، على ما قال تاوفيلكتوس وغيره. كما هو مكتوب. في حقوق ف٢. إنّ البارّ يحيى من الإيمان. حياة النعمة هنا وحياة المجد في السماء. وأمّا الإيمان الحيّ فهو ما كان حياً بالأعمال الصالحة، لأنّه بدونها ميت، فلا يستطيع أن يولي الحياة وهو ميتٌ لآليها بنفسه.

دينونة الله

١٨١. لأنّ غضب الله يُعلن من السماء على جميع إثم الناس ونفاقهم. هذه بيّنة ثانية على كون الإنجيل قوّة الله، من حيث إنذاره بغضب الله وعقوبته للذين لم يؤمنوا، وللخطاة والمنافقين. وهذا الغضب سوف يُعلن من السماء في يوم الدينونة. الذين يمسكون الحقّ في الظلم. حيث أخفّوا معرفة الله في خلائقهم، بأعمالهم الشريرة وسوء إرادتهم الخبيثة، فلم تظهر فيهم حقيقة علمه تعالى، ولا أعلنوها لغيرهم. والمراد بهؤلاء، اليونان وفلاسفتهم وقد استخلص إليهم الرسول مبيّناً لهم عن أن الحكمة البشرية قاصرة عن أن تورثهم الخلاص، وأنَّ الإنجيل هو الذي يقوم بذلك. ونحوهم وجه كلامه السابق، ونبّهنا نحن معشر المؤمنين إلى إظهار معرفة الله بأعمالنا الصالحة، لئلاّ يمسنّا من العذاب والغضب ما يمسنّ الذين أمسكوا الحقّ بالظلم.

١٩٢. لأنَّ معرفة الله. أي معرفة وجود الله ووحْدانيَّته وأزليَّته وخلْقَه للعالم وتدبيره له وروحانيَّته وما أشبه. ظاهرة فيهم. بذات العقل. فمنهم من قد عرف ذلك فيه تعالى. لأنَّ الله قد أظهرها فيهم. ما أوحى إليهم بعرفانه بإنارة الإيمان، بل كشف لهم عن نفسه بالعقل ونور الطبيعة، حيث أولاهم من معرفته ما يُتوصَّل إليه بذات العقل، بالاستدلال عليه تعالى من خلأته. ٢٠٠. أنَّ خفيَّات الله. أي صفاته الخفيَّة. منذ وضع العالم. أي مذك خلق العالم. استبانَت لخلأته بالتفكر. والتأمُّل في هذه الموجودات. فإنَّ صفاته غير المنظورة بعين الجسد، قد استبانَت لبصيرة الروح بخلأته المنظورة، على أنَّ العالم كتابُ اللاهوت الذي قرأه الفلاسفة، فكان لهم إنجيلاً، ومرآة الله التي ظهر بها، فنظروا صورته الجميلة، ونفَّيرُ أثنى عليه تعالى بما فيه من الترتيب والنظام، فعرفوه سبحانه أنَّه المنشئ لهذه الكائنات. وقدرته وألوهيَّته الأبديَّة. أي الدائمة. وإنَّما ذكر الرسول هذه الصفات لكونها أكثر إشاراً وظهوراً. حتَّى لا يكون لهم عذر، يوم الدين في شرِّهم وكفرهم.

٢١١. لأنَّهم عرفوا الله ولم يسبِّحوه ولا شكروه كأنَّه الله. هذا أوَّل إثم في كفرهم. ولكن تعطلوا في أفكارهم. ولم يُقدِّم شيئاً تقصِّيهم في علم الله والاستدلال عليه، لأنَّهم رغبوا عن عبادته في الوثنيَّة. وأظلم قلبهم الغيبي، بتركهم الحكمة الصادقة. ٢٢١. وحين ظنُّوا نفوسهم حكماء جهلوا. وبلغوا من الجهل أقصى مبلغ، لكفرهم بالله واستكبارهم في حكمتهم الكاذبة. هذا هو إثمهم الثاني. ٢٣١. واستبدلوا مجد الله، الذي لا يناله فساد، بشبه صورة الإنسان الفاسد. وهذا إثمهم الثالث الذي أوصلهم إليه قلبهم الغيبي، وهو الوثنيَّة، ولم يتعبَّدوا فيها للإنسان فقط بل وللبهائم أيضاً. وبشبه الطير وذوات الأربع ودبَّابات الأرض. واحترموا صورها وعبدوها كأنَّها الله.

٢٤١. فلذلك أسلمهم الله، جزاء لهم بما صنعوا. إلى شهوات قلوبهم الدنسة المهينة الذميمة. ما حملهم إليها، ولا أكرههم إلى ركوبها، بل تغاضى عنهم ينقادون إليها وينغلبون لها، وتساهل في تجارب الأبالسة تتقوى عليهم، ولم

يملِّهم بنعمة خاصَّة، معرضاً عنهم لإِعراضهم عنه وتعبُّدِهم للأوثان، فراحوا يتواقعون في كلِّ خطيئة وإثم. كي يفضحوا بها أجسادهم. لما بهذه الشهوات من معنى العار والهوان. ٢٥١. وبدلوا حقَّ الله بالكذب. حيث قضوا ما يحقُّ لله من العبادة والخافة والمجد والكرامة، للصنم الكاذب والخلأق الباطلة. وعبدووا المخلوقات واتَّقوها أكثر من الخالق. قوله هذا ليس من نوع التفضيل، كأنَّهم عبدوا الخالق بعض العبادة وزادوا في عبادة المخلوقات، بل هو من نوع المبالغة في بيان كفرهم بالله وشدَّة تعلُّقهم بالمخلوقات. يريد أنَّهم عبدوا المخلوقات دون الخالق. الذي له التساييح والبركات إلى أبد الأبد.

٢٦١. فلأجل ذلك أسلمهم الله إلى الأدواء الفاضحة، فغيَّر إنانهم الاستعمال الطبيعي. أي الاستعمال الجائر لهنَّ من الزواج والمتنَّع. بما ليس من طبعهنَّ. أي باستعمال منكر. ٢٧١. وهكذا فعل ذكورهم أيضاً. فإنَّهم تركوا التمتُّع بما جُعِلَ لهم من طبع الإناث، وهاجوا بعضهم على بعض بالشهوة، ففعل الذكر بالذكر فضيحة، فنالوا في نفوسهم الجزاء الذي يحقُّ لضلالتهم. يريد أنَّهم جُوزوا على تشويشهم في عبادة الله، إذ صرفوها إلى المخلوقات بتشويش نظام الطبع من حيث المضاجعة، فافتضحوا بأنفسهم على ما قال أنسلموس.

٢٨١. وبما أنَّهم لم يحكموا بنفوسهم أن يعرفوا الله، أسلمهم الله إلى فهم الباطل ليعملوا ما لا ينبغي، أي ما لا يليق بالإنسان. يريد أنَّ فهمهم تشوَّش في تمييز الخير من الشرِّ، لرفضهم معرفة الله وعبادته، فكان ما رزقوا به من الفساد شاملاً لقلوبهم وضميرهم وجسدهم وغيرهم وللطبيعة نفسها. قال القديس غريغوريوس: مَنْ أخطأوا في معرفة الله، حقَّ أن يغشاهم الغرر والخطأ في أفعالهم، ومن لم يقوا نفوسهم الضلال فقد عرَّضوها للباطل والشرِّ. ٢٩١. إذ هم ممتلئون من كلِّ إثم وزنا ومرارة وسوء وظلم وحسد وقتل وخصام وغش وأفكار شرِّيرة وتذمُّر ونجاسة. ٣٠١. مبغضون لله. لما يتوقَّعون منه من العذاب جزاء آثامهم. شتَّامون متكبرون مفتخرون مخترعون شرورٍ

ناقصو الرأي غير مطيعين لآبائهم. ٣١آ. ليس لهم عهد. أي ما عندهم حفظ للعهد. ولا عندهم ود ولا مسالمة ولا رحمة. ٣٢آ. الذين مع معرفتهم حكم الله أنه يقضي بالموت على الذين يفعلون مثل هذه، لا يفعلونها هم فقط بل يخالطون الذين يفعلونها أيضًا. إذ يوافقونهم فيها، ويحلون لهم ما لا يحل.

اعلم أن جميع الفواحش والمساوئ تقوّت وتكاثرت في ذلك العهد، وبالخصوص في رومية، في زمان طيباريوس وقلوديوس ونيرون. وبأحد الأقوال إن هذه الرسالة كُتبت في السنة الأولى من ملك نيرون، وقد عدّد الرسول فيها ما عدّد من المنكرات والقبايح في الفلاسفة والشعوب، لتعلم أن هذه تغلبت فيهم لتغاضي الله تعالى عنهم. على أنه لا شيء أكثر إضرارًا بالإنسان من تباعد الله عنه، وأكبر آفة عليه تسليمه إلى نفسه ودفعه ليد شهواته. فإنه ينقلب متوقعًا في فاحشة ففاحشة، ومتهافتًا من شرٍّ إلى شرٍّ، إلى أن يبلغ وهدة الشرور، جهنم، وشرّ الوهاد. واعلم، صانك الله، أن ما أصاب الفلاسفة من المضمرات والشرور، لابتعادهم عن الله والتصاقهم بالأوثان ولسوء أعمالهم وفساد معرفتهم، لا يبعد أن يصيب المؤمنين إذا جروا مجراهم.

الفصل الثاني

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن ملامة الرسول للذين يدينون من ذكرهم في الفصل السابق، على ما هم أنفسهم يفعلونه. وإن الديان سوف يدين اليونانيين من ناموس الطبيعة، ويدين اليهود من ناموس موسى دينونة أشد. وإن حقيقة اليهودية تقوم بالروح والقلب، لا بالبشرة والظاهر.

الغضب الآتي

١آ. من أجل ذلك، لا عذر لك أيها الإنسان الذي يدين رفيقه. طالما اختلفوا في المخاطب هنا، بين أن يكون من اليهود أو الشعوب. وعند أغوستينوس والمفسرين اللاتينيين، أن الكلام موجه إلى اليهود، الذين كانوا يتعاضمون على الشعوب، معجبين بأنفسهم، ويدينونهم على معاصيهم كما مرّ بك في الفصل السابق. ومعناه، وإن يكن الفلاسفة فعلوا ما فعلوا من الفواحش والمنكرات، إلا أنك قد أخطأت، أيها اليهودي، في القضاء عليهم، فكان قضاؤك على نفسك، لأنك جنيت ما جنوا، ولم تعذر في ذلك جهالة، كما لم يُعذر الفلاسفة في كفرهم. فعلى ذلك لا عذر لك في دينوتهم وذنبك. لأنك بما تدين أخاك تشجب نفسك، لأنك أنت أيها الدائن تفعل ذلك. فحكمك على رفيقك حكمٌ على نفسك، لتساويكما في الذنب وعدم الجهالة، ومثلك كل من يعلم ما لا يعمل، ويكره في غيره ما هو في نفسه.

٢آ. ونحن نعلم أن حكم الله بالحق على الذين يتصرفون بهذه. أي ونحن الناس طرًا من يهود وشعوب، نعرف من العقل والناموس أن الله كليّ العدالة،

لا بل هو العدل. فدينونته لمثل المذكورين قبلاً تكون بالحقّ دون محاباة. وما أخوف دينونته: قال داود: «لا تدخل يا ربّ الحكم مع عبدك لأنّه لا يتبرّر قدامك إنسان» (ف ١٤٣: ٢). ومع ذلك، قد مات خوف الناس من دينونة الله في حياة كثيرين، وحيي في مماتهم. فأحيه، يا أخا النصيح، في حياتك لتنجو من بأسه في وفاتك. آ٣. أترأك أيّها الإنسان الذي تدين من يفعل ذلك وأنت تفعله، تفلت من دينونة الله. وها إنك قد أظهرت عن نفسك في حكمك هذا، أنك عارف ذلك وأنت لا تخطئ عن جهل كأكثر الشعوب، لكن عن معرفة ويقين. إعلم أن حكم البشر يبطل عن ثلاث: جهالة ومعجزة ورشوة. وأمّا حكم الله فلا شيء من ذلك فيه.

آ٤. أو تجاسر على غنى سهولته وأناة روحه وعلى الإمهال التي أعطاكه. إذ تنتظر منه تعالى أن لا يؤاخذك بذنوبك وأنت مصرّ وزائد فيها. يريد أن الله يُحسن إلى الخاطئ ويرفق به ويؤجل عقوبته. فإذا هو تأخّر في الرجوع إليه تعالى، أوضح عن نفسه أنّه غير معتبر لصنع الله إليه. أما تعلم أن سهولة الله إنما هي لتقبل بك إلى التوبة؟ آ٥. ولكنك بقساوة قلبك الغير التائب تدّخر لك ذخيرة الغضب ليوم الغضب ولظهور حكم الله العادل. أي بعدم توبتك واستمالة قلبك إلى تلبية دعوة الله، تجمع وتحزرنفسك عذاباً ليوم السخط والدينونة، إذ يُنزل الله شدّة بأسه وغضبه بمثلك من الخطاة المصّرّين والكافرين الظالمين. قال أوريغانوس: إن قساوة القلب منشأها تعود الإثم، ونتيجتها تصلّب القلب حتّى يعود غير محل لتأثير صورة الله فيه، كالشمعة. فإنها بشدّة البرد تصير غير محل للتأثر. واعلم أن يوم الدينونة يدعى تارة يوم الغضب من حيث انقطاع الرحمة فيه، وتارة يوم الظهور لاعتلان الخفايا فيه، وحينئذ يدعى يوم الدين العادل، لأن الله فيه يجزي كلّاً بفعله، بالعدل دون محاباة. فمن احتقر رحمة الله في حياته، كلّف نفسه لعذاب الرحمة والعدل في وفاته. ومثل الله في إمهال الخاطئ، مثل رامى قوسٍ أطال في شدّة أوتارها لنجاة المسترمي. فإذا أبى هذا النجاة رماه، وكانت الرمية أشدّ وأقوى.

آ٦. الذي يجازي كلّ إنسان حسب أعماله. فإذا كانت أعماله صالحة، يجازيه بخير وثواب. وإن كانت شريرة، فبشرّ وعقاب، ولكلّ مرة ما فعل. والإنسان يُعطى من ذخائر نفسه، وهذا هو القضاء العادل، إذ إنه ما من شيء يُترك قدام الله. والآية نصّ صريح في إثبات لزوم الأعمال الصالحة للخلاص. وإن سألت: هل يجزي الله الإنسان بكلّ الخير الذي فعله وبكلّ الشرّ الذي عمله؟ أجبت: بأنّه يجزيه بكلّ الخير الذي لا يكون قد أمّأته، وبكلّ الشرّ الذي لا يكون قد غفر له، على أن حكم ما أميت من الخير وما ترك من الشرّ كحكم ما لم يكن. ومن هنا يندفع ما قاله كلوينوس من أن الأعمال الصالحة ليس لها استحقاق مع أن المجازاة والاستحقاق من المتلازمات. فإن كانت الحياة السعيدة جزاء الأعمال الصالحة، فيلزم منه أن الأعمال الصالحة هي استحقاق الحياة السعيدة. وأمّا اعتراض كلوينوس بأن الأعمال الصالحة ليس بينها وبين الحياة السعيدة السماوية موازنة، فدفعه بأن الأعمال تعادل الحياة السموية، باعتبار كونها ناشئة عن نعمة المسيح، لا من حيث هي أعمال الإنسان، لأن النعمة بذار المجد وذلك من طبعها ومن ترتيب الله وموعده. وإن كانت الأعمال الشريرة تستحق الموت الأبدي فالأعمال الصالحة تستحق الحياة الأبدية. وهذا ينجلي ممّا يلي.

آ٧. فالذين بالصبر على الأعمال الصالحة يطلبون المدحة والكرامة وعدم الفساد، فإنّه يؤتيهم حياة الأبد. هذا تفصيل لقوله عن جزاء الله بحسب الأعمال، ومعناه أن حسن الجزاء يكون للذين يثبتون في عمل الصالحات إلى الآخرة. آ٨. أمّا الذين يعصون ولا يطيعون الحقّ بل يبتغون الإثم، فإنّه يجازيهم غضباً وسخطاً. أي وأمّا الذين لا يطيعون بشارة الإنجيل ولا يعملون ما يأمر الله به أن يعمل، بل يميلون إلى الإثم والتعاليم الباطلة، فإن الله يجازيهم من العذاب ما يجزي عن غضب وسخط، أي يذيقهم عذاباً أليماً. آ٩. والبلاء والضيق لكلّ إنسان يعمل السيئات، من اليهود أولاً ثمّ اليونانيّين. أي يجزي الله بالبلاء والسخط كلّ من يعمل السيئات، سواء كان من اليهود أو من الشعوب غير اليهود. وقدّم اليهود على الشعوب، لأنهم فاقوا في نيل نعم الله، وتساموا في علمه تعالى وعرفانه.

١٠٢. والمجد والكرامة والسلام لكل من يعمل الصالحات، من اليهود أولاً ثم اليونانيين. قدّم اليهود أيضاً في ذكر حسن الجزاء، إزالة لما مسّهم من الهوان في ذكر شرّ الجزاء. وأراد باليونانيين هنا من كانوا من الشعوب عبدة لله ممثلين لشريعته المطبوعة فوق قلوبهم، مثل أيّوب وأهل نينوى كما قال الذهبي وغيره. وعنى بالصالحات هنا، ما يجعلنا منها أبراراً خيّرين لدى الله. قال أغوستينوس: وبدون الإيمان لا صلاح ولا خير يورث المجد والحياة السعيدة التي عليها كلام الرسول هنا. ومن البين أنّه لا يمكن لأحد أن يعمل مثل هذا الخير بدون الإيمان. وأمّا الغير المؤمن، وإن عمل من الخير شيئاً، فعمله هذا قاصر عن أن يورثه المجد والكرامة والسلام لدى الله الديان.

١١٢. لأنّ ليس عند الله أخذ بالوجوه. يعني أنّ الله لا ينظر في جزائه الناس إلى وجوههم، أيهود هم أم شعوب، أموسرون أم معسرون، بل إلى أعمالهم، فيأخذ بقلب الإنسان لا بوجهه، ويعتبر محبته دون مرتبته، ويجزي كلاً بأعماله دون محابة. ١١٢. إنّ الذين أخطأوا بلا ناموس منزل، وهم ذوو الناموس الطبيعيّ الذين لم ينزل عليهم ناموس مكتوب كاليهود. بلا ناموس أيضاً يهلكون. أي يُحكّم عليهم بالهلاك، من ناموسهم الطبيعيّ الذي تعدّوه وخرقوه، لا من الناموس المكتوب لأنّهم لم يعرفوه فخالقوه. والذين أخطأوا بالناموس، فمن الناموس يدانون. وهم بالخصوص اليهود، الذين أتاهاهم موسى بناموس من لدن الله، فدينونتهم تكون بحسب هذا الناموس. وبذلك برهن الرسول على عدم محابة الله في حكمه، وأبان أن ليس إنسان بدون شريعة مكتوبة أو مفطورة في الطبع. فإن كانت الشريعة الطبيعية كفوءاً لدينوتنا، فما ترى يحلّ بنا من الشريعة الإنجيليّة؟

١١٣. لأنّه ليس الذين يسمعون الناموس أبراراً أمام الله. هذا تقرير لكون دينونة اليهود من ناموسهم، وإثبات لكون معرفة الناموس لا تقوم وحدها بالتبرير، بل يستلزم معها حفظ الناموس والأعمال الصالحة. ومنه يتبيّن أنّ الإيمان وحده لا يبرّرنا قدام الله، إذ الكلام هنا مع اليهود وهم كانوا مؤمنين

بالله ومصدّقين بناموسه. بل العاملون بالناموس يتبرّرون. أراد بالعمل بالناموس ما كان عن إيمان المسيح ونعمته، لأنّه يتكلّم على حفظ الناموس برمته، وعلى الأعمال الصالحة حقاً المقبولة لدى الله المستوجبة حياة الأبد. وهذه الأعمال لا تقوم بذلك، إلّا إذا كانت عن الإيمان. وببأنّه أنّ الرسول قصد أن يبرهن على أنّ معرفة الشريعة فقط لا تكفي في تحصيل البرّ كما مرّ.

١١٤. فإن كان الأمم الذين لا سنّة لهم مكتوبة، وفيه يبرهن على أنّ للشعوب ناموساً وقوة على الخير والصلاح، كما سبق في الآية العاشرة. يعملون من طبعهم بما في السنّة. لم يقل يتممون السنّة كلّها، بل يعملون بما فيها، أي بما هو منها يسير مستهل. فأولئك إذ لم يكن لهم ناموس مكتوب، صاروا ناموساً لأنفسهم، بما قرأوا في ضمائرهم وأنفسهم من الناموس الطبيعيّ، وظهر ذلك منهم بأعمالهم كما يجيء. اعلم أنّ الرسول نفى عن الشعوب هنا الشريعة المكتوبة، لا النعمة، وأراد بعملهم بالناموس ما هو بدون الناموس المكتوب. فيكون معنى كلامه، أنّ الأمم باختيار إرادتهم، يعملون بالناموس وهم بغير ناموس مكتوب، لكن بمعونة النعمة يعملون ذلك. تقول مع أغوستينوس: إنّ الرسول قال أنّاً إنّ العاملين بالناموس يتبرّرون. والحال أنّ الأمم بلا إيمان لا يمكن تبريرهم. فإذا يريد بهم الأمم المرتدّين إلى الإيمان لا غير المؤمنين. أجبنا نعم. إنّ العاملين بالناموس كلّهم يتبرّرون، وأمّا الأمم، وإن عملوا شيئاً من هيئات الناموس كإكرام الوالدين وإعطاء الصدقة واجتناب السرقة والقتل، إلّا أنّهم قاصرون عن إتمام كلّ الناموس بدون الإيمان والنعمة. على أنّ ما هو فوق الطبيعة من الفضائل كالإيمان والرجاء والمحبة ممّا يورث المجد، غير مقدور إتمامه بمجرد قوى الطبيعة. فمن ثمّ يكون قول الرسول العاملون بالناموس يتبرّرون بمعنى كلّ الناموس. وقوله يعملون من طبعهم بما في الناموس أي بعض الناموس ممّا هان منه. ١١٥.

وهم يُظهرون أعمال الناموس مكتوباً على قلوبهم. إذ يعملون بما في الناموس، مع أنّهم لم يؤثروا ناموساً مكتوباً، وهذا دليل على أنّهم صاروا ناموساً

لأنفسهم. وتشهد لهم نيتهم، إذ ضمائرهم تؤنب أو تحتج فيما بينهم. أي إن ضمائرهم تشهد لهم على ما يفعلونه. وعند التفكير في أعمالهم، تؤنبهم على ما فعلوه من الشر، وتمدحهم على ما صنعوه من الخير. فإن الله سبحانه نصب في قلب الإنسان ديواناً، وجعل فيه العقل قاضياً والضمير مدعيًا والفكر شاهداً، وكتب بإصبعه العزيزة شريعته على صفائح قلبه. ١٦٦. في اليوم الذي يدين الله فيه خفايا الناس، حسب إنجيلي يسوع المسيح. أي إن ما يجرى من الضمائر في الأفعال، من ذمها ومدحها كما سبق، وإن يكن حاصلاً الآن، إلا أنه سوف يظهر في يوم الدينونة الذي فيه يدين الله الناس، لا على أعمالهم الظاهرة فقط، بل على الخفية أيضاً، حسب ما أنا أعلم وأنذر عن يوم الدينونة متفهماً من يسوع المسيح. وقوله إنجيلي يعني تعليمه الإنجيلي الذي تعلمه بوحى المسيح كما في رسالة غلا ١. وأعلم أن حكم الضمير ضابط لحكم الله، الذي سوف يقرأ كتاب ضمائرنا ويحكمنا منه.

كلام إلى اليهودي

١٧٦. فإن كنت أنت المسمى يهودياً. بعد ما شجب الأمم من الناموس الطبيعي، التفت هنا إلى اليهود بشجبهم من ناموسهم بسبيين: أولهما، معرفتهم الناموس. وثانيهما، مخالفتهم له. وقد قرظهم بما كانوا يقرظون به أنفسهم، تبليغاً لخزيهم وشجبهم. اعلم أن الإسرائيليين، عقيب رجوعهم من سبي بابل في زمان عزرا، دعوا يهوداً من سبط يهودا، وكانوا يفتخرون بهذا الاسم، لأن معناه الديانة الصحيحة، وهي ديانة الإله الواحد. المتكل على الناموس. أي عارف الناموس ومستوثق في معرفته ومعجب به. والمفتخر بالله. لكونه الإله الحق وربك العزيز الذي اختارك لعبادته من بين الشعوب. ١٨٠. وإنك تعرف مرضاته. من شريعته وأنبيائه، لا من نفسك فقط. وتميز الواجبات التي تعلمتها من الناموس. أي تعرف من الشريعة ما هو خير وما هو شر، وما يلزمك فعله وما يجب عليك الامتناع عنه.

١٩٦. فقد وثقت من نفسك أنك قائد العميان وضياء الذين هم في الظلام. ٢٠٠. ومؤدب الناقصي الرأي ومعلم الأطفال. أي ظننت نفسك أنك فقهت الناموس، حتى صرت أهلاً للتعليم. وعنى الرسول بقوله هذا الكتبة والفريسيين بالخصوص، لأنهم كانوا يدعون معرفة الناموس ويفتخرون بعلمهم، محتقرين للغير ولاسيما الأمم، وكانوا يعدونهم عمياناً وصيياًناً. ولك شبه العلم والحق في الناموس. أي أوصلك ظنك إلى أن تعد نفسك أنك بلغت من علم السنّة مبلغاً كبيراً، حتى عدت تجعل ضوابط وقواعد للغير ليتهدّبوا بها. ٢١٦. فأنت الذي تعلم الآخرين أفلا تعلم نفسك؟ أنت تنادي بالآسرقوا وأنت تسرق. ٢٢٠. وتأمراً ألا يفسقوا وأنت تفسق. وأنت الذي تحتقر الأوثان أنتهب بيت المقدس؟ أي تكره الوثنية وتمقتها، ومع ذلك تخطئ في عبادة الله وتهينه تعالى، وذلك إمّا بعدم مبالاةك بما لله، أو بسلبك الأواني المقدسة، أو بعدم تكميلك لما يأمر به الناموس من القرايين والذبايح وما أشبه. فإن عبادة الوثن لا تكاد تفترق عن إهانة الله فرقاً كبيراً.

٢٣٠. وأنت الذي تفتخر بالناموس تشتم الله بتعديك الناموس. إذ إن مخالفة الشريعة احتقاراً للمشرع. فإن اسم الله يجدف عليه من أجلكم بين الأمم. أي بسبب مخالفاتكم للناموس الذي أنزله الله عليكم، يتناول الأمم على الله ويقدحون به، كأنه راضٍ عما تقتربون من الشرور، وأنه يكرهه لكنه غير قادر على مقاصتكم وكأن ناموسه يتيح ذلك. ما قاله الرسول هنا في اليهود صريحاً، قاله في المسيحيين حكماً. فإن سيرة المسيحي البارّة مديحٌ لله غير منقطع، وسيرته الشريرة تجديف عليه تقدّس اسمه. كما هو مكتوب، في إش ٥٨: ٥ حيث وردت الآية المذكورة، ومثلها ورد في حز ٣٦: ٢٠.

٢٥٠. إنما الختان ينفع إذا كملت الناموس. الكلام هنا على الختان، من حيث ما كان عليه قبل المسيح، وبحسب زعم اليهود فيه. وهذا دفعٌ من الرسول لما فرض أن يعارضه به اليهود على قوله السابق، أي لا بأس عليهم بما قاله الرسول آنفاً، إذ إن لهم الختان من الله علامة لعهد لهم، يفصلون به من

الشعوب، فردّهم الرسول بأنّ الختان لا يغني عنهم شيئاً بدون حفظ الناموس، كما قال الرسول في غلا ٥. وهو بنفسه لا يولي البرّ (على الأقلّ للمدركين)، بل يسمّ صاحبه أنّه من شعب الله. فإنّ أنت تعدّيت الناموس صارت ختانك غرلة. أي صرت كأنك من الشعوب، أغلف غير مختون، لخلوك من الختانة الروحية المعتبرة لدى الله أكثر من الختانة الجسدية.

قال تاوفيلكتوس: إنّ الرسول يخفض هنا إعجاب اليهود بالختان. قال الذهبيّ وعنّى بقوله التالي: شريعتين طبيعيتين ومكتوبة، وختانتين جسديّة وروحيّة، وغرلتين غرلة في الطبيعة وأخرى في الإرادة. فتأمّل ليتسهّل لك فهم ما يلي. ٢٦. وإذا كانت الغرلة. أي ذو الغرلة. حافظة وصيّة الناموس، أفلا تعدّ الغرلة ختاناً لدى الله؟ أي إنّ حفظ الشريعة أنفع لليهود الغلف من اليهود المختونين المخالفين للناموس، لأنّه كما قال تاوفيلكتوس: إنّ الختان الصحيح الحقيقي ما كان في نبد الخطيّة وقطع الإثم، لا بجراحة الجسد وقطع اللحم. ٢٧. فالغرلة. أي ذو الغرلة. التي من طبعها مكّمة للناموس، تقضي عليك أنت الذي تعدّ الناموس بالكتاب والختانة. أي إنّ الأمميّ الأغلف العامل بما في الشريعة الطبيعية يدينك، بأعماله، أيّها اليهوديّ المختون المتجاوز الناموس، ولو كنت من ذوي الشريعة المكتوبة والختان. ومن هذا القبيل قول الربّ في مت ١٢: رجال نينوى يقومون للدينونة إلخ.

٢٨. لأنّه ليس اليهوديّ من ظهر يهوديّاً. أي ليس كلّ من تهوّد ودعاه الناس من اليهود يهوديّ لدى الله، ومُرض له ومن شعبه. ولا الختان ما ظهر ختاناً باللحم. أي ليس الختان الحقيقي المرضيّ لله ما كان ظاهراً في البشرة. ٢٩. بل إنّما اليهوديّ الذي هو بالسرّ. أي باطناً في القلب والروح، ويحفظ الوصايا وامثالها حقّ الامثال، أو أنّ اليهوديّ إنّما هو من كان ذا إيمان وفضائل حقيقة. والختان هو ختان القلب. يريد أنّ حقيقة الختان المرضيّ لله، إنّما تقوم بقطع القلب عن الإثم والشهوات. بالروح لا بالكتاب. يعني أنّ ختان القلب المذكور، إنّما يتقوّم بروح القدس، لا بناموس موسى والجسد، أو أنّه ما كان

بموافقة معنى الكتاب ومغزاه، لا بحسب حرفيّة الناموس وظاهره. الذي. أي الختان الذي. مدحته الحقيقة المفيدة ليست من الناس بل من الله. يعني أنّ الختان الروحيّ له المدح عند الله، الذي ينظر إلى القلب والروح، لا عند الناس الذين لا ينظرون إلّا إلى الظاهر.

الفصل الثالث

من الرسالة إلى رومية

يتضمن كون اليهود أفضل من الشعوب من وجه المواعيد الإلهية، وإن هذه المواعيد لا تُردّ بإنتم بعض اليهود، وإنّ كلّاً من اليهود والشعوب تحت الخطيئة التي لا ينجيهم منها إلا إيمان المسيح.

أما يكون الله عادلاً؟

١١. فما هو فضل اليهوديّ الآن. أي إن كان الأمر كما قلت في الفصل السابق، من أن اليهوديّ إنّما هو من كان بالسّرّ يهوديّاً، وأنّ الختان ما كان بالقلب لا باللحم، وأنّ الله يجازي الأُمّيّ واليهوديّ إذا حفظا الناموس مجازاة متشابهة، فما هو إذاً فضل اليهوديّ وما هي خصيصته دون غيره من الشعوب؟ وما هي منفعة الختان لليهوديّ، إذا كان الأُمّيّ المختون بروحه أفضل منه؟ ٢١. ذلك عظيم في كلّ شيء. أي أن اليهوديّ أفضل من الأُمّيّ في كلّ شيء ومن كلّ وجه. فأوّلًا لأنّ كلام الله مصدّق. أي وأفضليّة اليهوديّ هي بالخصوص، من حيث إنّ أقوال الله أوّتمن عليها اليهوديّ دون الأُمّيّ. فإنّ الله أنزل أقواله الصادقة المتضمنة مواعيده وعهوده على اليهوديّ، ففضّلوا بها الأمم وفاقوهم شرفاً، ولم يذكر الرسول هنا سوى وجه واحد، بياناً لكون اليهود أفضل من الشعوب. وفي الفصل التاسع يأتي بباقي الوجوه، حيث يقول إنهم بنو إسرائيل ولهم كانت ذخيرة البنين ومجد العهد، والناموس والخدمة التي به، والمواعيد والآباء ومنهم ظهر المسيح في الجسد إلخ، وكلامه هذا على اليهود والشعوب فأفهمه عن الزمان السابق مجيء المسيح، إذ في زمان المسيح صاروا جميعهم إسوة، كما قال بولس في ف ٣ من رسالته الغلاطيّة.

٣١. **فإن كان بعضهم لم يؤمنوا، أترى لأنهم لم يؤمنوا أبطلوا صدق الله؟** حاشا. أي وإن قيل: ما انتفاع اليهود من تنزيل أقوال الله عليهم وهم لم يؤمنوا بابنه ولا صدّقوا بشارته؟ فأجيب: أن عدم إيمانهم وتصديقهم، لم يجعل الله سبحانه غير صادق في ما قال، ولا أخلف مواعيده من جرّاء ذلك، بل قد أنجزها بإرسال ابنه من نسل إبراهيم إلخ. وأمّا جواب الرسول على قوله السابق: وما هي منفعة الختان، فسيأتي في الفصل الرابع. ٤٤. **لأنّ الله صادق وكلّ إنسان كاذب.** يعني أن الله صادق في كلّ أقواله، ووفّي في جميع مواعيده، لا يسعه الكذب والإخلاف، لأنّه من ذاته ذات الحقّ والصدق. وأمّا الإنسان فهو لقصر عقله وتقلّب إرادته وفساد طبيعته، محلّ للكذب ومتعرّض للغلط أحياناً. كما هو مكتوب. في المزمور الخمسين لتكون باراً في كلامك وتغلب إذا دانوك. قال المرتّل يستغفر إلى الله عن ذنوبه: ارحمني يا الله كعظيم رحمتك. إلى أن قال: لكيما تصدق في أقوالك إلخ، أي لتظهر في عفوك عني ومغفرتك لي صادقاً بما قلته لي، ووفياً بما وعدتني من تقرير ملكي وظهور مسيحك من ذريّتي، ولا تصدّك آثامي عن إنجاز مواعدك الكريم، ولا يصحّ توهم الناس فيك، أنك لأجل آثامي تخلف ما وعدت، بل فاغلبهم بوفائك بوعدك، وأبطل حكمهم عليك، لا بل إنّ ذنوبي تزيدك في إنجاز مواعيدك شرفاً وتكرّماً. وهذه بيّنة للرسول على قوله: إنّ الله لم يخلف في ما وعد، ولا رجع عن الوفاء بما عهد، بسبب إثم اليهود وعدم إيمانهم.

٥٥. **فإن كان ظلمنا يثبت برّ الله فماذا نقول؟ أترى أنّ الله جائر لأنّه يأتي برجزه؟** أي وإن كانت ذنوب داود واليهود، زادت صدق الله ووفاءه إشراقاً وفضلاً، من حيث لم يخلف بمواعيده بسببها، أفنقول لذلك إنّ الله ظالم إذا عاقب الخطاة بذنوبهم؟ ٦٦. **إنّما أنطق بهذا كالإنسان.** أي وقولي: إن كان الله لم يخلف بمواعيده لذنوب داود واليهود فهو ظالم، إذا في معاقبة الخطاة، هو ممّا يخطر ببال الإنسان الغبيّ في مثل هذه الصورة، لأنّه وإن يكن الله لم يبال بآثام اليهود في إنجاز مواعيده، إلّا أنّه تعالى لا يظلم قطعاً في جزاء الأشرار بشرهم. حاشى. وإلّا فكيف يدين الله العالم. أي تنزه الله عن الجور والظلم

في عقوبة الأشرار، لا بل إنّ عدله في ذلك يتبيّن بذلك، وإذا ترك تعذيبهم بشرهم فيبطل برّه وعدله. وإذا لم يكن عادلاً في ذلك، فكيف يمكن أن يكون ديان العالم؟ على أنّ ديان العالم لا بدّ له من أن يكون عادلاً. فإذا ليس الله بظالم في عقوبة الأشرار.

٧٧. **وإن كان حقّ الله تفاضل بكذبي لتمجيده، فلماذا أَدان أنا الآن كخاطئ؟** قوله هذا مرادف لقوله قبلاً: فإن كان ظلمنا يثبت برّ الله إلخ. ومعناه: وإن كان وفاء الله ازداد بذنبي إشراقاً وفضلاً، وذنبي تحوّل إلى تبيان مجده تعالى وبرّه، فلماذا أَدان بعد ذلك كالخاطئ؟ راجع قوله المذكور في آه، فينجلي لك أنّ قوله هنا زيادة إيضاح للقول السابق. وكلاهما ممّا قدّر أن يردّ عليه في كلامه، على أنّ الله لم يرجع بوعوده لذنوب داود واليهود كما رأيت. وفي قوله بكذبي وأدان كالخاطئ بضمير المتكلم، أقام نفسه مقام الخاطئ. ٨٨. **أو لعلّه كما يفترى علينا قوم ويقولون إنّنا نعمل السيّئات لتأتي الخيرات. أولئك الذين دينونتهم محفوظة للعدل.** وقوله هذا أيضاً من باب ما قاله في الآية الخامسة والسابعة، وكلّ ذلك نتائج فاسدة توهمها بعض الأغبياء من قول الرسول، بأنّ النعمة ازدادت بازدياد الخطيّة، كما زعم بعض المفسّرين. والمعنى، وإن كان ظلمنا يزيد في مجد الله، فلماذا نُدان كالخطاة، أو بالحريّ لماذا لا نعمل الشرور ليزداد مجد الله بها، كما اختلف قوم كذابون، وقالوا علينا نحن الرسل إنّنا نعلّم بهذا القول، وهو فلنعمل الشرور لتأتي الخيرات. أي ليمجد الله بسبب شرورنا، هؤلاء الذين شجّبهم مبقّى للعدل الإلهي.

اعلم أنّ الجواب السديد على ما ورد على قول الرسول في الآية الخامسة إلى هنا، هو أنّ الخطيّة من طبعها لا تفيد شيئاً في مجد الله، لا بل هي من طبعها احتقار لله سبحانه وإبعاد عنه، ولكن تتحوّل بطريق العرض إلى مجد الله، وذلك عن حكمته الرفيعة وقدرته الوسيعة، إذ يستخرج من الشرّ خيراً، أو يصرف الشرّ إلى خير خلافاً لما أوجبه طبيعة الخطيّة ونيّة فاعلها. فمن ثمّ، لا يجوز أن نعمل السيّئات لأنّها إغاظة وإهانة لله تعالى، كما أنّه لا يظلم الله عزّ وجلّ في تعذيب الخاطئ لتعديّه شريعته.

جميعهم تحت الدينونة

٩٠. فما الذي في أيدينا الآن من الفضل وقد سبقنا فجزمنا على اليهود والشعوب أنهم جميعهم تحت الخطيئة. عاد الرسول هنا إلى غرضه وقد مضى، أنه فضل اليهود على الشعوب لتنزيل أقوال الله عليهم. والآن أضرب عن ذلك فقال: ولكن ما الذي بقي لنا نحن اليهود من الفضل على الشعوب؟ وما قد تقرّر في الفصل الأول والثاني، أن اليهود والشعوب على أفرادهم تحت الخطيئة، فبحسب ذلك هم إسوة، لا يفضل أحدهم الآخر. لا تتوهم في قول الرسول تناقضاً، بلغة أنه فضل اليهود على الشعوب، ثم ساوى بينهم. فإنه قد أثبت الفضل لليهود من وجه، وهو تنزيل أقوال الله عليهم، وقرّر المساواة بينهم وبين الشعوب، من وجه آخر وهو كونهم بأجمعهم تحت الخطيئة فتأمل.

١٠١. كما هو مكتوب أنه ليس بارٌّ ولا واحد. في هذه الآية وما يليها، يبيّن ذنوب اليهود والشعوب بشواهد من الكتاب المقدس، من سفر إشعيا والمزامير، ولكن لا يوردها غالباً بلفظها بل بمعناها فقط. ويريد باليهود والشعوب هنا جميع البشر، على ما كانوا عليه من العهد الأول إلى زمان المسيح. وما يعدّده فيهم من القبائح والمعاصي، لا يفهم بأنّه كان كلّهم في كلّ منهم، بل بأنّه كان فيهم متفرّقاً، فكانوا كلّهم تحت الخطيئة كما ترى. وقوله ليس بارٌّ ولا واحد هو مقتبس من المزمور ١٣، ومعناه أن اليهود أخطأوا لخرقهم ناموس الله والشعوب، لأنّهم لم يعرفوه حقّ عرفانه، ولا قضوه من المجد والحمد ما يحقّ له، فقد أخطأوا كلّهم ولم يتبقّ فيهم بارٌّ.

١١١. ولا متفهم ولا من يطلب الله. ١٢٢. زاغوا كلّهم ورذّلوا وليس من يعمل صلاحاً، لا ولا واحد. هذه الأعداد من المزمور الثالث عشر، ومعناها أن الشعوب لم يعرفوا الله حقّ عرفانه ولا تطلّبوه، بل انحرفوا عنه إلى الخلائق فتعبّدوا لها فزذلهم الله. والحاصل أنّه لم يكن أحد من الناس يستطيع أن يعمل خيراً، ممّا يبرّره عند الله ويحبّبه إليه تعالى وبورثه المجد السماوي، من دون نعمة المسيح والإيمان به، لأنّ جميعهم لفسادهم بخطيئة آدم وخباثة الشهوة، مالوا إلى

خطايا مختلفة. اعلم أنّه لا يلزم من قول الرسول هذا، أن أعمال الغير المؤمن كلّها شرٌّ لا صلاح فيها، أو أن الغير المؤمن لا يقدر على عمل خير، لأنّ المقصود بالخير هنا في قول الرسول ما يجعل صاحبه بارّاً قدام الله وأهلاً لإصابة المجد السماوي، لا كلّ خير أيّاً كان. فالغير المؤمن قاصر عن عمل الخير المورث البرّ والمجد السماوي، لا عمّا سوى هذا الخير.

١٣١. حناجرهم قبور مفتوحة. أي أنّهم لفساد قلوبهم، أشبهوا القبور المفتوحة المودعة جثثاً منتنة، فصاروا تدبر من أفواههم النجرة روائح خبيثة كالتجديف واللعن والقدح وما شاكل من شرّ اللسان. وألسنتهم مأكرة وسمّ الأفاعي تحت شفاههم. يعني أنّهم كذابون ماكرون، متهيئون دائماً لنفث الأقاويل السامة والكلم المضرة الموبقة. ١٤١. وأفواههم مملوءة لعنة ومرارة. مز ٩: ١٥. وأرجلهم إلى سفك الدماء سريعة. عد ١٦. وفي سبلهم المشقة والشقاء. ١٧١. ولم يعرفوا سبيل السلام. ١٨١. وليس خشية الله أمام عيونهم. إش ٥٩. يريد أن أرجلهم تعدو بسرعة إلى القتل والذبح، وكلّ مساعيهم إلى قهر بعضهم وتذليل غيرهم، كأنّهم لا يعرفون أن يمشوا طريق السلام والأمن، وهم لا يخافون الله شيئاً لعدم افتكارهم به، أنّه في كلّ مكان وأنّه سوف يسكب رجزه على الخطاة أمثالهم.

١٩١. ونحن نعلم أن كلّ ما تكلم به الناموس إنّما تكلم به لأهل الناموس. وفيه تدارك الرسول اليهود أن يقولوا إنّ الشواهد التي أتى بها هنا كما رأيت، يلزم فهمها عن الشعوب لا عنهم، فردّهم الرسول بأنّ ذلك يجب فهمه عليهم، إذ إنّ من أقوال المزامير والأنبياء، والكلام في المزامير والأنبياء هو بالخصوص على اليهود. لكي يُسدّ كلّ فم ويشجب العالم كلّهم لله. يريد أن الناموس أو الكتاب المقدس قضى في الآيات الموردة آنفاً بملامة الجميع وهجوهم بأنّهم اقترفوا الخطايا التي عدّها، لغاية أن يقرّ كلّ إنسان بأنّه خاطئ مذنب عند الله ومستوجب لانتقامه وعذابه، ولكي يعرف الناس شدة افتقارهم إلى نعمة الله ومعونته، ولا يعود أحد من المستكبرين يحسب نفسه بارّاً بلا زلل.

٢٠٨. **لأنَّه من أعمال الناموس لا يتبرَّر كلُّ بشر قَدَّامه.** أي من العمل بما في ناموس موسى لن يتبرَّر إنسان قَدَّام الله. وهذا هو غرض الرسول. وفي الآية الثانية والعشرين يستخلص إليه ويصرَّح به. ويراد بأعمال الناموس ما كان بحسب الناموس من دون إيمان المسيح ونعمته. ويتوضَّح ذلك من مقابلته بين هذه الأعمال وإيمان المسيح كما يجيء. **إنَّ الخطيَّة عُرِفَتْ من الناموس.** حيث أفاد الناموس ما هو شرٌّ وما هو خير، وأبان عمَّا هو خطأ وما هو صواب، إلَّا أنَّه لم يؤتِ القوَّة على عمل الخير واجتناب الشرِّ، فلم يكن في ذلك إلَّا نورًا كما دعاه صاحب الأمثال، ويُدعى بالعبرانيَّة تورا أي تعليمًا وإرشادًا.

الكشف على برِّ الله

٢١١. **أَمَّا الآنَ بلا ناموس فقد ظهر برُّ الله.** أي في هذا الزمان، بعد بطلان الناموس وبغير أعماله، ظهر برُّ الله الذي يبرِّر الناس من الخطايا، ويوليهم النعمة والحبَّة وباقي الفضائل. وهذا استخلاص الرسول في غرضه، وهو أنَّ البرَّ إنَّما هو من إيمان المسيح، لا من الفلسفة ولا من شريعة موسى، كما زعم الأمم واليهود. ويشهد عليه الناموس والأنبياء. أي ويشهد الناموس نفسه والأنبياء، بأنَّ هذا البرَّ لا يؤتى إلَّا بإيمان المسيح. قال تاودوريطوس: ومثَّل الرسول في ما قال مثل طبيب متمهِّر، أبان عن علَّة المرض، ثمَّ أفاد ما يعالج به، لأنَّه أي الرسول طالما ذمَّ اليهود والشعوب، وأوضح أنَّهم أهل الهلاك. وهنا أفادهم أنَّ التخلُّص من كلِّ ذلك إنَّما هو بإيمان المسيح ونعمته، فتأمَّل.

٢١٢. **أَمَّا برُّ الله فإيمان يسوع المسيح لكلِّ واحد وعلى كلِّ واحد مَن يؤمن به.** إنَّه لا فرق في ذلك. يعني أنَّ برَّ الله الذي ظهر في هذا العهد، هو بإيمان المسيح لا غير، وأنَّه شائع بين اليهود والشعوب لا يفضِّل فيه واحد على آخر، بل هو لكلِّ واحد، وهو لشرفه على كلِّ واحد، أي فوق حدِّ استحقاق كلِّ واحد، وأعلى من مرتبة طبيعة كلِّ واحد، أو هو على كلِّ واحد

بما أنَّه يفاض من السماء على كلِّ واحد، كما فسَّر القديس أنسلموس. بتعليم الرسول هنا أنَّ البرَّ هو بإيمان المسيح، نخطيُّ الهراطقة في زعمهم أنَّ البرَّ هو عين إيمان المسيح. فإنَّ الرسول قد علَّم بأنَّ البرَّ يتحصَّل بإيمان المسيح، كما رأيت، فيكون الإيمان منشأ البرِّ لا نفسه.

٢٣٣. **لأنَّهم جميعهم أخطأوا وهم ناقصون من مجد الله.** وفي اللاتينيَّة: وهم محتاجون إلى مجد الله. أي لا عجب من تساوي اليهود والشعوب في إيمان المسيح، إذ إنَّهم بأجمعهم أخطأوا وتماثلوا في الشرِّ، ولم يبقَ فيهم ما يتمجِّدون به عند الله. فهم متخلِّون من مجد الله ومبعدون عنه. وفهم القديس كيريلوس بمجد الله هنا يسوع المسيح. فإنَّه مجد الآب بكونه فادينا ومبرِّرنا، أي إنَّ الكلَّ مفتقرون إلى المسيح الفادي. وفهم غيره بالمجد هنا النعمة المورثة المجد، على أنَّ النعمة بداية المجد، وكما المجد هو تمام النعمة، فالمعنى أنَّ الجميع محتاجون إلى هذه النعمة ليتوصَّلوا بها إلى المجد.

٢٤٤. **ويتبرَّرون بالنعمة مجَّانًا وبالفداء الذي هو بيسوع المسيح.** يريد أنَّهم يصيِّبون البرَّ من فضل الله الكريم، لا عن حقٍّ لهم، وإنَّ هذا البرَّ تحصَّل لهم هم بالفداء الذي صنعه يسوع المسيح، إذ دفع دمه الكريم فديةً عن جميع الناس، واستحقَّ لهم كلَّ ما ينوط بأمر الخلاص. فيكون الفداء قد حصل للخطاة حصول هبة من جهتهم، إذ لم يجرِ منهم مستوجبٌ له. وأمَّا من جنب المسيح، فهو عن استحقاقه وتقديمه نفسه ترضيةً لله الآب الذي أنعم علينا بالتبرير عن رحمة منه، حيث تفضَّل علينا بابنه يسوع المسيح وتقبَّل فداءنا منه.

٢٥٥. **هذا الذي تقدَّم الله فوضعه غفرانًا بإيمان دمه من أجل خطايانا التي عملناها سابقًا.** أي إنَّ الله الآب ربَّ المسيح إلى أن يكون ذبيحة استغفاريَّة لأجلنا، وإنَّا لا نصير أهلًا لمنافع هذه الذبيحة إلَّا بالإيمان، إذ نعتقد موقنين أنَّ المسيح قد تألَّم ومات، وصار بذلك استغفارًا من أجل الخطاة. على أنَّ هذا الاعتقاد يحملنا على رجاء المغفرة ومحبة الله وبغض الخطيَّة فنعود محللاً للتبرير. فقله بإيمان دمه أي بالإيمان بتألُّمه وموته، يعني أنَّ الله أراد أن نكون منتفعين

بفداء المسيح بواسطة إيماننا به، أنه تألم ومات فافتدانا كما تقدّم. وهذه العبارة في اللاتينية: بالإيمان بدمه. ولم يذكر الرسول هنا من الخطايا إلا الماضية، إشعاراً بأنه ما عاد بعد المسيح زمان للخطية، بل صار كلّ الزمان لعمل البرّ والقداسة. ولا يخفى أن دم المسيح قد استغفر، لا عن الخطايا السابقة فقط، بل عن جميع الخطايا من ماضية وآتية.

٢٦٦. بالمهل الذي أعطاه الله بأنّاه روحه لتبيين برّه في هذا الزمان. أي أن الله احتمل الخطاة وأمهّلهم في خطاياهم، إلى أن أرسل ابنه في الزمان المسمّى منه، وهو هذا الزمان، وذلك إظهاراً لبرّه في أنه هو البار والمبرّر يسوع المسيح. فإنّ هذا البرّ فيه تعالى كان مستتراً في عهد الشريعة القديمة وظهر الآن في مجيء المسيح. اعلم أن علل تبريرنا ظهرت في قول الرسول كما مرّ. حيث أفاد أن المبرّر لنا هو الله، والمستحقّ التبرير لنا هو المسيح، وما به توصّلنا إلى هذا التبرير هو الإيمان، وما تصوّر به تبريرنا هو غفران الخطايا، وما حصل عن كلّ ذلك هو ظهور برّ الله. ليكون هو بارّاً ويبرّر بالعدل من هو بإيمان يسوع المسيح. أي إنه تعالى أظهر برّه في هذا الزمان كما مرّ، لتبيان كونه بارّاً قدوساً في ذاته وموّلّي التبرير للخطاة. أمّا تبيان كونه بارّاً في ذاته، فقد حصل بتعذيب ابنه بدل الخطاة. فإنّه لشدة مقتته للخطية، دفع ابنه إلى الموت قضاء لحقّ العدل. وأمّا ظهور كونه مبرّراً، فقد حصل بتركه للخطاة خطاياهم بإيمانهم بالمسيح، وردّهم إلى برّهم الأوّل الذي فطروا عليه في الابتداء في شخص آدم.

٢٧٧. فأين الافتخار الآن؟ فقد بطل. وفي اللاتينية: فأين إذا افتخارك؟ أي بجمّ تفتخر بعدد، أيها اليهودي، من تدّعي البرّ لنفسك من الختان والقرايين وباقي أعمال الناموس؟ فإنّ البرّ إنّما هو من إيمان يسوع المسيح، فعاد افتخارك باطلاً. بأيّ ناموس؟ أبناموس الأعمال؟ كلا. بل بناموس الإيمان. أي إنّ بطلان افتخارك، أيها اليهودي، لم يكن بناموس موسى الذي هو ناموس الأعمال، من حيث إنه يعلم ما يلزم عمله من دون تقوية على إجراء ذلك، لكن بناموس الإيمان الذي هو عطية الله المقوّي لنا بنعمة المسيح على تكميل وصاياه. يريد

أنّ البرّ تقرّر بالإيمان، لا بالناموس القديم. فعلى ذلك لم يعد يسوغ لليهود أن يفتخروا بالناموس الموسويّ، بحجّة أنّه يولي البرّ للذين يعملون بحسبه. قال أغوستينوس في كتاب الحرف والروح ف ١٣: إنّ ناموس الأعمال هو ما يأمر بعمل ما يجب، وناموس الإيمان هو الإيمان بنفسه الذي يقوّي على عمل ما يلزم عمله. فالأوّل هو الناموس العتيق، والثاني هو الناموس الجديد. وإن سألت لماذا قال الرسول بناموس الإيمان لا الإيمان فقط، فيجيب الذهبيّ أنّه أحبّ تكرار لفظة ناموس، لعلمه بأنّها كانت تلذّ لمسامع اليهود.

٢٨٨. فإننا نرى أن الإنسان إنّما يتبرّر بالإيمان لا بأعمال الناموس. وفي اليونانية: فمن ثمّ نستدلّ على أن الإنسان إنّما يتبرّر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أي ممّا قيل، نستدلّ على أن الإنسان يهودياً كان أو شعوبياً، إنّما يتبرّر بإيمان المسيح، لا بأعمال الناموس. على أن هذه الأعمال ليس فيها سبيلٌ إلى إصابة البرّ. قال أغوستينوس وقد حذق في ما قال: إنّ القديس يعقوب الرسول، لخوفه من أن قول الرسول هذا يوهم البعض أن الإيمان وحده يؤتي البرّ، كتب رسالته بياناً لكون الأعمال من مقتضيات التبرير. على أن القديس بولس إنّما أنكر التبرير على الأعمال التي هي بحسب الناموس وقوى الطبيعة، من دون إيمان المسيح ونعمته. وأمّا القديس يعقوب، فأراد بالأعمال اللازمة للتبرير، ما كانت بإيمان المسيح ونعمته. فبولس عنى الأعمال السابقة للإيمان، ويعقوب عنى الأعمال التابعة للإيمان. فلا تنافي بينهما. فتأمل.

٢٩٩. أترى أن الله إنّما هو لليهود فقط وليس هو للأمم أيضاً. ٣٠٠. بلى إنه للأمم أيضاً، لأنّ الله واحد الذي يبرّر الختان بالإيمان ويبرّر الغرلة بالإيمان أيضاً. أي إنّ الله بالنظر إلى أمر البرّ والخلاص، ليس هو لليهود دون الأمم، وأنّ الأمم لا حاجة لهم إلى الختان والتهود لإصابة الخلاص، على أن البشر بأجمعهم قد ترتّبوا من الله إلى السعادة الثابتة، وكلّهم إسوة في الخلق وصورة الله. فعلى ذلك جعل لهم إلى الخلاص سبيلاً واحداً وهو الإيمان بابنه يسوع المسيح. ٣١١. فهل يبطل الناموس بالإيمان. حيث إنّنا قد قصّرنا التبرير على

الإيمان بالمعنى المار ذكره، وحسبنا الناموس باطلاً لا فائدة فيه في ذلك. حاشا، بل نثبت الناموس. حيث أبتأ أن ما وعد به الناموس وأشار إليه من مجيء المسيح وحصول البر به، قد تمّ ونجز فتصدق الناموس بذلك، واكتمل بالمسيح الذي هو غايته.

الفصل الرابع

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن إثبات ما قاله من كون التبرير هبة، لا عن أعمال الناموس، بمثل إبراهيم الذي تبرّر بإيمانه، لا بالختان. ورشح لغرضه بآيات من الكتاب المقدّس، إلى أن استخلص بأنّ برّ إبراهيم بالإيمان يشترك به الموافقون لإيمان إبراهيم.

البرهان بالكتاب المقدّس

١٠. فماذا نقول الآن عن إبراهيم رئيس الآباء أنّه وجد البرّ حسب الجسد؟ بالختان. أي ما زعمكم أيّها اليهود في البرّ الذي أصابه أبونا إبراهيم؟ أمن الأعمال هو أم من الإيمان؟ فردّ عليه اليهود بأنّ إبراهيم تبرّر بالختان والأعمال. فشرع يدفع زعمهم هذا ببيّنات شتى فقال.

٢٠. فلو كان إبراهيم تبرّر بالأعمال لكان له فخر، ولكن ليس عند الله. أي لو كان الأمر كما تقولون، من أنّ إبراهيم تبرّر بالختان والأعمال دون إيمان، لحقّ له الافتخار عند الناس لا عند الله، لأنّ الله إنّما يعتبر قلب الإنسان وإيمانه ومحبّته، لا أعماله الخارجيّة الخالية من إيمان ومحبة. فلو كان برّ إبراهيم كما تزعمون، لكان سافلاً حقيراً لحصوله عن أمور معتبرة لدى الناس فقط. ومن البين أنّ برّ إبراهيم حقيقيّ تامّ معتبر لدى الله. فإذا قد حصل له بالإيمان. ولا تغفل عن أنّ المراد بالأعمال هنا ما كانت قبل الإيمان الذي بدونه لا يستطيع أحد أن يرضي الله.

٣١. وما الذي قال الكتاب؟ إن إبراهيم آمن بالله وحُسب له برًا. (تك ١٤). وفي العبرانية: آمن بالله وحسب الله له الإيمان للبر. هذا بيّنة للرسول على أن إبراهيم تبرّر بالإيمان لا بأعمال الناموس. ومعنى الآية أن إبراهيم صدّق وعد الله له ولسارة امرأته بكثرة النسل، وهما في حالة الشيخوخة والعقرية، فاستعظم الله إيمانه وأكبره فبرّره به. واعلم أن إبراهيم ازداد برًا بإيمانه هذا، إذ إنه كان قبل (ذلك) بارًا مقبولاً لدى الله. ولا تظن أن بيّنة الرسول تقصر بقولنا هذا، لأنه إن كان إبراهيم لم يزد برًا بغير إيمان، فأولى أن لا يكون تبرّر وهو خاطئ بدون إيمان. فإذا كما زاد في البرّ بالإيمان، كذلك أصاب البرّ أولاً بالإيمان. فقد آمن أولاً بالله لما ناجاه وأمره بالخروج من وطنه ووعد مواعيد كريمة، وبهذا الإيمان تبرّر أولاً ثم ازداد برًا بإيمانه بالله ثانية، إذ وعده بإسحاق وتكثير زرع.

وعلى إيمانه هذا كلام الرسول هنا. ثم آمن أخيرًا بالله وأطاع أمره بتضحية ابنه إسحاق. فسمّا بذلك برًا وازداد تقربًا منه تعالى كما يظهر من تك ٢٢. فبالإيمان أخذ في إرضاء الله، وبه نفسه ما برح يرضيه حتى الآخرة، فلم يخلُ فعل من أفعاله الصالحة من الإيمان. ومن هنا يظهر أن القديس بولس لا يتكلّم على الإيمان خاليًا من الأعمال، على أن إيمان إبراهيم لم يكن فارغًا من الأعمال، وهذا هو الإيمان الحيّ العامل. فعلى ذلك لا يكون خلاف بين القديس بولس لجعله التبرير بالإيمان وبين القديس يعقوب الذي قال بأن التبرير (يكون) بالأعمال. وقد اتّضحت الموافقة بينهما من قول يعقوب: إن إيمان إبراهيم طابق أعماله إلخ (يع ٢: ٢٢). وأنتم ترون أن الإنسان يتبرّر من الأعمال، لا من الإيمان وحده. ولكن يظهر، على بادئ القول، أنهما اختلفا وكلاهما قد ذكر إبراهيم بيّنة لقوله. فسرّ ذلك هو من حيث المقصود والغرض. فإن بولس قصده دفع الزاعمين أن البرّ بالأعمال لا بالإيمان، كما رأيت قبلًا، ويعقوب غرضه مقاومة القائلين بأن البرّ يتحصّل بالإيمان دون أعمال، أي أن الإيمان وحده يبرّر صاحبه ويورثه الخلاص. فتأمّل وراجع ما قيل في الفصل السابق في آ ٢٨.

٤١. أمّا الذي يعمل فلا يُحسب له أجره كمن أنعم عليه بل كمن يجب

له. أي فلو كان حصول البرّ لإبراهيم من الأعمال، لكان عن وجوب واستحقاق. وإن الكتاب يقول: إن الله حسب له الإيمان للبرّ، والحسبان يشير إلى التفضّل والإحسان. فإذا إبراهيم تبرّر بإيمانه لا بالأعمال، على أن من يعمل ينال أجره عن وجوب لا عن تفضّل ومئة. وهذا يتوضّح بما يلي. ٥١. وأمّا الذي لا يعمل، لكنّه آمن فقط بمن يبرّر الخطأة، فيحسب له إيمانه للبرّ. وزادت اللاتينية حسب قصد نعمة الله. يريد أن البرّ هو نعمة وهبة، لأن الإيمان بنفسه لا يستوجب لصاحبه البرّ. فحسبان الإيمان إذا للبرّ، إنما هو من مشيئة الحاسب وفضله. ويبيّن الرسول هذا بقوله: حسب قصد نعمة الله، أي كما شاء الله وأحب. والمقصود أن إبراهيم تبرّر بالإيمان مجانًا، إذ آمن بالله الذي يبرّر الخاطئ عن نعمة منه، لأن ما يُعطى بالإيمان والنعمة ليس هو بأجر مستحق، بل هو هبة وتبرّع، إذ إن الإيمان من طبعه في كونه فعل الإنسان، هو قاصر عن أن ينشئ البرّ في صاحبه. إلا أن الله الكريم يتقبّله ويحسبه للبرّ، حيث يبرّر المؤمن ويقربه منه ويتبنّاه. وقوله «لا يعمل» يريد به لا يعمل أعمال الناموس. وقوله «آمن» يريد به الإيمان الحيّ العامل بما في الإيمان كما مرّ مرارًا.

٦١. كما قال داود أيضًا في طوبى الرجل الذي يحسب له الله البرّ بغير أعمال حيث يقول. ٧١. طوبى للذين ترك لهم إثمهم. فإنه قد ذكر «ترك الإثم» ولم يذكر ما يستحقّ هذا الترك من الأعمال. وترك السيئة يدلّ على كون غفرانها عن تفضّل التارك. وهذا يثبت ما قاله الرسول، وهو أنه لا يتحصّل بالأعمال بل هو من نعمة الله وفضله. والآية من المزمور ٣١ (ت ٣٢ في العبري). وسُتريت خطاياهم. أي أزيلت وتطهّروا منها، لا كأن الله سبحانه تناساها لهم، وهي لم تزل فيهم متوارية خفية، معاذ الله من ذلك. فلو كانت باقية فيهم، لم تكن مستترة على أنه لا يستتر على الله إلا ما ليس بكائن لا وجود له. ٨١. وطوبى للرجل الذي لا يحسب الله له خطيئته. أي لا يحسبها عليه للعذاب، عبارة عن تركه إيّاها له. فإنك تقول: لم يحسب الله للخاطي خطيئته، إذا أذهبها عنه وطهّره منها ولم يعدّه بعدّ خاطئًا، فلا تعود خطيئته تُحسب عليه للعذاب.

٩٠. فهذه الطوبى الآن للختان هي أم للغرلة. أي الطوبى التي تكلم عليها داود، ليست من الأعمال ولا هي خاصة بكم أيها اليهود أولو الختان، بل هي للشعوب أيضًا، فيكون التبرير لا من الناموس الذي تستخضونه بكم، بل من النعمة الشائعة بين اليهود والشعوب. إننا نقول: إن إيمان إبراهيم حُسب له برًا. ٩١. فكيف حُسب له؟ أفي الختان أم في الغرلة؟ ليس كان ذلك في الختان بل في الغرلة. لأن إبراهيم آمن، وهو أغلف، بوعد الله له، بُولود المسيح من زرعه وحصول البركة للأمم به أي بالمسيح. فتبرّر بهذا الإيمان، وكان ذلك قبل الختان بأربع عشرة سنة. فالحاصل أن البر ليس هو لليهود فقط بل هو للشعوب أيضًا، وأن إبراهيم لم يتبرّر بالختان وأعمال الناموس التي قصر اليهود عليها التبرير، لكن بالإيمان والنعمة المشتركة بين ذوي الختان والغرلة. وإن ذوي الغرلة يتبرّرون بالإيمان كإبراهيم.

٩٢. وأخذ الختان سمةً وختمًا لبرّ إيمانه في حال الغرلة. يعني أن إبراهيم آمن وهو ذو غرلة فتبرّر بإيمانه هذا، ثم أُعطي الختان دليلًا على حقيقة برّه وصحة إيمانه، وعلى ما عقده الله له ولذريته من العهد والميثاق. ليكون أبًا لكل من يؤمنون من أهل الغرلة، ليحسب الإيمان لهم برًا كما حُسب لإبراهيم وهو في الغرلة. ٩٣. ويكون أبًا للختان لا للذين من أهل الختان فقط، بل أيضًا للمتبعين آثار إيمان غرلة أبينا إبراهيم. أي المتبعين آثار إيمان إبراهيم وهو في الغرلة. ومراد الرسول أن يبين كون إبراهيم أبًا لأهل الختان وأهل الغرلة. أمّا لأهل الغرلة، فبإيمانهم وتبرّره كما تقدّم. وأمّا لأهل الختان فبالختان واتباعهم إيمانه. فلا يكفي اليهود ختانهم لأن يصيروا من أولاد إبراهيم بل يقتضي أيضًا أن يؤمنوا بإيمانه الصحيح.

اعلم أن الختان بالنظر إلى إبراهيم، كان علامةً لثبوت إيمانه بولادة المسيح من زرعه. وعلى ذلك قبل الختان في عضو الزرع، كما وجّه بعضهم. وأمّا من جهة الله، فكان بمقام شهادة منه لإبراهيم في إيمانه. وقد شاء تعالى اسمه، أن يبرّر إبراهيم وهو أغلف، ويجعل له الختان علامةً لإيمانه كلفًا، بأن يكون أبًا

روحياً للأمم الغلف، ليحسب لهم إيمانهم بالمسيح ابن إبراهيم للبرّ نظيره، ويكون أبًا أيضًا لليهود أهل الختان، ليكونوا أولادًا له لا باللحم والختان فقط، لكن بالإيمان أيضًا الموافق لإيمانه بالمسيح. على أنه لم يصر هو خليلاً لله ومقبولاً لربه إلا بالإيمان، كذلك اليهود فإنهم لم يصيروا من أولاده الروحانيين المحبوبين عند الله إلا بإيمانهم بالمسيح. قال تاوافيلكتوس: وكان الختان علامة الإقرار والإيمان بالمسيح الآتي. فختان اليهود الخالي من هذا الإيمان ختان باطل. واعلم أن مراد الرسول بالختان هنا كل الشريعة القديمة، على ما كان فيها من العبادات والاحتفاليات. وإنما خصّ الختان بالذكر لكونه أمّ الشريعة المذكورة والمدخل إليها. فمن ثمّ يكون نفي الرسول للختان عن برّ إبراهيم وكلّ أولاده، نفيًا متناولاً لباقي أعمال الناموس.

٩٤. ليس بالناموس صار الموعد لإبراهيم وزرعه. لم يزل الرسول يبرهن على أن إبراهيم هو أبو جميع المؤمنين، من اليهود والشعوب، تبيانًا، لكون البرّ يتحصّل لا بالناموس والختان بل بالإيمان. وأثبت هذا بوعد الله لإبراهيم حيث قال: ليس بالناموس إلخ. أي أن إبراهيم وُعد بالبركة التي هي البرّ والخلاص، لا من قبل الناموس والختان، بل من إيمانه بالله، فبنو إبراهيم إذا يرثون هذه البركة، أي يتبرّرون لا بأعمال الناموس بل بالإيمان. على أن الله تعالى قصر البرّ على الإيمان كما تقدّم، وبرّ إبراهيم من قبل الناموس والختان، دلالة على أن البرّ إنما هو بالإيمان. لأن يكون وارثًا للعالم. أشار إلى قوله تعالى لإبراهيم تك ٢٢: وتبارك بك جميع الشعوب. والمعنى أن إبراهيم يكون وارثًا للعالم كلّّه، كما قال عنه داود: سلني فأعطيك الأمم ميراثك وأقاصي الأرض ملكًا لك (مز ٢). وكما يقول عنه الرسول في رسالته العبرانية (ف ١): الذي جعله وارثًا للعالمين.. وقوله تعالى: وتبارك بك جميع الشعوب، يعني أن إيمان إبراهيم وبركته وابنه الذي هو المسيح تعمّ جميع الأمم، إذ يتولّى المسيح كلّ العالم كما قلنا، وهكذا تحصل البركة به لجميع الأمم. لكن ببرّ إيمانه. أي إنه وُعد بالوعد المذكور لأجل إيمانه، لا من الناموس إذ لم يكن الناموس وقتئذٍ، كما قال الرسول في رسالته الغلاطية (٢: ١٧). فإنجاز هذا الوعد إذا يكون بالإيمان لا بأعمال الناموس.

١٤٤. ولو كان أهل الناموس هم الورثة، لصار الإيمان باطلاً والموعود متعطّلاً. أي لو تقرّرت وراثة الوعد المذكور لأهل الناموس، لعاد إيمان إبراهيم باطلاً، إذ إنَّ وعد البركة حصل له من إيمانه لا من الناموس فمن ثمَّ إذا كانت وراثة هذه البركة تتحصّل بالناموس. يعود إيمان إبراهيم باطلاً بلا فائدة، ويَبطل أيضاً وعدُ الله له بهذه البركة، إذ إنَّه تعالى إنَّما وعده بها بالإيمان قبل الناموس. ثمَّ يبطل هذا الوعد في أولاده لتعدّيهم الناموس. يريد الرسول أنَّ حصول البرِّ لإبراهيم، هو من الإيمان لا من أعمال الناموس. على أنَّه لو كان من أعمال الناموس، لا من الإيمان، لبطل إيمان إبراهيم والوعد له، إذ إنَّه وُعد بالبركة من الإيمان، ولم يكن بعد أنزل الناموس. ثمَّ لو كان البرُّ يتحصّل بأعمال الناموس، لم يكن من الوعد، لما بين الناموس والوعد من التناقض. فإنَّ الوعد فيه معنى الهبة والتفضّل، وما يُعطى بحسبه هو منَّة وفضل خلافاً للناموس. فإنَّ ما يُعطى بسببه، لا يُعطى كهبة ونعمة، بل عن وجوب وحقٍّ، أي عمّا يستحقُّه حفظه ويستوجبه العمل به. فتأمّل.

١٥٥. لأنَّ الناموس عامل الغضب وحيث ليس ناموس فليس تعدُّ. يعني أنَّ الناموس ما هو علّة البركة والبرِّ، بل هو عرضة للتعدّي والمخالفة. وبذلك هو سبب للغضب والنقمة، إذ لولاه لما وقع تعدُّ ومخالفة، على أنَّه لا تعدّي حيث ليس شريعة ووصيّة. ثمَّ هو سبب للغضب بتهييجهِ فينا الشهوة إلى ما ينهى عنه، لأنَّنا من طبعنا نشتهي ما هو محظور. يريد أنَّا لا نقدر على تكملة الناموس بدون الإيمان والنعمة. وقد عرفت أنَّ مقصده تبيان الحاجة إلى إيمان المسيح ونعمته، لاستمالة اليهود وغيرهم إليهما لإصابة البرِّ والخلاص.

١٦٠. من أجل هذا نتبرّر بالإيمان الذي بالنعمة ليكون الوعد صادقاً لجميع زرعه ليس الذي من الناموس فقط ولكن الذي من إيمان إبراهيم أيضاً الذي هو أبو جميعنا. أي من أجل أنَّ الوعد لم يكن بالناموس، وأنَّ الناموس سبب للغضب كما تقدّم، فنقول بأنَّنا إنَّما نفوز بالبرِّ بالإيمان، وبذلك يتصدّق وعد الله ويشمل كلَّ أولاد إبراهيم. أمّا تصديقه بكون البرِّ بالإيمان، فهو من

وجه أنَّه هبة. فلو كان البرُّ من الناموس لعاد، أي الوعد غير هبة كما تقدّم، فراجع. وأمّا شموله لكلَّ أولاد إبراهيم، فلا يحصل إلّا فيما إذا كان البرُّ من الإيمان أيضاً، إذ إنَّ إبراهيم أبو الجميع أي اليهود والشعوب. فلو كان البرُّ من الناموس لعاد، أي الوعد غير شامل لكلَّ أولاد إبراهيم.

١٧٠. كما كتب إنِّي جعلتك أباً لأُم كثيرة قدّام الله. تك ١٧. يعني أنَّ إبراهيم هو أبو جميعنا نحن اليهود والشعوب، لكونه أعدّ بسابق علم الله وحكمه وانتخابه إلى أن يكون أباً لأُم كثيرة. وهذه الأبوة تقرّرت له من إيمانه بالله. فهي أبوة روحية لا جسدية، وأولاده هم الذين يشابهونه في إيمانه، وهو كأنَّه يُسرّى إليهم إيمانه وبرُّه وروحه بالمسيح. الذي آمَنت به أنَّه يحيي الموتى ويدعو الذين ليسوا بموجودين كأنَّهم موجودون. وفي اللاتينية: الذي يحيي الموتى ويدعو ما هو غير كائن كالذي هو كائن. أي أنَّ الله هو عزيز قدير، يستطيع أن يولي الحياة لمن مات، ويأتي بما هو في العدم إلى الوجود، كما أتى بما هو في الوجود من العدم. ومن ثمَّ هو قادر على أن يحيي جسد إبراهيم، الذي أيقن أنَّ له هذه القدرة، وجسد امرأته من بلاء الهرم والعقرية، ويجعله بعدُ إذ هو بلا ولد أباً لكثيرين.

١٨٠. وآمن بالرجاء بغير رجاء، ليكون أباً لكثرة الشعوب. أي أنَّ إبراهيم صدّق وعد الله له بأن يكون أباً لشعوب كثيرين. وترجّى ذلك وهو آيس لا يرحوه من الطبيعة البشرية. كما كتب. في تك ١٥ حيث قال الله له: انظر إلى السماء وعدّ نجومها إن استطعت. هكذا يكون زرعك. أي يكون أولادك مثل النجوم كثرة وعدداً. وقد مرَّ بك أنَّ المراد بأولاد إبراهيم هنا المؤمنون المشابهون له في إيمانه، سواء كانوا من اليهود أولاده الجسديين أو من الأمم. ١٩٠. ولم يضعف بإيمانه عند نظره إلى جسده قد مات، لأنَّه كان ابن مائة سنة وإلى ميتوته رحم ساره. ٢٠٠. ولم يشكَّ بموعده الله كناقص الإيمان لكنَّه تقوى بالإيمان ممجّداً لله. ٢١٠. وأيقن أنَّ الله قادر على إنجاز ما وعده به. أي إنَّ تصديق إبراهيم وعد الله لم يضعف، لنظره إلى أنَّه لا قوّة له على

الولادة، ولا إلى أن امرأته عاقر وعجوز ابنة تسعين سنة، بل أقام على إيمانه متشبثاً بإيقانه أن الله هو العزيز القدير. وأمّا قوله: أترى يولد ابن لابن مائة سنة وتلد ساره وهي ابنة تسعين سنة؟ فلم يكن عن ضعف إيمان بالوعد الكريم، ولكن من باب التعجب والاستغراب.

٢٢. فمن أجل هذا حُسِبَ له برّاً. قد مرّ تفسيره قبلاً. ٢٣. وليس من أجله وحده كُتِبَ هذا أن إيمانه حسب برّاً. ٢٤. ولكن من أجلنا أيضاً نحن الذين يحسب لنا. إيماننا برّاً. إذا آمنا بمن أقام ربنا يسوع المسيح من بين الأموات. أي إن ما كُتِبَ عن إبراهيم من حسابان إيمانه له للبر، لم يكن لغاية مدحه وتكريظه فقط، بل لتعليمنا أيضاً أن إيماننا يُحسب لنا للبر نظيره. وكما آمن إبراهيم بمن يحيي الموتى، هكذا نؤمن نحن بالله الذي أقام ربنا يسوع المسيح من الأموات. فهو أي إبراهيم، نموذج لنا في كون البر يحصل لنا من الإيمان لا من الختان والناموس. ٢٥. الذي. أي يسوع المسيح الذي أسلم من أجل خطايانا. ليمحوها ويلاشيها. وقام لتبريرنا. اعلم أن يسوع المسيح أنجز سرّ الفداء في قيامته فكانت قيامته بمنزلة حدّ انتهى إليه في ما عمل. فمن ثم تُعتبر قيامته وتألمه في أمر الفداء لفعل واحد أدبي، استحقّ به لنا محو الخطايا والتبرير. ولكن قد أسند الرسول محو الخطايا إلى تألمه، وأسند التبرير إلى قيامته، من وجه أن التألم هو الوفاء والكفارة، ومن حيث إن المسيح بالقيامه تمّ، كونه فادياً ومبرراً بتغلبه على الموت فالخطية، إذ هدم ملك الخطية التي كانت علّة الموت، ونصب تحت ملكه ملك الحياة والبر. على ما فسّر الحجريّ وفسّر غيره، بأن المسيح أنجز محو خطايانا في تألمه وموته. وأمّا في قيامته فما عاد استحقّ لنا شيئاً، إذ بالموت ينقطع سبيل الاستحقاق. وقول الرسول: وقام ليبررنا بمعنى أن المسيح قام ليكون لنا مثلاً في أن نقوم للبرّ وحياة النعمة، متجدّدين بروح ضمائرنا بعد أن مُتْنَا معه عن الخطية، على ما سيأتي في الفصل السادس.

الفصل الخامس

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن بيان مفاعيل البرّ، وهي اطمئنان القلب والتبني لله والسرور في الضيق والافتخار بالله. وذكر خطية آدم، بياناً للزوم مصالحتنا مع الله، ومقايسة آدم بالمسيح وتفضيل المسيح عليه.

البرّ عربون الخلاص

١. ولأننا قد تبرّرنا الآن بالإيمان. لا بأعمال الشريعة والطبيعة. فليكن لنا سلام عند الله. أي لنكن قدّام الله بقلب مطمئنّ وضمير آمن. يريد أن أوّل مفاعيل التبرير فينا، هو اطمئنان ضميرنا وسلام قلبنا لنرضي الله عنا، ومسالمتنا لنا واتّخاذنا إيانا من أوليائه وخلّائه. بسيدنا يسوع المسيح. ٢. الذي به دنونا بالإيمان من هذه النعمة التي نحن فيها قائمون. أي يسوع المسيح، الذي بعمله واستحقاقه قد توصّلنا نحن بالإيمان إلى نعمة التبرير، هذه التي نحن عليها الآن. واعلم أن الإيمان بدء التبرير وجزء منه. ومع ذلك، لا يتنافى أن يكون هو المدخل إلى التبرير. فإن الباب جزء من البيت وهو المدخل إليه، وبهذا الإيمان تتكامل بالبرّ ونزید فيه، إلى أن نبلغ الحياة السعيدة الثابتة في السماء. ومفتخرون برجاء مجد الله. وفي اللاتينية: ونفتخر برجاء مجد بني الله. أي ونفتخر بترجيّنا المجد المعدّ لنا من الله، الذي أعدّ المجد السماويّ لأولاده. وهذا هو ثاني مفاعيل التبرير. وأمّا مجموع مفاعيل التبرير فهو السلام كما تقدّم. ورجاء المجد السماويّ. وسرور النفس في الأحزان لرجاء هذا المجد. وصيرورتنا من أولياء الله وخلّائه. وتبنيّنا له تعالى. وأجر الحياة الأبدية. كما سنرى.

٣. وليس هذا. الافتخار. فقط بل إننا نفتخر بالضيق أيضًا. وتطيب أنفسنا في الشدائد والأحزان والاضطهادات. ولو كانت مما يعافه الجسد ويأباه، فهي لنا خير عظيم، إذ إنها توطيد رجاء المختارين للمجد الأبدي، وبها يلزمنا أن نتوصل إلى هذا المجد، كما لزم المسيح أن يتألم ثم يدخل مجده. قالت الأعمال (ف ١٤). بالشدائد الكثيرة يلزمنا أن ندخل ملكوت السماء. لأننا نعلم أن الضيق يكمل فينا الصبر. وفي اللاتينية: عالمين أن الضيق ينشئ الصبر. أي أن الصبر يتحصّل ويمتلك بالضيق والشدائد، وهو غرض الله في إنزالها. وكلام الرسول على الكاملين الأقوياء الذين تزيدهم الشدة قوة وصبراً، لا على الضعفاء الذين توهنهم الضيقة فتغلبهم. ٤. والصبر الامتحان. أي والصبر ينشئ فينا الامتحان ويكمله، إذ بالصبر والاحتمال يُختبر الإنسان في ما هو عليه من اعتبار الله ومجده. قال الحكيم (ف ٢): بالنار يختبر الذهب والفضة، وبأتون التجربة الإنسان (وقد جاء: عند الامتحان يكرّم الرجل أو يهان). والامتحان الرجاء. أي أن الامتحان يزيد فينا رجاء المجد الأبدي ويقوّيه، على أن من امتحن أن الشدائد لم تقطع بينه وبين الله، ولا استمالته عن الفضيلة، ولا أخرجته عن الإيمان، يزداد قوة في رجاء الملك السماوي. قيل في حك ٣: إن الله امتحنهم فوجدهم أهلاً.

٥. والرجاء لا يخزي لأن محبة الله مفاضة على قلوبنا بالروح القدس الذي أُعطيناه. أي وما بنا من رجاء الملكوت الأبدي لن يخيب، بل لا بدّ من حصوله وبلوغه لبنائه على مواعيد الله الصادقة الوثيقة. ثم لأن الله قد أحبنا وأعطانا عطايا كثيرة، وأولانا روحه القدس كوثيقة لرجائنا؛ فما قد أُعطيناه يحقق لنا ما نرجوه. وفي قوله محبة الله هنا اختلاف. قال بعضهم: هي محبة الله بنفسه لنا، وقد فاضت في قلوبنا بما أوتيناه من نعم الله. وقال آخرون: إنها محبتنا لله وقد جعلها الله في قلوبنا لنحبه بها، وبحسبها لا يخزي رجائنا لأنه تعالى قد أعدّ الملكوت للذين يحبونه. وذهب غيرهم إلى أن المراد بها كلتا المحبتين. على أن محبة الله فاضت علينا بالمحبة التي هي أفاضتها في قلوبنا، وكان ذلك بعطايا الروح القدس. ٦. وإن كان المسيح مات لأجل ضعفنا في

هذا الزمان عن المذنبين. فهل يعود الله يخيب رجاءنا. أي ومما يوثق لنا، أن رجاءنا للملكوت السماوي لن يخيب، كون الله أعطانا ابنه يسوع المسيح، فمات بدلنا في هذا الزمان، ونحن مجرمون دنفون قد أمرضتنا الخطايا وأنحلتنا الآثام. يريد: إن كان المسيح أحبنا حتى مات لأجلنا ونحن خطاة، فأولى أن يُنجز لنا وعد الملكوت السماوي ونحن أبرار أذكيا من أوليائه وخلّائه. لأنه لا يكاد يموت أحد بدل المذنبين.

٧. وأمّا الصالحون فربّما يجسر امرؤ أن يموت عنهم. ٨. فمن هنا أظهر الله محبته لنا. إذ بذل ابنه للموت من أجلنا ونحن وقتئذٍ خطاة مجرمون وأعداء له، مع أنه لا يكاد أحد يموت بدل المذنبين. وأكبر أدلة المحبة عند الناس، أن يموت رجل بدل رجل بارّ قد أحسن إليه. ٩. وإن كان مات المسيح لأجلنا إذ كنّا بعد خطاة، فكم بالحريّ نتبرّر الآن بدمه وننجو به من الغضب. وفي اللاتينية: فأولى بكثير أن ننجو به ونحن متبرّرون بدمه من الغضب. أي: إن كان المسيح هدر كلّ دمه من أجلنا ونحن خطاة أعداء لأبيه، فأولى أن ينجّينا، ونحن قد تبرّرنا بدمه وصرنا أولاداً لأبيه، من العذاب المعدّ للأشرار الملاعين. فتأمل ذلك أيها المؤمن المتدينّ فيتوطّد فيك رجاء المجد السماوي. ١٠. وإن كان الله، إذ نحن عداة، رضي عنا بموت ابنه فأحرى الآن بمصالحته أن نحى بحياته. أي وإن كان المسيح استرضى الآب عنا، ونحن عند ذلك أعداء له، فأولى أن يخلّصنا ونحن خلّان له، ويحيينا معه الحياة السعيدة الأبدية. وإن كان وهو مائت متألم عمل لأجلنا ما عمل، فما تُرى يعمل لأجلنا وهو حيّ قدير ممجّد. وهل يخيب فيه رجائنا والرجاء لا يخزي؟ ١١. وليس هذا فقط بل إننا نفتخر بالله برّبنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة. أي: لا نفتخر برجاء مجد الله وبالضيق فقط، بل نفتخر أيضاً بالله الآب في كونه سالماً وتبّاناً. ونفتخر بيسوع المسيح شفيعنا ووليّ مسالمتنا.

آدم ويسوع المسيح

١٢٦. ثمَّ كما أنَّه بإنسان واحد دخلت الخطيَّة إلى العالم. هذا زيادة بيان لما قرَّره الرسول قبلاً، من مسألة الله لنا وفرط محبة المسيح إيانا، وفيه يقابل بين آدم والمسيح، إيضاحاً لإساءة آدم ومواساة المسيح. أي وفوق ما قلناه في شأن محبة المسيح، نقول: كما أنَّه بآدم وصلت الخطيَّة إلينا، هكذا بالمسيح آدم الثاني، ذهبَتْ عَنَّا وأصبنا البرَّ. وبالخطيَّة الموت. أي بالخطيَّة دخل الموت، والمراد بالموت هنا بالخصوص موت الجسد. وهكذا عمَّ الموت جميع الناس لأنَّهم جميعهم أخطأوا. أي والموت الذي نال آدم بذنبه وخطيَّته، قد تناول جميع الناس أولاد آدم، لأنَّهم أخطأوا في شخصه حين أخطأ. إذ كانوا في صلبه بعدُ، فكانوا منضمِّين تحت من حيث هو أصلهم ومخرجهم. قال القديس أغوستينوس: إنَّ الجميع أخطأوا في شخص آدم، إذ لم يكونوا حينئذٍ غير آدم.

١٢٧. لأنَّ الخطيَّة قد كانت في العالم إلى وقت الناموس، إلَّا أنَّها لم تكن تحسب خطيَّة إذ لم يكن ناموس. أي إنَّ الخطيَّة نعم قد كانت في العالم قبل إنزال الناموس، إلَّا أنَّها لم تكن تُحسب قبل إنزال الناموس حسبانها من بعده، إذ تغلَّطت بسببه من جانب التعديِّ والمجازة. وقبل تنزيله، لم يكن هذا التعديُّ على أنَّه لا تعديُّ حيث ليس ناموس كما مرَّ. وأمَّا ما ذاقه البشر من العذاب بخطاياهم قبل إنزال الناموس، كالطوفان والحريق وغير ذلك، فكان لتعديهم ناموس الطبيعة في ما هو ظاهر فاحش، فاستنزل عليهم انتقام باري الطبيعة. ١٢٨. مع أنَّ الموت قد تسلَّط من آدم إلى موسى حتَّى على الذين لم يُخطئوا شبه معصية ناموس آدم الذي هو شبه المزمع. أي وإن لم تكن الخطيَّة تُحسب قبل الناموس، إلَّا أنَّ الموت كان متسلِّطاً في العالم، يغتال الناس من آدم إلى موسى، أي إلى أن أنزل الناموس، لأنَّ الموت دخل بالخطيَّة وبقي متسلِّطاً على البشر، سواء كانت تحسب الخطيَّة أم لم تكن تحسب، وسواء كان الذين يأتيهم الموت ممَّن أخطأوا وباشروا الإثم بأنفسهم مثل آدم أم لم يكونوا أخطأوا مثل الأطفال. فإنَّهم ماتوا، مع أنَّهم لم يباشروا خطيَّة بأنفسهم. فموتهم

دليل على أنَّ خطيَّة آدم وصلت إليهم وعمَّتْهم. فكان آدم في ما جرَّه إلى الناس من الموت والخطيَّة وباقي الشرور، مقابلاً لآدم الثاني وهو المسيح الذي آتاهم البرَّ والحياة. وقد كانوا خطأة أمتهم آدم الأوَّل، فأحياهم الثاني.

١٢٩. ولكن ليست العطية على قدر الزلَّة. أي ما حاق بالبشر من غوائل خطيَّة آدم، لا يعادل ما أصابوه من نعمة المسيح كالوفاء والفداء وتقرير النعمة والغفران وغير ذلك، كما سنرى. لأنَّه إن كان بإساءة واحد مات كثيرون، فأولَى أنَّ نعمة الله وعطيَّته تزداد لكثيرين من أجل إنسان واحد هو يسوع المسيح. يريد بالكثيرين هنا الكلَّ، بحجَّة ما قاله قبلاً (عمَّ الموت جميع الناس) وما يقوله بعد في ١٩٩ (صار الشجب لجميع الناس). وقد عبَّر عن الكلَّ بكثيرين، دلالة على كثرة أولاد آدم، لأنَّ لفظة كلَّ أو جميع لا تدلُّ على الكثرة، فإنَّ الكلَّ قد يكونون قليلين. والمعنى: وإن كان كثيرون ماتوا بذنب آدم، فأولَى أنَّ ينال الكثيرون كثرة النعمة والخير بيسوع المسيح، إذ إنَّ العطية أكثر من الزلَّة.

١٣٠. وليست العطية على قدر جرم واحد. لأنَّ الحكم إنَّما كان بواحد للشجب، وأمَّا العطية فمن أجل خطايا كثيرة صارت للبرِّ. أي: وعطيَّة المسيح ليست على قدر خطيَّة آدم. فإنَّ آدم أفسد الجميع بخطيَّة واحدة، وأمَّا المسيح فلا يؤتِي التبرير من هذه الخطيَّة فقط، بل من خطايا كثيرة عديدة، أي من كلِّ ما اقترَف الناس ويقترفون من الخطايا. ومن أجل خطيَّة آدم، قُضي على الجميع بالهلاك. وأمَّا عطية المسيح فعن خطايا كثيرة حصلت للبرِّ، أي حصلت للتبرير من خطايا كثيرة. فالمقابلة هنا بين العطية والزلَّة، وبين التبرير والشجب. فتأمَّل. ١٣١. لأنَّه إذا كان الموت تسلَّط من أجل ذنب إنسان واحد، فأحرى أنَّ يملك الذين نالوا كثرة النعمة والعطية والبرَّ في الحياة بيسوع المسيح. قال تاوافيكتوس: إنَّ آدم أنشأ للموت ملكاً في العالم. وأمَّا المسيح فإنَّه أنشأ للحياة ملكوتاً تسامى في النعمة والبرَّ وكلَّ خير، وفيه نصبنا ملوكاً لنحيي هنا حياة النعمة وفي السماء حياة المجد الثابتة. فإنَّ الحياة والملك والخلود والعزَّ، أحبُّ ما يكون إلى الإنسان، وأكثر اعتباراً لديه، وهذه كلُّها جعلها المسيح في ملكوته.

١٨٠. فإذا، كما أنه بذنب إنسان واحد صار الشجب لجميع الناس، هكذا تكون الحياة ببرّ إنسان واحد لجميع الناس. أراد بالحياة هنا التبرير المورث الحياة، وبرّ إنسان واحد استحقاق المسيح. وكما أنه يُستلزم لالتحاق خطيئة آدم الاتّلاذ من زرعه، يُستلزم للاشتراك ببرّ المسيح اتّلاذ الروح منه بالعماد، الذي يبعثنا من موت خطيئة آدم إلى حياة البرّ التي بالمسيح. ١٩٠. لأنه كما صار كثيرون خطاة بمعصية إنسان واحد، هكذا صار كثيرون أبرارًا بطاعة واحد. يلزم من ذلك أن خطيئة آدم كانت معصية، أي عن حركة الكبرياء الداخلية التي بها أحبّ أن يعصي الأمر الإلهي. وهذه الحركة تقوم بعدم الخضوع لله وامتنال وصاياه. ومن ثمّ تكون المعصية خطيئة عامّة لا تخلو منها خطيئة، كما قال الحكيم: بدء كل خطيئة الكبرياء. وأمّا آدم الثاني الذي هو المسيح، فقد أخلص الطاعة لأبيه وامتنال حكمه عليه بالموت، وكانت طاعته عن محبته لأبيه ولنا، وذلك يقال: إنه مات عن محبة.

لنا في ما قاله الرسول في شأن خطيئة آدم، اعتبارات مفيدة في العقيدة، ودفع إغواء المبتدعين. فاعلم أولاً أن خطيئة آدم بعينها، التحقت بجميع البشر حتّى الأطفال، لا بمعزلاتها فقط. فإنّ الرسول قال: وبالخطيئة دخل الموت. فالمراد إذا حقيقة الخطيئة ونفسها، وهي قد اتّصلت إلى الجميع، لا بطريق الاقتداء والتشبه بل بطريق التسلسل والتناسل الطبيعي. فإنّ الرسول قرّر دفعات، أن الخطيئة دخلت إلى العالم بآدم دخول البرّ برّبنا يسوع المسيح. ومن المعلوم أن البرّ اتّصل إلينا بنفسه وحقيقته باتّلاذنا بالروح في يسوع المسيح. فإذا والخطيئة كذلك قد اتّصلت إلينا، لا بمفاعيلها فقط، بل هي هي بعينها شملت أهل العالم لأنهم قد أخطأوا في شخص آدم، إذ كانوا منضمّين تحته وضواوين في شخصه، من وجه كونه أصلهم وأباهم، انضماماً أدبيّاً حسب حكم الله. وإلّا فكيف يتصوّر الخطأ في الجميع حتّى الأطفال، كما قال الرسول في آ ١٤، حيث استدللّ بتسلط الموت على الأطفال أنّهم أخطأوا في شخص آدم.

ثانياً، أن الرسول لم يذكر خطيئة حواء امرأة آدم، في كلامه على الخطيئة

الأصليّة أنّها سرت إلى الجميع. فمن ثمّ يتصادق أنه لو لم يخطئ آدم لما اتّصلت إلينا خطيئة حواء، التي أخطأت قبل آدم.

ثالثاً، إنّ الرسول برهن بشمول خطيئة آدم على شمول برّ المسيح. إذ إنّ اليهود كانوا يسلمون بانتشار خطيئة آدم وشمولها للجميع، وينكرون شموليّة برّ المسيح، فبيّن لهم الرسول أن شمول البرّ للجميع بالمسيح أليق وأجدر بالله من شموليّة الشجب للجميع بآدم، كما سبق. وغبّ ذلك أخذ يعزينا لما ألمّ بنا من غوائل خطيئة آدم، بما عدّده من منافع برّ المسيح، كمحو كل الخطايا لا خطيئة آدم فقط، وبذل عطايا ومواهب ما كانت في البرّ الأصلي، كالصبر والشهادة والتوبة والبتوليّة والرسالة والثبات، مع وهن الطبيعة وضعف البنية وشوكة الأعداء وغير هذه كثيرة.

فلم تكن العطية على قدر الزلّة، ولم يكن في نعمة المسيح خلاص لذريّة آدم فقط، بل لكثيرين من البشر والعالمين الباقين في حيّز العدم والإمكان. فغير مأسوف إذاً على تلکم الحالة التي كان عليها أبونا آدم قبل المعصية، وإن تكن فينا حدة الشهوة، ولم تكن فيه، إذ إنّها صارت لنا بالمسيح مضماراً للجهاد والغلبة. وإن فاتنا عود الحياة الذي كان في الفردوس الأرضي، فقد أعاضنا المسيح عنه خبز الحياة وهو جسده الطاهر الكريم. وإن كان قضى علينا بالموت الزمني، فإننا سنقوم بالنفس والجسد إلى حياة المجد الغابرة التي لا يقرضها موت ولا فناء. قال فم الذهب في خطبته على تفاوت عطية المسيح: إنّ المسيح لم يضمّد جراحنا ويداً أدواءنا فقط، بل قد أولانا من القوّة والجمال والعزّ والمجد ما يفوق منزلة طبيعتنا بكثير، فكان ما أوتيناه بالنظر إلى ما يحقّ لنا، كالبحر الجمّ العرمرم بالنظر إلى قطرة الماء اليسيرة.

٢٠٠. وإنّما كان دخول الناموس لتكثر الخطيئة. خاف الرسول من قوله في آ ١٣: إنّ الخطيئة كانت في العالم حتّى الناموس، أن يتوهّم منه المتوهّم أن الخطيئة ما بقيت في العالم بعد الناموس، فردّه هنا بقوله: لا بل إنّ الخطيئة ازدادت وتكاثرت بالناموس، كأنّ الناموس صار علّة لزيادتها، مع أنه لا يخفى

أنَّ الناموس إنَّما أنزل لبيان الخطيَّة والكشف عن شرورها وأضرارها. ولكن بسببه، اتَّفَق أن تغلَّظت الخطيَّة وتزايدت وذلك من جانب المخالفة والمجاوزة، كما مرَّ قبلاً. وحيث كثرت الخطيَّة تفاضلت النعمة. أي لما تكاثرت الخطيَّة وتناهى العالم في الشرور إلى أقصى ما يكون، جاء المسيح وأفاض على الدنيا بحور النعم والعطايا. ٢١١. وكما أنَّ الخطيَّة تسلَّطت بالموت، هكذا تملك النعمة بالبرِّ للحياة الأبدية بربِّنا يسوع المسيح. أي كما أنَّ الخطيَّة تسلَّطت في العالم ومدَّت مملكتها بواسطة الموت، حيث ساقَت الناس كلَّهم إلى ورود مترعه، وما برحت تسوقهم إليه، هكذا النعمة تتملَّك بالمسيح، وتؤتي البشر من البرِّ ما يتوصَّلون به إلى الحياة الأبدية.

الفصل السادس

من الرسالة إلى رومية

يتضمَّن اصطباغنا بالمسيح وموتنا عن الخطيَّة وقيامتنا إلى حياة جديدة، بمَثَل موت المسيح وقيامته، ثمَّ تحميلَ المسيحيِّ على نقض عهود الخطيَّة وخلع نيرها وتزوين جندية المسيح للذين يلحقون به.

الحياة مع المسيح

١١. فماذا نقول إذا: أنقيم على الخطيَّة لتكثر النعمة؟ أي إن كانت النعمة كثرت حيث كثرت الخطيَّة كما قلنا، أفبقى في الخطيَّة ونزيد في إتيانها، لتزداد لنا النعمة على ما توهَّم بعضٌ وساء ما يتوهَّمون. ٢٢. حاشى. أي لا. بل يلزم أن نبين الخطيَّة ونبعد عنها لتحصل لنا النعمة وتكثر. مضى في ٣: ٨ مثل هذا الوهم الفاسد. وفي هذا الفصل يرُدُّ على ذلك كما سنرى. لأنَّنا إذا متنا عن الخطيَّة كيف نحى فيها بعدُ. أراد بالموت عن الخطيَّة تركها واجتنابها. كما أراد بالحياة في الخطيَّة القيام فيها ومواصلتها. والمعنى أنَّه ليتنافى أتباعُ المسيح، ومتابعةُ الخطيَّة تنافي الحياة والموت، أو تنافي تعامل الحيِّ والميت. أي، من حيث قد متنا عن الخطيَّة وهجرناها، ما عاد يتوقَّع لنا أن نعيش فيها، على أنَّ التنصُّر والخطأ من المتنافيات.

٣١. أولاً تعلمون أنَّنا نحن الذين اصطبغنا بالمسيح إنَّما اصطبغنا بموته؟ أي نحن النصارى الذين عُمدنا باسم المسيح وقوَّته، فقد عُمدنا على مثال موته. إذ إنَّ موته لم يكن علَّة تبريرنا فقط، بل مثلاً له أيضاً، فكما مات المسيح عن

الحياة الفانية، يجب علينا نحن أن نموت عن الخطيئة ونفارقها. ٤. لأننا قد دُفنا معه في المعمودية للموت، حتى إنه كما قام المسيح من بين الأموات بمجد أبيه هكذا نسلك نحن بحياة جديدة. أي ولما كان موت المسيح وقيامته مثالاً وصورة لموتنا عن الخطيئة وقيامتنا للبر، وجب علينا أن نقوم من مدافن الخطيئة إلى حياة جديدة بارّة، وسيرة حسنة تليق بمن هم من أولاد الله، كما قام المسيح إلى حياة جديدة خالدة تليق بمن هو ابن الله. وفسر بعضهم قوله بمجد أبيه تفسيراً غير هذا، حيث فهموا بمجد أبيه قوّة أبيه الحيدة. أي أن المسيح قام من الموت بقوّة أبيه الحيدة. وأمّا قوله: دُفنا معه للموت، فهو لتنبئنا إلى أن موتنا عن الخطيئة ينبغي أن يكون بدون انقطاع، أي موتاً دائماً متواصلاً.

٥. فإن كنّا غُرسنا معه بشبه موته نقوم بشبه قيامته. أي وإن كنّا قُلعنا، من أرض الإنسان العتيق الجديدة، وغُرسنا في حقل المسيح المقبل في العمداد الذي فيه شابها المسيح بموته، فلا بدّ أن نشابهه بقيامته أيضاً، بأن نقوم إلى حياة البرّ هنا، ثمّ حياة المجد في الآخرة. على أن من جعل له أن يشارك المسيح في منافع قيامته الممجّدة، فقد حقّ عليه أن يشاركه في التألّم والموت بموته عن الخطيئة وحياته بالبرّ والقداسة. ٦. إننا نعلم أن بشرنا القديم قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطيئة ولا يعود يخدم الخطيئة. أي يجب علينا أن نموت عن الخطيئة ونحيا في البرّ والقداسة، لاعتبارنا أن طبيعتنا الخبيثة الفاسدة قد ماتت في العمداد، مصلوبة عن الخطيئة على شبه موت المسيح مصلوباً، وذلك لملاشاة جسد الخطيئة، أي لملاشاة مجموع الخطايا. فعلى كلّ مسيحي أن يميت فيه هذا الجسد الفاسد القدر، ويقطّع أعضائه الخبيثة التي هي الكبرياء والشبق والطمع وما أشبه، حتى لا تعود الخطيئة تتولّى عليه وتستخدمه في متابعة أهوائها. واعلم أن المعبر عنه بالإنسان القديم هنا، هو الطبيعة البشرية التي فسدت بآدم، أو هو السيرة القديمة الفاسدة، كما سنرى بيان ذلك في الفصل السابع. وأمّا صُلب هذا الإنسان مع المسيح، فهو في العمداد، على أن العمداد تمثيل لصلب المسيح، إذ نصلب فيه أعضائنا عن القبايح والشهوات الشريرة، وفيه تنجّر إلينا منافع صلب المسيح الذي أَمَات هذا الإنسان في صلبه بِمَحَوِّه خطايا البشر.

٧. لأنّ الذي مات قد أُعتق من الخطيئة. فكما أن العبد يُطلق بالموت من عبوديّة مولاه، حتى لا يعود له عليه ولاية، ولا حقّ كذلك نحن: فإننا بموتنا في المعمودية أُعتقنا من عبوديّة الخطيئة، فلم يعد يحقّ علينا ولا لنا أن نخدمها بعد. وكما أن الميت لا يتبقّى له أن يُعمل عضواً من أعضائه في خدمة الخطيئة. ٨. فإن كنّا متنا مع المسيح فنؤمن أننا سنحيا أيضاً معه. أي وإن كنّا متنا عن الخطيئة مع المسيح، الذي مات من أجل الخطيئة، فعندنا مؤكّد عين اليقين أننا سوف نتمتع معه في الحياة السعيدة الممجّدة. والذي يؤكّد لنا ذلك هو وعد المسيح. تأمل في الرسول كيف يزيّن للمؤمنين القيامة من الخطيئة بالقيامة الممجّدة في الآخرة. وارغب أنت في القيامة هنا ليتحقّق لك أن تقوم الآخرة. ٩. وإننا نعلم أن المسيح قام من بين الموتى ولن يموت بعد ولن يتسلّط عليه الموت أيضاً. يشير بهذا إلى أنه لا يكفي أن يقوم المسيحي من موت الخطيئة، بل يلزمه أيضاً أن يقيم على البرّ والقداسة في حياة جديدة، بدون عود إلى الإثم بمثل أن المسيح قام ولن يموت بعد.

١٠. لأنه من حيث إنه مات فقد مات للخطيئة مرّة واحدة وأمّا من حيث إنه حيّ فهو حيّ لله. يعني أن المسيح مات مرّة واحدة لملاشاة الخطيئة، وكان موته مثالاً لموتنا عن الخطيئة. ثمّ قام من الموت إلى حياة جديدة، في إكرام الله ومحبته، على ما أوّل بعضهم. وأوّل غيرهم قوله: «فهو حيّ لله» تأويلاً آخر، وهو أن المسيح حيّ في حياة مكرّمة ممجّدة تليق بمن هو من الله. ١١. فكذلك احسبوا أنتم أنفسكم أيضاً أمواتاً للخطيئة ولكن أحياء لله برّبنا يسوع المسيح. أي كما أن المسيح مات ثمّ حيّ لإكرام الله وتمجيده، كذلك أنتم فاعتبروا أنفسكم أنكم متّهم عن الخطيئة في العمداد مرّة واحدة. وأمّا بعد فيلزم أن تحيا حياة بارّة مقدّسة لا يعقبها موت الخطايا بعد، وذلك بقوّة المسيح واستحقاقه. ١٢. فلا تملكنّ إذاً الخطيئة في جسدكم المائت لتطيعوا شهواته الشريرة القبيحة. شبه الرسول الخطيئة بملك، ولذلك جعل لها الولاية والتملك، كما جعل عبوديتها والخضوع لها في موافقة أهوائها واتباع أميالها. وهنا يحثّ المؤمنين على معاندتها ومجانبة أميالها، إذ إنّها لا تتسلّط علينا بدون رضانا وقبولنا.

وقد ذكر الجسد أنه مائت تنبيهاً لنا إلى أن محاربة الخطيئة قصيرة لقرب زوال الجسد، فيفيدنا هذا الاعتبار إقداماً على قهر شهواتنا وعدائنا.

١٣١. ولا تهيئوا أعضاءكم سلاح إثم للخطيئة، بل سلّموا أنفسكم لله كأنكم أناس حييتم من الأموات، ولتكن أعضاؤكم سلاح بر لله. أي ولا تستخدموا بعد أعضاءكم في عمل الشر والخطأ، كأنها أسلحة تحاربون بها لأجل شأن الخطيئة في عملكم ما تريده منكم من القبيح المنكر، بل قدّموا كل جسدكم لله، وأعملوا أعضاءكم في الخير والصلاح، كما يحقّ على من ماتوا عن الخطيئة وحيوا حياة جديدة طاهرة في المسيح. أعلم أن في النفس ملكين متنافيين: ملكاً للخطيئة وآخر للبر. فالخطيئة إذا أحبّت توسيع ملكها، استخدمت في ذلك أعضاءنا كأسلحة، بإعمال لساننا مثلاً في القدح، ويدنا في الضرب الظالم وما أشبه. كذلك البر. فإنه يستعمل أعضاءنا في تكبير ملكه، عكس استعمال الخطيئة، إذ استعمل أيدينا في بذل الصدقات، وألسنتنا في تسبيح الله، وعيوننا في الدروس الحميدة المفيدة إلى غير ذلك. وبهذا الاعتبار دعا الرسول أعضاءنا أسلحة. ١٤١. فإن الخطيئة لا تسلط عليكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة. أي إن شوكة الخطيئة قد ضعفت، وأنتم قد تخلصتم من ثقل ولايتها، فصارت مقاومتها مستسهلة كثيراً، إذ إنكم لستم بعد في عهد الناموس الذي كان مرشداً لا مُسعداً معيئاً، بل أنتم الآن في عهد المسيح، حيث كثرت النعمة وتفاضلت. فهي تقويكم وتغلبكم على الخطيئة.

المؤمن في خدمة البر

١٥١. أفنخطئ إذا لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟ حاشى. أي من حيث قد صرنا في حرّية النعمة، أيسوغ لنا أن نحترق الناموس ونخالفه؟ كلا، بل قد توجّب علينا أن نتّمّ الناموس ونحفظه تمام الحفظ، لأننا تقوينا بالنعمة على حفظه وتتميمه. ١٦١. أو ما تعلمون أن الذي تسلّمون له أنفسكم

لتطيعوه للعبودية إنما أنتم عبيد الذي تطيعون للخطيئة كان أو لاستماع البر. أي لا يتوقّ لكم أن تخدموا الخطيئة والبر معاً، فالذي تخدمونه منهما، فأنتم عبيد له. ولكن فاذكروا أنكم في المعمودية نقضتم عهود الخطيئة، وأبقتم من عبوديتها، والتزمت أن تتعبّدوا للمسيح وتمثلوا إنجيله. فإياكم والرجوع إلى عبودية الخطيئة، فإن أجرها الهلاك الأبدي، وأجر خدمة المسيح الحياة السعيدة الخالدة. فلا تكونوا من الجاهلين. ١٧١. فشكراً إذا لله لأنكم كنتم عبيداً للخطيئة وأطعتم من القلب رسم العلم الذي أسلمتم له. أي لأنكم نبذتم عبودية الخطيئة، وبادرتم إلى استماع الإنجيل، كما رسمه لكم من بشروكم وعلموكم، وكان استماعكم عن خلوص وطيب نفس لا بالظاهر والكره.

١٨١. وحين أعتقتم من عبودية الخطيئة صرتم عبيداً للبر. أي والشكر لله أيضاً، على أنكم أعتقتم من عبودية الخطيئة المذلة، وصرتم في عبودية مُجَلَّة، وهي البر الذي فيه تقوم العبادة لله. ١٩١. وأقول كما يقال بين الناس من أجل ضعف جسدكم: كما أسلمتم أعضاءكم لعبودية النجاسة والإثم، هكذا أسلموا أعضاءكم لخدمة القداسة والبر. أي إن ما أطلبه منكم هو ممّا يُطلب بين الناس، أي هو مستسهل هيّن، وهو أيسر لكم ودون ما يحقّ لله، على أن حقّ الله أن تخدموه وتخلصوا له العبودية والعبادة أكثر من الخطيئة. ومع ذلك، فلاجل ضعف طبيعتكم، أطلب إليكم أن تخدموه الآن تعالى اسمه، خدمتكم للخطيئة قبلاً. فاخدموا إذا أعضاءكم في عمل البر والصلح، كما أخدمتموها الخطيئة في عمل الشر والسيئات. ٢٠١. فإنكم حين كنتم عبيداً للخطيئة كنتم أحراراً من البر. أي لم تكونوا تعملون شيئاً ممّا يخصّ البر. والآن صرتم عبيداً للبر، فلا تعملوا بعد شيئاً ممّا يخصّ الخطيئة، على أن عبودية الخطيئة والبر من المتنافيات.

٢١١. فأني ثمرة كانت لكم حينئذ في تلك الأمور التي تستحون بها الآن. أي بماذا آجرتكم الخطيئة على تعبّدكم لها، إلا بالخجل والحياء الآن، ممّا كنتم ترتكبون من الفواحش والمنكرات التي استعبدتم أعضاءكم فيها. لأن غايتها

الموت. ٢٢٢. وأما الآن فلأنكم تحررتم من الخطيئة صرتم عبيداً لله فإن لكم ثماراً مقدسة عاقبتها الحياة الأبدية. أي إن العبودية للخطيئة تورث الخجل والموت الأبدي، خلافاً لعبودية البر، فإنها تورث صاحبها قداسة الأعمال والنفس ثم الحياة السعيدة الأبدية. ٢٢٣. لأن تجارة الخطيئة الموت وأمانة الله فهي الحياة إلى الأبد بسيّدنا يسوع المسيح. أي إن مكسب الخاطئ من متاجرته بالخطيئة إنما هو الموت الأبدي وأما المتدين المتعاطي تجارة البر والتقوى، فإن مكسبه الحياة الأبدية ونعم المكسب. فتأمل في ما يجزيك الله الكريم على عبادته، واعلم أن جزاءه يكون فوق ما يحق لك، كما قال جمهور العلماء على أن أوجاع هذا الزمان لا توازي المجد العتيد أن يظهر فينا. وبهذا الاعتبار دعا الرسول جزاء الله لعبيده منّة وهبة.

الفصل السابع

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن مواصلة ما قاله في الفصل السابق، عن زوال سلطة الناموس، وبرهانه لليهود المرتدين على أنهم ليسوا بعد تحت الناموس بل صاروا تحت النعمة، وبيان كون الناموس بسببه قويت الخطيئة. ومثل لهم نفسه في ما صار إليه بعد الناموس، كاشفاً عن حال الشهوة قبلاً وبعداً، وناح يشكو شوكتها في عموم البشر.

المسيحيّ محرّر من الشريعة

١١. أولاً تعلمون يا إخوتي (أقول لعارفي الناموس) أن الناموس مسلط على الرجل ما دام حياً. قال في الفصل الماضي في آ ١٤: إن ولاية الناموس بطلت لقيام ولاية النعمة مكانها. ثم أعرض عن هذا الأمر حتى انتهى الفصل، فعاد إليه موجّهاً كلامه إلى الذين يعرفون الناموس من اليهود. والمراد بتسلط الناموس على الإنسان، أمره للإنسان وتخويله إياه وحكمه عليه. وأما قوله: «ما دام حياً» فملتبس بين أن يكون عن الناموس أو عن الرجل. فردّه بعضهم إلى الناموس بتأويل أن الناموس له التسلط على البشر في الأمر والنهي ما دام ثابتاً غير ملغى وأما بعد إلغائه وإبطاله فلا يعود له ولاية عليهم. وردّه جماعة إلى الرجل بمعنى أن الناموس لا يتسلط على الرجل إلا مدى حياته. ولكن القول الأول أنس وأقرب.

٢٢. كالمرأة المرتبطة بالناموس. أي المرتبطة برجلها بحسب ناموس الزواج. ببعلاها ما دام حياً. فإذا مات بعلاها عتقت من ناموس بعلاها. ٢٣. فإن تعلقت

في حياة رجلها آخر دُعِيَتْ فاسقة فإذا مات بعلها عتقت من الناموس وليست بفاسقة إذا تزوّجت بآخر. آء. فالآن يا إخوتي أنتم قد مُتُّم للناموس بجسد المسيح لتصيروا لآخر وهو الذي قام من بين الأموات. وفيه يشبه الرسول الناموس بالبلع، واليهود بالمرأة، والأعمال بالأولاد، ومغزاه أن اليهود أعتقوا من رباط الناموس، لكونه قد أُلغي وأبطل بقياس أن المرأة تُعتق من رباط الزواج بموت بعلها، ولا إثم ولا جناح عليها إذا تزوّجت بعد بآخر. كذلك اليهود، فإنهم قد أعتقوا من رباط الناموس بإلغائه بموت المسيح المتجسد، كما سيأتي بيان ذلك في رسالة أفسس (ف ٢). فمن ثم ما عاد للناموس تسلط عليهم بعد لموته عنهم وموتهم عنه، بل قد تزوّجوا بعده بعريس آخر أشرف وأفضل كثيرًا، وهو يسوع المسيح الذي قام من الموت. وفي رسالة قورنثية الثانية، يشبه المسيح بالعريس في ف ١١. وفي رسالة أفسس يشبه الكنيسة بالعروس في ف ٥ كما ستري. واعلم أن قوله «قد مُتُّم للناموس» هو مكان أن يقول «مات الناموس» تطبيقًا للمثل، إذ قد قال: والمرأة إذا مات بعلها فتزوّجت بآخر لا تكون فاسقة. وقد عرفت أنه شبه الناموس بالبلع، فكان الأليق بالمقام أن يقول: مات الناموس. ولكن تحاشى ذلك مراعاة لخواطر اليهود، لأنهم كانوا يراعون حرمة الناموس كثيرًا. وأمّا بالنظر إلى مغزى المثل، فلا فرق كبير في ذلك، لأنهم ماتوا عن الناموس بموته عنهم، كما سبق وكما سيجيء في رسالة أفسس ف ٢. وأمّا قوله «بجسد المسيح» فأولّه بعضهم بجسد المسيح المصلوب الميت. وأولّه آخرون باتحادكم بجسد المسيح، بمعنى أنهم ماتوا عن الناموس بالتصاقهم بالمسيح في العمداء. كي تثمروا لله. أي لتعملوا أعمالاً صالحة مرضية لله، هي بمنزلة أولاد نجباء وُلدوا لكم من اقترانكم بالمسيح.

آه. لأننا إذ كنّا في الجسد كانت أوجاع الخطيئة التي من الناموس تهيج في أعضائنا لتثمر ثمارًا للموت. أي وقلت: كي تثمروا لله. لأننا إذ كنّا عاشرين في عهد الناموس، كانت عيشتنا بأثمار الأعمال الشريرة المورثة الموت، إذ كانت أهواء الخطايا وأميال الرغبات القبيحة تتلاعب فينا وتستخدم أعضائنا في ما قصدت، وكانت تهتاج إلى ذلك بسبب الناموس. فانظروا ما الفرق بين

اقترانكم بالناموس واقترانكم بالمسيح. آء. وأمّا الآن فقد عتقنا، بموت المسيح كما قلنا، من الناموس ومتنا لذلك الذي كان ممسكنا لكي نخدم الآن بجدة الروح لا بعق الكتاب. أي: وبموت المسيح واتحادنا به في العمداء، خرجنا عن رق الناموس الذي كان متوليًا علينا، لنخدم الله في حياة جديدة روحية لا في حياة جسدية حيوانية، كما كنّا في عهد الناموس العتيق الذي كان يُطلع الإنسان على حالته العتيقة وينهاه عن اتباع شهواتها، من دون أن يقويه ويسعده على معاندتها.

دور الشريعة في الماضي

٧. فماذا نقول إذا هل الناموس خطيئة؟ حاشى. أي لا ينتج أن الناموس في ذاته خطيئة، لقولنا فيه أنفًا إنه ناموس الموت وعامل الخطيئة، لأنه من الله وهو في ذاته مقدّس، وما كان إنزاله إلا لبيان الخطيئة وتعريفها. ولكن لم أعرف الخطيئة إلا بالناموس على أنني ما عرفت الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته. أي لولا الناموس المنزل، لما تحقّق لدى الناس أن الشهوة الداخلية خطيئة، لا بل من بعد إنزاله وُجد من توهم أن الشهوة الداخلية ليست بخطأ، وبيان ذلك بما ورد في مت ٥: ١٢ و ٢٨ حيث ردّ المسيح مثل هؤلاء، فبالناموس إذا قد عرفت الخطيئة حق عرفانها. ثم كما أن الخطيئة ما هي إلا مخالفة الشريعة في جنسها، كذلك لا يتأتى عرفانها إلا بالشريعة أو الناموس. آء. إلا أن الخطيئة اتخذت بهذه الوصية فرصة وعملت في كل شهوة لأن الخطيئة بدون ناموس كانت ميتة. يعني أن الشهوة كانت في الإنسان كأنها نائمة خامدة، وبإنزال الناموس تنبّهت واهتاجت وهيّجت معها بناتها ومتفرّعاتها، على أن الإنسان من طبعه مائل إلى المحظورات. فالناموس بزجره للإنسان عن اتباع شهواته الخبيثة، كان له كالحرك إليها وكالمهيّج لها. والحاصل أن الشهوة قويت في الإنسان بسبب الناموس، وتسعّرت نارها فيه أكثر من الأول. والشاهد ما ورد عن بني إسرائيل في سفر القضاة (الفصل الثاني): من أنهم بعد ما سمعوا وصايا الله عملوا كل

شيء خلافاً لها. على أن قوة الخطيئة بالشرعية. واعلم أن كلام الرسول هنا هو على الإنسان في ما كان عليه قبل إنزال الناموس، وما صار إليه بعد من جهة الشهوة كما تقدّم. ولكن قاله في ضمير المتكلم كلفاً بالحشمة لأنه على أمر منكر قبيح، ولكي يكون له بذلك توسعة لمجال المقال.

٩٩. وأما أنا فإنني عشت تارة بغير الناموس فلما جاءت الوصيّة عاشت الخطيئة ومّت أنا. ١٠٠. وصارت لي الوصيّة التي للحياة هي نفسها للموت. أشار الرسول هنا إلى ما كان عليه اليهود في مصر قبل إنزال الناموس. وقال الحجري وغيره: إنه أشار إلى زمن صباه حين لم يكن تعلّم الناموس، بمعنى أنه عاش حيناً قبل ما فقه الناموس الموسوي، فكان كأنه بغير ناموس، وكانت الخطيئة وقتئذٍ متناومة فيه، ولكن لما تعلّم الناموس، وبالخصوص الوصيّة الناهية عن الشهوة، تنبّهت فيه الخطيئة بنبّه الشهوة فيه وصار لتعدّي الناموس مستوجبا للموت الأبدي فكان الناموس له سبب الموت، مع أنه إنما فرض وترتب للحياة. ١٠١. لأن الخطيئة اتخذت بالوصيّة فرصة فأضلّني وقتلتني بها. أي بالوصيّة إذ إن الخطيئة تتحرّك بالناموس وتهتاج بالوصيّة، فتحمل الإنسان على ركوب المحظورات فتقتله كما سبق.

١٠٢. فالناموس إذاً ظاهر، والوصيّة مقدّسة عادلة صالحة. أي حاشى الناموس أن يكون خطيئة، كما وهم بعض. لا بل إن الوصيّة الناهية عن الشهوة وسائر وصايا الناموس، هي مقدّسة في ذاتها، لأنها تعلّم الإنسان القداسة وحسن العبادة لله تعالى. وعادلة، من حيث إنها تفرض لكل ما يحقّ له وتمنعه عن اشتها غير امرأته وما ليس له. وصالحة لكونها تهديه الطريق المستقيم، وتهذب عواطفه وشهوته، وتجعل أن تكون أفعاله مقدّسة صالحة. فالناموس إذاً طاهر لمن حفظه وعمل بما فيه، والشرعية مقدّسة لمن وافقها وامتثلها. ١٠٣. فهل صار الصالح موتاً لي؟ حاشى. يريد أن الناموس في نفسه صالح مقدّس، وأنه لم يكن هو بعينه موتاً له، ولكن لتعدّيه ومجاوزته جُزي بالموت. إلا أن الخطيئة من أجل أن تظهر خطيئة عملت في الموت بما هو صالح لتشجب الخطيئة

خاصّة بالوصيّة. المراد بالخطيئة هنا الشهوة الموصلة إلى الخطيئة. أي إن هذه الشهوة، لإظهار شوكتها وقوتها وإعلان غلاظة شرّها وخبثها، قد أوصلتني بسبب الناموس الذي هو صالح إلى الموت. وقد بلغت هي بسبب الناموس من الفحش والغلاظة أقصى مبلغ، إذ انتهت فنبتت في كلّ الشهوات، وحملتني إلى خرق الناموس عمداً، فجوّزيت بحدّ الموت. على أن الناموس إنما ترتب لشجب الخطيئة وتدميرها، لكن تحوّل بخبث الشهوة إلى تقوية الخطيئة ومدها.

الإنسان في قبضة الشرعية

١٠٤. وإنّا نعلم أن الشرعية روحية وأما أنا فجسديّ مبيع للخطيئة. أي ومن البين الواضح أن الشرعية لا ذنب عليها، في ما حصل لي من الموت، إذ إنها أي الشرعية روحانيّة تأمر بالعرف والصلاح، ممّا يجعل الإنسان روحياً خاضعاً للروح القدس ومخضعاً جسده لروحه. وأما أنا فإنني جسديّ، باعتبار ما يشوق جسدي مع أنه بسوء روحيّ باعتبار بنيتي الفاسدة وشهوة لحمي التي تستهويني إلى الخطأ. اعلم أن كلام الرسول هنا هو على ما كان هو عليه بوقته، كما قال أغوستينوس، وبرهن كورنيلوس وأستيوس على أن الإنسان ولو باراً في حالة النعمة، لا يخلو من دسائس الشهوة التي تحمله على ركوب الخطأ. إلا أن البار لا يطاوعها ولا يركب ما تحمله عليه، وقد بين الرسول ذلك في نفسه، لحثنا على المجاهدة والمقاومة. وفرّق لليهود بين حالة الإنسان تحت الناموس، إذ كان يوافق هذه الشهوة، وبين حالته تحت النعمة، حيث يحسّ بالشهوة تستعطفه إلى الخطأ، لكنّه لا يتابعها. فظهرت بذلك منافع النعمة والحاجة إليها قبل وبعد وفي كلّ حالة.

١٠٥. ولست أدري ما أعمل. أي لست أستصوب وأستحسن ما تعمله الشهوة فيّ من الحركات والإحساسات الفاسدة. وهذه بيّنة على أنني مبيع للخطيئة مسترقّ لها، إذ إنني أعمل ما تريده هي لا ما أستصوبه أنا وأريده. والمراد بالعمل هنا هياج الشهوة من نفسها العاري من رضاه. ويدلّ عليه قوله بعد لست

أنا بالفاعل هذا بل الخطيئة الحالة فيَّ. لأنَّ ما أريده فيَّياه لا أعمل بل ما أكرهه إيَّاه أعمل. أي إنِّي لأبغى ألا تتحرَّك فيَّ الشهوة وأتمنَّى ألا أحسَّ بها، لكنِّي لست بمستطيع ذلك ولا قدرة لي عليه، فأكابد اشتعال الشهوة في جسدي كرهاً وقسراً. فهذا الفعل لا يُعدُّ لي ولا هو من أفعالي البشريَّة. ١٦٦. فإن كنتُ أعمل ما لا أشاء فأنا شاهد للشرعية بأنَّها صالحة. أي إن كان عقلي لا يسلم بما تنشئه الشهوة فيَّ، وإرادتي لا تحبُّ ما يهواه جسدي من هذه الشهوة، فأنا موافق للشرعية القائلة: لا تشته. وشاهد لها بأنَّها صالحة وصادقة في ما تقول.

١٧٧. فما أنا الآن عامل هذا بل الخطيئة الساكنة فيَّ. أي يحصل ممَّا تقدَّم، أنَّ ما ينشأ فيَّ من الشهوات الرديئة ليس هو من أفعال عقلي وإرادتي، وإنما هو من أصل الشهوة الراسبة في بنيتي الفاسدة. ١٨٨. إنِّي أعلم فيَّ أي في جسدي لا يحلُّ خير. أي لقد عرفت ممَّا اختبرت وسبرت في جسدي الفاسد الشرير، أن ليس فيه خير. أي ميل إلى الخير، بل انصباب إلى الإثم والشر. لأنَّه يسهل لي أن أريد الخير. ١٩١. وأمَّا أن أعمله فلا أجد. أي: ومن حيث إنِّي تمَّن تبرُّروا وتجددوا، فيسهل لي حبُّ الخير وتهيئ الإرادة لعمله، بيد أنَّ الحسد وهنَّ ضعيف، لا بل معاند للروح، فلا يكاد يتأتَّى لي إنجاز ما أردت من الخير. قال القديس أغوستينوس في ك ١ في الزواج والشهوة ف ٢٩: «وأمَّا قول الرسول «فلا أجد أن أعمل الخير» أي أنجزه وأكمله فهو لأنَّ إنجاز الخير إنمَّا يحصل بزوال الشهوة الرديئة. كما أنَّ إتمام الشرِّ يقوم بمطاوعتها فلا يتمُّ الشرُّ ما بقيت هذه الشهوة غير مطاعة ولا ينجز الخير ما استقرَّت. وإنمَّا يحصل الخير من وجه مقاومتها وعدم مطاوعتها، ويحصل الشرُّ من وجه بقائها واستمرارها». وبهذا الاعتبار قال الرسول: لا أجد أن أنجز الخير وأتممه. لأنِّي لا أعمل الخير الذي أريد أن أعمل، بل الشرُّ الذي لا أريد أن أعمل إيَّاه أعمل. أي وقلت: «وأمَّا أن أنجز الخير فلا أجد» فمن وجه أنِّي أبغى ألا تنتشر فيَّ الشهوة ولا يتأتَّى لي ذلك، فأحبُّ أن لا أشتهي. مع ذلك، أشتهي وأودُّ لو أعمل الخير بطيبة نفس. وتنهض عليَّ الشهوة، فأرتدُّ عن ذلك حاسراً مبتئساً. وهذا تكرار لما مرَّ في الآية الخامسة عشرة فراجعها.

٢٠٧. فإن كنتُ أعمل ما لا أريد فلست أنا العامل بل الخطيئة الحالة فيَّ. وهذا أيضاً إعادة ما مضى في ١٧٧ هنا. ٢١١. فأجد الآن السنَّة موافقة رأيي المرید أن يعمل الخير. أي أنَّ الناموس موافق لعقلي النطقي في قبول الخير ورذل الشرِّ. لأنَّ الشرَّ قريب منِّي. أي: وموافقة الناموس لعقلي في ما ذكر ممَّا لا بدَّ منه لأنَّ الشرَّ نازل بالقرب من عقلي إذ هو مستقرُّ في جسدي: أي الميل إلى الشرِّ مفطور فيَّ، ولذلك كان من اللازم أن يكون عقلي مطابقاً للناموس في كره الشرِّ ونهيه وقبول الخير والأمر به. ٢٢١. وإنِّي لأفرح بناموس الله بالإنسان الباطن. أي أنَّ ناموس الله يسرُّ به عقلي ويتهلَّل به روحي، لأنَّه مقدَّس وعادل. ٢٣١. وأرى في أعضائي سنَّة أخرى تضادَّ سنَّة ضميري. أعني بالسنَّة التي في أعضائه ما في جسده من الميل والارتياح إلى الشرِّ. وعني بسنَّة ضميره سنَّة الله التي يفرح بها ضميره كما سبق. فتكون سنَّة الله وسنَّة الضمير واحدة، كما أنَّ ناموس الخطيئة وناموس الأعضاء واحد. والمعنى أنِّي قد اختبرت في جسدي شهوة حسَّية ضدَّ وصيَّة الله القائلة: لا تشته. وتسيني إلى سنَّة الخطيئة التي في أعضائي. أي وهذا الميل الذي في جسدي، يجرُّني كرهاً وقسراً إلى أن أحسَّ بثورات الشهوة وتهيجاتها. وما أنا بمستطيع أن أفلت من شرِّه وأسرِّه. وصادق الحال أنَّ الجميع في منزلة أسرى لدولة الشهوة، التي يُعبَّر عنها بسنَّة الخطيئة، من وجه أنَّها تحتُّ إلى الخطيئة وتحرِّض إلى ركوبها. ٢٤١.

فأنا إنسان شقيٍّ من ينقذني من جسد الموت هذا. أي من هذا الجسد الفاسد الخبيث، إذ إنَّه ما بقيَ فأنا لا أزال مسترقاً أسيراً لعبوديَّته المرَّة. قال القديس أغوستينوس: «والإنقاذ من جسد الموت عبارة عن شفاء الجسد من أدواء الشهوة وتحويله إلى المجد وعدم الموت». ٢٥١. فإنِّي أشكر الله بيسوع المسيح. وفي اللاتيني: نعمة الله بيسوع المسيح ربَّنَا. أي نعمة الله تنقذني من هذا الجسد الشرير المشوَّم، وتعطيني بدله جسداً كريماً غير مائت وذلك إذ تكون القيامة فأنا أشكر الله وأحمده إذ إنَّه سوف ينقذني من الجسد الفاسد. فأنا إذا بضميري عبد لسنَّة الله وأمَّا بجسدي فأنا عبد لسنَّة الخطيئة. أي إنِّي لن أبرح ما بقيت في هذا الجسد المائت موافقاً بنفسي وضميري لسنَّة الله الصالحة

القائلة: لا تشته. وأما بالنظر إلى جسدي، فأنا عبد رقيق، أي مكروه على تحمّل إشعارات الشهوة التي فيه وتسوّم ثوراتها الشديدة المرّة. قال القديس أغوستينوس: «إنّ حرب الشهوة (التي جرى الكلام عليها) تلازمنا مدى حياتنا، وما علينا إلاّ مدافعة ثوراتها ومقاومة حركاتها وسوف نخلو منها في الآخرة».

الفصل الثامن

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن قوّة الروح في المسيحيّين، بتوقيتهم من الهلاك، وتقويتهم على حفظ الشريعة، وإحادثهم عن طريق الجسد إلى منهج الروح. ثمّ الكشف عن حالة من وُلد بالروح، ثمّ حقيقة تصرّفنا والمجد المعدّ لنا، ومعاونة الروح لنا في الصلاة، وامتحان الله للذين اختارهم وما يحقّ لله علينا من وفاء المحبة وخلوصها.

حياة الروح

١١. فالآن لا جناح على الذين لا يسلكون حسب الجسد بيسوع المسيح. اعلم أنّ الرسول فرّق بين التعبّد لسنة الخطيّة في الجسد، وبين السلوك بحسب الجسد، بأن جعل التعبّد في الإحساس بثورات الشهوة وتهيّجاتها في الإنسان، كرهاً دون رضائه، وجعل السلوك في موافقة الشهوة ومتابعة أهواء اللحم، فقال هنا: لا ذنب على الذين لا يوافقون الشهوة المذكورة آنفاً، ولا يتبعون أهواء اللحم. وإن شعروا بحركات هذه الشهوة، فلا جرم عليهم ولا حرج، على أنّه لا إثم في الشعور بالحركات التي تهيج في الجسد بغير رضاء الروح.

١٢. لأنّ سنة روح الحياة التي بيسوع المسيح قد اعتقتك من سنة الخطيّة والموت. أي إنّ النعمة التي تقرّرت بيسوع المسيح، قد حرّرتنا وأطلقتنا من عبوديّة الشهوة التي هي سنة الخطيّة والموت، فانقلبنا نشعر بهذه الشهوة دون انغلاب لها. اعلم أنّ الرسول أراد هنا بسنة الروح، النعمة. وإنّما عزّاها إلى الروح لوجه أنّه موليتها ومانحها. ودعاها سنة، لأنها تحثنا وتحرضنا إلى المعروف

والخير. كما دعا أصل الشهوة سئة، من حيث إنه يحملنا على المنكر والشر. وقوله روح الحياة، بمعنى الروح الحبي الذي يؤتينا الحياة في الله هنا وفي الآخرة. وإنما أفيضت النعمة من هذا الروح في قلوبنا، لنصرنا في قتال الشهوة وإظهارنا عليها. فإياك أيها المسيحي والخضوع للشهوة. فإنك ترتد إلى عبوديتها، فتفتر النعمة عنك وتباينك. وإذا لم يكُ فيك روح المسيح، فما أنت مسيحياً.

٣. ومن أجل أن الناموس كان ضعيفاً لضعف الجسد أرسل الله ابنه في شبه جسد الخطية. أي ومن حيث إن الناموس قصر لفساد الطبيعة البشرية عن إنقاذنا من عبودية الشهوة، وما قوَّى على تقويتنا عليها ولا على حفظ الوصايا برمتها، بعث الله ابنه ليوليننا ما قصر عنه الناموس، فأثانا في شبه جسد خاطئ، بأن وُلد قابلاً للموت، وتحمل الهوان والشقاء، ثم ذاق الموت كأنه خاطئ، أي حلَّ به من البلايا ما هو واجب للخطاة. وأما قوله في شبه جسد الخطية، لا في شبه الجسد، فدلِيل على أن الجسد الذي أخذه المسيح قد كان جسداً حقيقياً لا خيالياً، كما وهم بعض الهرطقة، لكنَّه كان على شبه جسد الخطاة، لما تقدَّم فكان يظهر بادئ الأمر أنه جسد خاطئ، مع أنه كان طاهراً مقدساً باتِّحاده بالكلمة. من أجل الخطية لكي يشجب الخطية بجسده. وفي اللاتينية: ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد. أي وكان إرسال المسيح لإضعاف قوَّة الخطية ونزعها من ملكها، إذ إنها كانت قد تقوَّت وبانت خطية للغاية. ولما كان تقوُّيها واعتزازها بالجسد، وفيه كان ولاؤها، أحبَّ أن يكسر شوكتها بالجسد أي بجسده الطاهر، فتقرَّر الخلاص للبشر بالجسد بعد أن كان لهم فيه الهلاك. وبموت المسيح في الجسد، دان الخطية على شرِّها وجورها، خصوصاً في قتله وهو بريء لا ذنب عليه سوى أخذه شبه جسد الخطية، كما تأوَّله الذهبي الفم وغيره. إلا أنه ما لاشأها كلَّ الملائكة، بل كسر شوكتها فينا وأضعف قوتها وأذلَّ عزَّها، فبقيت على هذه الحالة الواهية، تُبرز فينا أميالاً شريرة رديئة. ولكن سوف يفنيها كلَّ الفناء حين يفصلنا عن هذا الجسد الفاني.

٤. لئتمَّ فينا برَّ الناموس نحن الذين لا نسلك بحسب الجسد بل بحسب

الروح. أي إنَّ المسيح أنجنا من ولاية الخطية، وأولانا القوَّة على إتمام الوصايا القائم فيها البرُّ المطلوب في الناموس. وإنما ندرك ذلك، لا بمطاوعة الجسد في شهواته، بل بمطاوعة الروح الهادي القدوس. آه. لأنَّ الذين هم بحسب الجسد إنما يهتمُّون بما هو للجسد وأما الذين بحسب الروح فيهتمُّون بما للروح. أي، وأما كون البرُّ لا يتحصَّل إلاَّ بموافقة روح المسيح، فهو لأنَّ الذين يسعون بحسب جسد لا يرتاحون إلى غير أهواء الجسد، ولا يفكِّرون إلاَّ بأعماله. وأما الساعون بروح المسيح، فهم لا يشغلهم سوى مرضاته، ولا يهتمُّون إلاَّ بمآثره. ٦. لأنَّ همَّة الجسد موت وهمَّة الروح حياة وسلام. أي إنَّ الاهتمام للجسد بموافقة شهواته الشريرة واتِّباع أمياله الفاسدة، يورث الموت له وللنفس خلافاً للاهتمام بما هو للروح. فإنَّ فيه حياة النفس والجسد، وفيه الراحة والسعادة والسلام في هذه الدنيا، وفي الآخرة على المجد والكرامة والسلام بكلِّ من يعمل الخير. ٧. من أجل أنَّ همَّة الجسد عداوة الله ولا تخضع لناموس الله لأنها لا تستطيع. أي، وأما كون همَّة الجسد تورث الموت، فمن وجه أنها عداوة لله ومخالفة لناموسه. ومن المستحيل أن يرضى الله عن موافقة شهوات الجسد الرديئة، إذ لا يتوفَّق أن يصير الخير شراً والشرُّ خيراً. وعلى ذلك لا يمكن لهمة الجسد أن توافق ناموس الله. ٨. والذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. أي والذين يعيشون بحسب أهواء الجسد ويوافقون أمياله الخبيثة، لا يمكن لهم أن يرضوا الله بذلك لما تقدَّم، ومن ثمَّ لا يجنون من أعمالهم غير الموت. لأنَّ الحياة السعيدة إنما هي بالله، وما إن يؤتيها الله إلاَّ لأوليائه وخلائئه. ٩. فأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله حقاً ساكناً فيكم. أي وأما أنتم الذين عمَّدتم وولدتُم بالروح القدس، فلستم بعد في عبودية الجسد، حتَّى توافقوه في شهواته ومآثره، بل قد صرتم تحت ولاية الروح، فحقَّ عليكم أن تطيعوا الروح وتعملوا بأمره ومرضاته. فإن كان أحد ليس فيه روح المسيح فهو ليس له. أي، وإذا كان أحدكم غير سالك بحسب روح المسيح، أو روح المسيح غير حالٍّ فيه، فمثلُ هذا ليس من أعضاء المسيح الحية، ولا من الأغصان المثمرة الثابتة في الكرمة، بل هو من الأغصان اليابسة المستوجبة

القطع. ومن المعلوم أن روح المسيح لا يسكن في الإنسان التابع أميال اللحم (لما ورد في تك ٦). وفي تسمية الروح القدس، تارة بروح الله، وتارة بروح المسيح، مع كونه روحاً واحداً، لنا بيّنة قاطعة في إثبات لاهوت المسيح وانبثاق الروح القدس منه انبثاقه من الآب، كما قال القديس أمبروسيوس في ك ٣ ف ٩ في الروح القدس. ١٠ آ. وإن كان المسيح فيكم فقد مات الجسد من أجل الخطيئة والروح حيٌّ من أجل البر. أي وإذا كان روح المسيح حالاً فيكم كما سبق، فيكون المسيح أيضاً حالاً فيكم بروحه ونعمته ومحبته. وإن كان الجسد فيكم صار عرضة للبلاء والفساد، ولا بد أن يموت قريباً بسبب الخطيئة التي جلبت الموت، لا بل كأنه قد مات، فالروح منكم يحييها روح المسيح الحال فيكم حياة النعمة بالبر. فلا تحزنوا من حيث الجسد قد مات بالخطيئة، لأن النفس حيّة ببر المسيح ونعمته حياة أفضل وأشرف. ١١ آ. وإن كان روح من أقام ربنا يسوع المسيح من بين الأموات ساكناً فيكم، فإن الذي أقام ربنا يسوع المسيح من بين الأموات يحيي أيضاً أجسادكم الميتة من أجل روحه الحال فيكم. أي وإذا كان فيكم روح الله الآب، الذي بعث المسيح من الموت، فالله الآب سوف يبعث أيضاً أجسادكم من الموت في القيامة، ويؤتيها عدم الموت، ويكسوها المجد والبهاء إجلالاً لروحه الذي حلّ فيها واحتراماً لها، لأنها كانت هياكل لروحه. فكما أن جسد المسيح بعث من الموت لحلول ملء الروح فيه، كذلك أجسادنا تبعث للمجد وعدم الموت لحلول هذا الروح القدوس فيها. وسوف تُعطى من المجد في قيامتها بقدر ما أخذت من غنى الروح في حياتها، كما أن جسد المسيح أُعطي في قيامته أسمى درجة من المجد لحلول كل ملء الروح فيه. فإذا لا يليق بنا أن نبتغي إلا لحلول هذا الروح فينا مدى حياتنا، لأنّ حلوله فينا بسعينا بحسبه كما تقدّم، يورث أجسادنا هذه القيامة الكريمة المجيدة. وأمّا الذين لم يحلّ فيهم، فنعم إنهم يُبعثون بأجسادهم لكن لا للمجد والراحة بل للهوان والعذاب. ١٢ آ. فنحن إذا يا إخواني حقّ علينا أن لا نسلك حسب الجسد، بل حسب الروح، لأننا أوتينا الحياة الجديدة بالروح، والمسيح نقلنا من حالة الجسد إلى حالة الروح لنعيش بحسب الروح، وأجسادنا سوف تبعث حيّة

بلا ممت لحلول الروح فيها. فوجب علينا ألا نسلك بحسب أهواء الجسد، بل بحسب مشيئة هذا الروح القدوس الذي قرّر لنا كل ما ذكر. ١٣ آ. لأنكم إن عشتُم حسب الجسد فستموتون. موت الخطيئة هنا، وموت الهلاك هنالك في الآخرة، ولن تُرزقوا القيامة السعيدة المشروطة على العيشة بحسب الروح. وإن أمتُم بالروح أعمال الجسد فتحيون. أي وأمّا إذا استعنتم بهذا الروح على معاندة أهواء الجسد ورغائبه، فيحييكم هذا الروح القدوس حياة النعمة والبر في الدنيا، وفي الآخرة يؤتي الحياة السعيدة المجيدة لأرواحكم وأجسادكم.

ابناء الله بالروح

١٤ آ. لأنّ الذين يتدبّرون بروح الله هم أبناء الله. أي لأنّ اقتبال الروح وحده لا يكفي لجعلكم أولاداً لله وورثةً لمجده، بل يلزم العمل بحسب هذا الروح أيضاً. قال القديس أغوستينوس: «إنّ الروح القدس يدبّرنا في ما يجب عمله، وليس هو وحده العامل لما نعمله، بل هو معين لنا في أعمالنا، وأعمالنا لا تُحمد إلا في موافقته وإرشاده». ١٥ آ. لأنكم ما أخذتم روح العبوديّة أيضاً للمخافة. أي ولتدربكم مثل التدرب المذكور، ما أخذتم في المعموديّة روح الخوف والوجل، كاليهود الذين كانوا يمتثلون شريعة الله وناموسه خوفاً من العقوبة والعذاب نظير العبيد. بل إنّما أخذتم روح ذخيرة البنين الذي به ندعو الآب أبانا. أي بل أخذتم الروح القدوس الذي به صرتم أبناء لله، وهو روح المحبة والمودة وبه صرنا ندعو الله الآب أبانا، لا باللفظ والقول فقط، بل بالمحبة والدالة كما تدعو الأولاد أباهم. فإنّ الله الآب أعطانا روحه في العماد وبه تبنّانا له، كما أعطى الناسوت كلمته، فصار المسيح المتأنس ابن الله حقاً، فصار يسوع لنا أن ندعو الله الآب أبانا كما يدعو يسوع المسيح. وهذا الشرف لم يحصل للناس إلا بعد تجسّد المسيح. وأمّا الأبرار والآباء من قبل التجسّد، فلم يكونوا يدعون الله أباهم نظيرنا، بل من حيث الخلقة والعناية، كما ورد في إش ٦٤ وفي حك ١٤. اعلم أن قوله روح العبوديّة، يريد به ما في قلوب العبيد في

خدمتهم وعملهم. وأشار به إلى الخوف الذي كان يحرك اليهود إلى امتثال أوامر الله كالعبيد لا كالبنين. وأراد بروح ذخيرة البنين نعمة الروح القدس أو الروح نفسه. ومعنى روح ذخيرة البنين روح التنبؤ، أي الروح الذي به يتبنانا الله. ١٦. **والروح يشهد لروحنا أننا أبناء الله.** يعني أن الروح القدس أرسله الله إلى قلوبنا، كما ورد في غل ٤ حيث قال: «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبنا يدعو الآب أبانا». فدعاء هذا الروح هو شهادة لروحنا، الذي حسب إرشاد هذا الروح يدعو الآب أبانا. فكان دعاء الروح القدس ودعاء روحنا الآب أبًا، شهادة لنا بأننا أبناء الله. قال يوحنا فم الذهب وتوليتوس: إن هذه الشهادة من الروح القدس هي دعاؤه فينا الآب أبانا ودعاء روحنا معه. ثم لنا أدلة غير هذه على أننا أولاد الله وهي. أولاً، إن الله أعطانا روح ابنه كما قال الرسول، والله لا يعطي روح ابنه إلا لمن يريد أن يتبناه. فإذا نحن أبناء الله. ثانيًا، ما هو فينا من كره الشر وحب الله والمبادرة إلى طاعته ومطوعة إلهام روحه. ثالثًا، سلام قلوبنا واطمئنان ضميرنا من جهة الخطايا الكبيرة. رابعًا، الغيرة على مجد الله ومحبة التألم والتعب من أجله. ولكن لا تتوهم، أيها الליب، ما توهمه الهرطقة، حيث زعموا أن هذه الشهادة صادقة صدق الإيمان وصحيحة صحة العقائد، وأنه يسوغ للمؤمن بموجبها أن يعتقد كونه ابنًا لله اعتقادًا وثيقًا لا ريب فيه ولا كذب، كما يعتقد بالأمر التي هي من الإيمان. نعم إن شهادة الروح القدس صادقة لا ريب فيها، لكن بالنظر إلينا غير متحققة كل التحقيق الذي يستلزم للإيمان، فقد يدعي هذا من ليس فيه كالهراطقة والمبدعين. فإنهم يدعون إرشاده وإن تعاليمهم بحسبه. وقد يتزىي الروح النجس بشكل الروح القدس، كما قال الرسول: امتحنوا الأرواح لتعرفوا أمن الله هي أم من الشيطان. فمن ثم لا يسوغ أن نعتقد مؤمنين بأننا أولاد الله، كما زعم الهرطقة، بل يجوز لنا أن نصدق ذلك تصديقًا أدبيًا. قال الرسول: «لست أحس في نفسي بشيء، لكن ليس بهذا تبررت». وقصده بقوله: الروح يشهد لروحنا، هو توطيد رجائنا وتأنيده لا إثبات البر فينا إثباتًا صادقًا كل الصدق. على أن تأييد الرجاء وترسيخه يكفي بما فيه رجحان. ١٧. **وإن كنا أبناء فورثة أيضًا ورثة الله وبنو ميراث يسوع**

المسيح. أي إن كنا أولادًا لله كما بيّنّا، فنكون ورثة أيضًا له، لأن الورثة إنما هي للأولاد، والتبني مرتب للورثة. وحيث إن الله تبّنّا بإعطاء روحه، فنحن له ورثة وشركاء في ميراثه ليسوع ابنه الذي هو البكر في إخوة كثيرين. وأخص سهم هذا الميراث هو امتلاك الله نفسه، كما قال المرتل: «الله نصيب ميراثي» (مز ١٥). وباقي السهام الحياة معه تعالى بدون موت، والتمتع بمجده وبملكوته بلا انقطاع، والتمتع بسعادته بلا انقضاء إلخ. قال القديس أنسلموس: وأمّا هذا الميراث فلا يتقرر بالخلافة والعقوب، بل يُعطى في حياة المورث، لأن الله أبانا هو الحي القيوم الذي لا يموت ولا يتسلط عليه فناء ولا زوال. وسهام ميراثه لا تعول في كثرة الورثة ولا تُرد في قلة، بل هي لهم كثروا أو قلوا سواء، وهي لكل واحد منهم كما هي لكلهم. تقول: إن كانت الحياة السعيدة تحصل لنا عن وراثته، فلا حاجة إلى الأعمال الصالحة. فأجيب بأن النتيجة كاذبة، من وجه أن الله ما رتب هذه الحياة السعيدة إلا للذين يعملون الحسنات، ولاسيما الذين يتألمون ويكابدون لأجله كما يلي. وإن تألمنا معه نتمجد معه أيضًا. أي إذا شاركنا المسيح في التألم هنا، نشركه بالسعادة في السماء، لأن المسيح مع أنه ابن الله ووارثه لم يدخل مجده إلا بطريق الآلام. فأولى أن ندخل نحن إلى هذا المجد إلا بالمكابدة والتألم. قال القديس لاون: «لا شركة لنا مع المسيح في مجده بغير شركة صليبه. فشركة تألمه تحقق وتقرر لنا شركة تنعمه». اعلم أن الرسول يوجه هنا للمؤمنين التألم والاحتمال باثني عشر وجهًا:

- ١ كون التألم في شركة المسيح الذي هو القائد لنا الحامل لواء الصليب.
- ٢ كون مشاركة المسيح في التألم تورث مشاركته في مجده.
- ٣ كون هذه الأوجاع لا توازي المجد السماوي الذي يشري هذا المجد بأوجاع هذه الدنيا كمن يشري الدنيا كلها بفلس.
- ٤ كون هذه الأوجاع قصيرة المدة وأمّا المجد السماوي فلا انقضاء له.
- ٥ كون الخليقة تنتظر ظهور هذا المجد فهي شريكة لنا بالتألم.

٦ كون تبنيًا لله لا يكمل إلا بالتألم إذ به نصيب الميراث المعد لأبناء الله.

٧ كون كل الخلائق تتمخض وتتوجه إلى يوم ظهور هذا المجد.

٨ كون التألم يفيد جسدنا عدم التألم ويورثه اللذة والتنعم.

٩ كوننا حيننا بالرجاء أي أن رجاءنا أننا عن قليل ننجو ونخلو من الآلام محرّض لنا إلى احتمالها مهما كانت.

١٠ كون الروح يعين ضعفنا ويصلي من أجلنا فهو يخفف ثقل الآلام والأوجاع فلا توهن أكتافنا من حمل الصليب.

١١ كون الله يحيل لمحبيه كل شيء للخير.

١٢ كون أهل التألم هم المختارين فإن الله رتب أن يكون أولياؤه وخلائئه المنتخبون نظراء لابنه في التألم والتنعم. وستقف على كل من هذه الوجوه في ما يلي.

المجد الآتي

١٨١. وإني أظن أن آلام هذا الزمان لا توازي المجد الذي سيظهر بنا. أي لا تجزع قلوبكم هلعًا لقولي إن تألمنا معه نتمجد معه، حيث أبنت أن التنعم مشروط على التألم، لأن التألم في هذا الزمان لا يوازي المجد المعد لنا في السماء. وأي تساوي بين الزمني والأبدى، وبين سعادة دائمة وملمة عابرة! وأي مقابلة لعناء خفيف صغير مع جزاء الله الكريم! إن مجد الأرض خارج ليس هو فينا، بل في غير صاحبه، لأن ما هو إلا نشر ثناء وإذاعة صيت، وهو سريع الزوال لا ثبات له. وما أشبهه ببرق لمع وصوت قرع! وأما مجد السماء فيشمل النفس والجسد، ويحيط بهما بلا زوال. فجد أيها المسيحي إلى هذا المجد، ولا يمنعك عنه شيء من التعب والمشقة. فكيف تكره حمل المصائب والبلايا وأنت كمن يحمل دُررًا كريمة ويواقيت نفيسة. ١٨٢. لأن الخليقة كلها ترجو وتنتظر

ظهور أبناء الله. أي إن المجد المعد لنا في السماء قد حمل، لرفعته وسموه، الخلائق الغير الناطقة على محبته والهيام به، فصارت تنتظر يوم ظهور الأبرار ساطعين بسناء، فكيف نحن الخليقة الناطقة لا نحفد اشتياقًا إليه عابثين بأوجاع هذا الزمان. ٢٠١. لأن الخليقة أخضعت للباطل وليس ذلك بهواها ولكن من أجل الذي أخضعها على الرجاء. أي إن الخلائق صارت عرضة للفساد والتقلب والتعب وغير ذلك من الشوائب، لا برضاها بل كرها، لأن كل شيء من طبعه يأبى النقص والشين ويود الكمال والثبات. ولكن الله هو الذي أخضعها بذنب الإنسان، وجعلها عرضة لهذه الشوائب، لا دائمًا بل ذات وقت، على رجاء الاستحالة إلى حالة الكمال والجلال، فخضعت لذلك طاعة لحكم الله، وصارت تنتظر يوم القيامة بشوق وارتياح لأنها فيه تنجو مما حل بها من النقص. ٢٠٢. لأن الخليقة بعينها تعتق من عبودية الفساد مجرية مجد أبناء الله. يعني إن هذه الخلائق المستولي عليها الفساد، والمستعبدة لباقي الشوائب المذكورة، ستعتق من هذه العبودية حين يعتق الأبرار أولاد الله من عبودية الدنيا، ويتجلون في مجد أبيهم، ويكون حينئذ سماء جديدة وأرض جديدة. فكما أن هذه الخلائق خضعت للباطل المراد به الفساد والتقلب والنقص الموجود بها، وذلك لذنب الإنسان، كذلك حين يعتق أبناء الله من مصائب هذه الدنيا، تعتق هي من الشوائب المستولية عليها. وهذا العتق يكون لها من الله لأجل خدمتها أولاده، بقياس ما إن عبيد الملك يعزّون بعزّه ويكرّمون في كرامته، أو أن مثل الخلائق في ذلك مثل مربية ابن ملك، فإنها متى صعد ابن الملك دست الملك وتكلل في مجده، تنال نصيبًا وحظًا حسنًا وكرامة ومعزة لأجل خدمتها له. قال الشاعر:

لك العز إن مولاك عزّ، وإن يهن فأت لدى بحبوحة الهون كائن

٢٠٣. لأننا نعلم أن الخلائق كلها تتوجع وتتمخض إلى هذا اليوم. أي إن جميع الخلائق المرتبة لخدمة الإنسان، ما برحت منذ البدء إلى الآن تتن حزينه متوجعة من إبطاء يوم نجاتها، وتأخر يوم القيامة، كأنها امرأة تشكو آلام المخاض.

اعلم أنَّ الرسول تصوّر ذلك في الخليقة الغير العاقلة، تبياناً لعظمة سعادة الملكوت، وتزييناً وتحبيباً لمجد السماء إلى الخليقة العاقلة. على أنه عارٌّ على البشر، أن يحبُّوا الاغتراب عن الوطن السماوي، ولا يههوا يوم حرّيتهم ومجدهم. مع أنَّ الخلائق العديمة الحسّ كأنّها لم تزل منذ البدء مرتاحة اشتياقاً إلى هذا اليوم تتأوّه متضايقه، كأنّها لا يسعها الصبر على إبطائه. والمراد بالخلائق هنا السماء مقرّ الأجرام السماويّة. والأرض والعناصر ممّا ترتّب لخدمة الإنسان. ٢٣. وليس هي فقط بل نحن أيضاً الذين فينا بداية الروح ونحن نتأوّه في نفوسنا منتظرين ذخيرة أبناء الله نجاة أجسادنا. أي ليس الخليقة الغير العاقلة فقط، بل الخليقة العاقلة أيضاً تنتظر مجد السماء والعق من الفساد، ولاسيّما نحن معشر المؤمنين، الذين قد ذقنا بكر ثمار الروح، إذ نلنا منه الإيمان والرجاء والمحبة ونعماً أخرى. فنحن لسنا راضين بهذه، بل نميل اشتياقاً إلى نجاة أجسادنا من البلى والفساد، ممّا ذخّر لأبناء الله من المجد العامّ والسعادة الكاملة وامتلاك الميراث المعدّ لهم، ونجاة أجسادهم من الموت والفساد ومشاركتها لنفوسهم في السعادة، كما فسّر الذهبيّ وأمبروسيوس. ٢٤. لأنّنا بالرجاء حيناً. أي، وأمّا تأوّهنا وتوجّعنا من إبطاء يوم القيامة، فهو لأنّنا ما بلغنا بعد المجد المعدّ لنا، ولا أدركنا الخلاص الكامل، بل نحن منتظرون هذا الخلاص بالرجاء. اعلم أنَّ الرسول قال في تي ٣: ٥: «أحياناً بغسل الميلاد». وهنا يقول: «حيناً بالرجاء». فالمراد بحياة غسل الميلاد نجاة النفس من موت الخطيّة. وأمّا نجاة النفس والجسد من كلّ بلاء، فتحصل في السماء. وفي المراد بقوله هنا: حيناً بالرجاء. أي هذه الحياة التامّة الشاملة النفس والجسد، ما حصلنا عليها، بل نحن نرجوها وننتظرها، ولهذا نتأوّه ونتوجّع. والرجاء الذي يرى ليس برجاء لأنّنا إن كنّا نراه فكيف نرجوه. يريد بالرجاء موضوع الرجاء، وبالرؤية التملّك. يعني أنَّ المجد المعدّ لنا في السماء ليس هو في ملكنا الآن، بل في انتظارنا ورجانا، لأنَّ الرجاء إنّما يقع على ما هو مزعوم غير محوّر، لا على ما هو حاضر مملوك. والإنسان ينتظر ويرجو ما ليس يملكه. فإذا ملكه لا يعود يرجوه. فالواجب علينا عند نزول البلايا والمصائب بنا، أن لا نشغل كلّ نظرنا بها فتوهننا وتذهب

صبرنا، بل أن نرفع نظرنا إلى المجد السماويّ وإن يكن غير منظور. ٢٥. وإن كنّا نرجو ما لا نرى فنحن ثابتون بالصبر. أي يجب علينا أن نحتمل الشدائد والمشقّات ونصبر عليها، إلى أن ندرك ما نحن له منتظرون. فإنّ هذه الحياة للمؤمنين الحقيقيّين انتظارٌ وتوجّع وتحمل، فينوحون وفي الموت يتعزّون، خلافاً للأشرار: فإنّهم يقضون حياتهم بالتنعم والسرور، وفي الموت ينوحون. ٢٦. وكذا الروح أيضاً يعين ضعفنا لأنّنا لا نعلم كيف نصلي كما ينبغي. أي إنّ الروح القدس الذي شهد لنا أنّنا أولاد الله، يقوينا أيضاً على احتمال الضيق والشدّة حتّى ننتظر بصبر المجد المعدّ لنا. ومن حيث الصلاة مُجلبة للمعونة والقوّة على احتمال الضيق، فهو يعيننا فيها أيضاً، لأنّنا لا نحسن معرفتها إذ لا نعلم ما يجب طلبه وكيف يحسّن طلبه. قال القديس توما: إنّه يعسر طلب ما يلزم من حيث الصعوبة في معرفة ما يلزم طلبه ويحسن التماسه. اعلم أنَّ أخصّ ما نشأ في الإنسان من الضعف وما ورد عليه من الضيق بسبب الخطيّة على تسعة أقسام. وفي كلّها يعيننا الروح القدس ويقوينا لئلاّ نغلب فيها.

أولها الأمراض وما شاكل من المصائب والبلايا. فالروح يعيننا في هذه حتّى نقبلها بصبر وشكر.

٢ جهل عقلنا وعدم معرفتنا ما يلزم فعله أو تركه وما يحسن الفرار منه أو الإقدام عليه. فالروح يدرّبنا في هذه ويرشدنا.

٣ ضعف الإرادة وقصورها في محبة الخيرات الثابتة الأبديّة المحفوظة لنا. فالروح يعيننا على محبة هذه الخيرات وكره الخيرات الزمنيّة الزائلة.

٤ ضعف الذاكرة ونسيانها إحسانات الله وما أعدّ للأبرار من حسن الجزاء وللأشرار من العقاب والعذاب. وتغفلها عن وصايا الله وأوامره وعمّا اقترفنا من العصيان والمخالفة لهذه الوصايا. فالروح القدس يعيننا على تذكّر إحسانات الله، حتّى نكون له من الشاكرين، ويخطر لبنا ثواب الله وعقوبته ويقوينا على حفظ وصاياه والبكاء على خطاياها.

٥ ضعف الروح وتَقَوَّى الجسد عليها في شهوته. فالروح القدس ينصر روحنا على قهر الجسد ومعاندة أهوائه.

٦ ميلنا إلى الغضب والبغضة لمن يسيء إلينا وطلبنا الانتقام منه. فالروح يعيننا في هذه حتى لا نوافق ميلنا.

٧ جباتنا في خوض الخطوب الكبيرة والإقدام على الأمور الصعبة. فالروح يشجّعنا على مثل هذه وينجدنا فيها.

٨. توانينا في طاعة الله وخدمته ومللنا في عبادته. فالروح القدس ينشّطنا في هذه ويشدّد عزائمنا.

٩. ضعفنا في الصلاة كما تقدّم هنا، من أننا لا نعلم كيف نصلي إذ لا نعرف ما يستصوب طلبه في الصلاة. فكثيراً ما نطلب ما هو خطأ وعدم صواب، وهذا يقع أولاً، فيما إذا التمسنا من الخيرات الزمنية ما هو مضرّ بالنفس قال القديس أغوستينوس: «قد نطلب لوازم حياتنا والله من رحمته ومحبته لنا لا يجب طلبنا، على أن الطبيب أعلم من المريض بما يوافقه. وأما إذا طلبنا ما أمر الله أن يطلب فلا يُردُّ طلبنا. ثانياً، فيما إذا طلبنا النجاة من تجربة أو ضيقة هي مفيدة لنا، كما طلب الرسول التخلّص من شهوة جسده وتجربته. ثالثاً، فيما إذا طلبنا حباً بالتعظيم ورغبة في التقدّم كما طلب ابنا زبدي من المسيح أول رتبة في ملكه. رابعاً، فيما إذا طلبنا عن غير صوابية، كما طلب ابنا زبدي إنزال نار من السماء على أهل السامرة لعدم قبولهم المسيح. خامساً، فيما إذا طلبنا ما تأجيله أنفع من حيث تأجيل مطلوبنا يزيدنا اعتكافاً على الصلاة وثباتاً وفضلاً. سادساً، فيما إذا طلبنا حالة معينة كالزيجة والإكليريكية وما أشبه مع أن الحالة المطلوبة تكون غير موافقة وتكون حالة غيرها موافقة. ولكن الروح يصلي عنا بزفرات لا توصف. يعني أن الروح القدس إمّا إنه يعلمنا كيف يحسن أن نصلي، بإنارته لعقلنا وتحريكه إرادتنا وإضرامه قلبنا تخشّعاً في الصلاة، فينشأ فينا أحياناً وقت الصلاة عواطف وزفرات وتهنّدات لا يستطيع الفم أن يعبر عنها، كما جرى للقديسين في صلواتهم. وهذه الزفرات

تكون تارة عن شكوى مصاب، كما في آية «أنا إنسان شقيّ من ينقذني من جسد الموت هذا». وتارة عن اشتياق واشتهاء مرغوب، كما في آية «أودُّ أن أنحلّ وأكون مع المسيح» وما أشبه. وإمّا إنه أي الروح القدس يشفع فينا ويقدم صلواتنا وزفراتنا في محضر الثالوث الأقدس، بحسب كونه البارقليط المتشفّع بنا. قال القديس تاودوريطوس: «أيّها المصلون، أمركم إلى من بيده مقاليد الكون» وتفسير الآية بهذا المعنى الصحيح الظاهر، يبطل استناد المكدونيين إليها في إنكارهم لاهوت الروح القدس. ٢٧. والذي يفحص القلوب يعلم ما هي همّة الروح لأنه يصلي عن القديسين بحسب إرادة الله. أي، وإن تكن الزفرات التي تنشأ فينا عن الروح القدس غير معروفة عندنا، إلّا أن الله العارف ما في القلوب يعرف ما ينشئه روحه فينا، وما يهتم به ويودّه من أمورنا ومصالحنا فيستجيب لنا، لأن روحه لا يحمل القديسين إلّا على طلب ما هو حميد مفيد. وأمّا الخطأة، وإن يكن غير حالّ فيهم، إلّا أنه يعضدهم بنعمته في الصلاة. فإذا طلبوا ما هو حسن ومفيد لخلاصهم وداوموا الطلب استجاب لهم. فمما تقدّم، نعلم ما أفقرنا إلى معونة الروح القدس، وما أشدّ ضعفنا ليس في العمل والصبر فقط، بل في الطلب والصلاة أيضاً. فاستنجد، أيّها المصلي، الروح القدس في كل صلواتك، وفوض كل طلباتك إليه.

المخطط الخلاصي

٢٨. ونحن نعلم أن الذين يحبّون الله يعينهم في كل شيء للخير. أي، وإن تكن مصائب الأبرار وأوجاعهم كثيرة، كما مرّ في ١٧ و ١٨ هنا. إلّا أنها تؤول لنفعهم وزيادة مجدهم، حتى الخطايا فإنّها تجرّ إليهم نفعاً، إذ تزيدهم اتضاعاً وحذراً، وتضرم فيهم نار التقوى والتورّع، فينهضون من خطاياهم بنشاط واجتهاد أشدّ. قال القديس غريغوريوس: إن المختارين ينجون من شوك الحن ثماراً نجعة نافعة. وما أعدّه لهم الشيطان للدمار، يعكسه الله لهم للمجد خلافاً للأشرار. فإن مواهب الله ونعمه تؤول عليهم للنّقم والمضارّ وذلك منهم، لأنهم

يسئون في استخدامها، ولا يستعملونها في تحصيل الخلاص. وقد علمت أن جلّ مقصد الرسول في ذلك، تعزية المتضايقين وتقوية المصابين وتشجيعهم على حمل المكاه والشدائد. الذين تقدّم فدعاهم. إلى الإيمان والقداسة بحسب حكمه السابق، كما مرّ في ١ : ١ من هذه الرسالة. ٢٩١. وعرفهم من قبل ووسمهم بشبه صورة ابنه. مراد الرسول أن يبين أن خلاص الأبرار المختارين، لا يمتنع بشيء من التجارب والشدائد، لأنّ الذين عرفهم الله، أي أحبهم وأخذهم أصدقاء له، قد أعدّهم لأن يكونوا على شبه ابنه في وراثة مجده وملكوته، كما قال في ١ كو ١٣ : «على شبه السماويّ يكون السماويّ». أي أنهم يشابهون ابنه في مجده، حتّى يعودوا صورةً وشبهًا له، وذلك في القيامة، كما سنرى في رسالة كورنثوس. ليكون هو بكرًا لإخوة كثيرين. يريد أن مشابهة الأبرار للمسيح تؤول لمجده، إذ يكون هو الأوّل والبكر لجميع المؤمنين القديسين. اعلم أن المسيح هو بكر أولاد الله من وجوه. أوّلها، كونه ابن الله بالطبيعة، وغيره أبناء له بالذخيرة والتبني. ثانيها، كونه أعدّ قبل الجميع لهذه البنية والاتحاد بالكلم ولكلّ نعمة ومجد. ثالثها، كونه المثال للأبرار في كلّ فضل وفضيلة ونعمة، وفي المجد والسعادة الأبدية. فالمسيح هو المثال لنا، فيلزمنا أن نطابقه ونقفو أثره في طريق الآلام التي أنهجها، وسار بها امتثالاً لأبيه، إلى أن دخل مجده. على أنه إذا كنّا شركاء في الآلام نكون شركاء في التعزية، وإن تألّمنا معه نتمجّد معه أيضًا، وإن كان الله سام ابنه ما سام من الآلام والأوجاع فأولى أن يسومنا مثل ذلك. وكما أنه سبحانه جعل الآلام لابنه مجلبة للمجد والكرامة، كذلك يجعلها لنا.

إنشاد حبّ الله

٣٠٥. وأما الذين رسمهم من قبل فإنّهم دعا والذين دعاهم برّهم والذين برّهم مجدّهم. أي الذين أعدّهم الله منذ البدء لأن يكونوا شبه ابنه، قد دعاهم في الزمان بعد إلى الإيمان والبرّ والخلاص، وبرّهم بالإيمان ومغفرة

الخطايا، وزادهم برًا وفضلًا بالحن والشدائد، ومجدّهم بما أولاهم من النعم والمواهب خصوصًا بتبنيهم لهم. وسوف يمجدّهم إذ يجعلهم نظير ابنه في المجد والسعادة. ٣١١. فماذا نقول الآن في هذا. أي إن كان هذا اهتمام الله بمختاريه وأحبائه، في أنه دعاهم وبرّهم ومجدّهم وأحال الأشياء لخيرهم ونفعهم، فما لنا أن نقول إذا كرّرت علينا مصائب الدنيا وشبّت نار حربها إلّا. إن كان الله يجاهد عنا فمن يقدر على مقاومتنا. أي إن كان الله هو المدافع عنا والنصير لنا، ولا بدّ أن ينجز ما تعمّد منذ الأزل من تبريرنا وتمجيدنا، فمن أقدر من الله حتّى يقوى علينا، وأيّ الناس أو الأبالسة يستطيع أن يتغلّب علينا ويمنع خلاصنا. ٣٢١. وإن كان لم يشفق على ابنه بل أسلمه من أجلنا أجمعين. أي دفعه للآلام والموت من أجل الناس أجمعين. فكيف لا يمنحنا معه كلّ شيء. أي كيف لا يعطينا كلّ ما يلزم ويقتضي لخلاصنا، حتّى لا يستطيع أحد من أخصامنا أن يصدّنا عن تحصيل خلاصنا. قال الذهبيّ: «إن كان الله أعطى ابنه عنك وكان إعطاؤه للموت، فكيف تشكّك بأنك تُعطى من جوده كلّ شيء، أو كيف لا تتحقّق أنك تتملّك جميع الأشياء وأنت متملّك مالِكها». ٣٣١. فمن الذي يشكو أصفياء الله؟ إن الله هو المبرّر. في ما تقدّم، شجّع المؤمنين وحثّهم على محاربة أعدائهم وخوض البلايا بلا وجل، من وجه أن الله هو نصيرهم المجاهد عنهم. وهنا يشجّعهم حتّى لا يخافوا قتال ضمايرهم، ولا توجّس قلوبهم بما فعلوا من الخطايا، لأنّ الله هو المبرّر وقد برّهم منها، فما عاد يستطيع أحد أن يقيم عليهم حجة الإثم. قال القديس أنسلموس: «أيّ شيطان أو إنسان يحكم عليهم بالهلاك مع أن الله برّهم؟». ٣٤١. ومن يشجب. المسيح مات وقام وهو عن يمين الآب يشفع بنا. أي، أعلّ المسيح يدينهم ويحكم عليهم بالهلاك، وهو الذي مات وقام من أجلهم، وهو عن يمين الآب يتشفّع بهم؟ قال الرسول عن الروح القدس: «إنه يعين ضعفنا ويصليّ عنا». وعن الآب: «إنه لم يشفق على ابنه حبًّا بنا» فلم يبق سوى الابن. فقال عنه هنا: «إنه مات وقام لأجلنا» فماذا نخاف إذا؟ ومن أيّ وشاة نخزع، مع أن الثالوث الأقدس يحبّنا هذه المحبة؟ تقول: وكيف يشفع بنا المسيح عند الآب؟ أجيب أن المسيح

بحسب كونه إنساناً يشفع بنا، ويطلب من أجلنا على نوعين: أولهما، تعريضي، أي من باب التعريض وهو أن يلتمس الطالب حاجته من دون تصريح بها. فعلى هذا النوع يطلب المسيح لأجلنا إلى أبيه، كاشفاً له عن سمات جراحه، وعمّا كابد واحتمل وعانى من أجلنا بدليل ما ورد في عب ٩: ٢٤: «دخل إلى السماء يتراءى قدام وجه الله من أجلنا» وبه قال القديس توما والقديس غريغوريوس وروبرتوس وغيرهم. ثانيهما، تصريح، وعلى هذا النوع يطلب المسيح من أجلنا في السماء كما طلب في الأرض، لأنه لم يزل شفيعنا ووسيطنا والخبر الأعظم لنا، بدليل قوله: «أنا ذاهب إلى أبي وأنا أطلب إليه فيعطيك بارقليطاً آخر». فتكون شفاعة المسيح بنا بما ينشئه من الطلب والسؤال والتوسُّط عند أبيه بشأننا. وأمّا طلبه من أجلنا في السماء، فلا ينال شيئاً جديداً. ولا يستحقُّ كما نال واستحقَّ في الأرض، حيث استحقَّ لنا كلَّ ما يستحقُّ، ونال لنا كلَّ ما ينال، حتّى لم يبقَ شيء من الخير إلّا واستحقَّه وناله. بل يستميح من أبيه أن يؤتينا وينجز لنا كلَّ ما استحقَّه هو لنا من النعمة والخلاص. فمن يفصلني عن محبة المسيح. أي، فإن كان المسيح أحبنا هذه المحبة، كما تقدّم، فكيف لا نقابل محبته بالمحبة؟ وأيُّ شيء يمنعنا عن مودّته وعشقه والموت في حبه؟ أضيقُّ. كلا فإننا نُسّر بالضيق من أجل المسيح ونفتخر به. أم حبسٌ أم طردٌ. كلا. لأنه وإن أحاطنا القتال من خارج وغشينا الخوف من داخل، فنحن الغالبون في كلِّ ذلك بواسطة من أحبنا. والنار المتوقّدة لا تطفئها قطرات المياه والمياه الكثيرة لا تستطيع إطفاء المحبة. أم جوعٌ. كلا. لأنَّ المسيح غداً فلا يمسنّا جوعٌ. لا بل إنَّ الجوع يزيدنا حباً وكلفاً عند نظرنا إلى المسيح على الصليب مكابداً الجوع والعطش، لعلنا نكافئه بذلك على شيء ممّا احتمله وكابده لأجلنا. أم عريٌّ أم خطرٌ أم سيفٌ. كلا ثمَّ كلا. فإننا جنود المسيح الشجعاء الباسلون، وكثيراً ما حاربنا جماهير المضطهدين والشياطين وغلبناهم. وطالما قاتلنا اليهود والشعوب والبرابرة واليونان والولادة، وعذبونا بالرجم والجلد والضرب، ولم نستطيعوا فصلنا عن المسيح، بل زادونا قوّة واشتداداً. ولا عافت أنفسنا العري، لأنَّ المسيح قد احتمله من أجلنا. ولقد ودّت أعناقنا السيوف شغفاً، بأن ننحَلَّ

من الجسد ونسير إلى المسيح، حيث رحلت قلوبنا معه في صعوده وهي عابثة بكلِّ ما تحت السماء. قال الذهبي: «ومن حسبوا الصليب سلماً إلى المسيح، وعدُّوا الموت باباً لدار السعادة فلا غرو إنَّ يحسبوا كلَّ عذابٍ وضيقٍ كلدع البراغيث» وما أحسن ما قاله بروسير الشاعر في محبة المسيح:

حبِّي المسيحُ فماذا عنه يفصلني وحبُّه الروحُ منِّي غير منفصل
إنَّ خافٍ غيري من العذال لائمةً فإنني من لديه الموت كالعسل
فإنَّ عُقلتُ فعقلي غير معتقلٍ يعدو إليه سبيلاً أقصر السبل
وإنَّ نُفيتُ فإنَّ الأرضَ واحدةً فأينما كنت منها كنت في طلي
وإنَّ حرقتُ فإنَّ النارَ من كبدي والنارُ أهونُ شفاً من لظى غللي
وإنَّ عُريتُ فما في العرى شائبةٌ والسيفُ أمضى عرياً منه في الخلل
وإنَّ طويتُ فما جوعي سوى شغفي وكلمةٌ منه أغذى من غذا أُكل
وإنَّ تغمَّدَ عنقي السيفُ ألثمه وإنَّ قضيت فليس الموت في وجلي
ورد عن القديس باسيليوس أنه لما تهدّده الملك بالعذابات وخوَّفه بالموت، أجاب وهو فرحٌ غير خائف: «يا ليت لي هديةً لائحة فأهديها لمن يروم عنقي من قيد هذه الحياة. ولما دنا من الموت قال: أنا أنا اليوم وغداً. وأمّا أنت أيُّها الملك فليتك لا تتغيّر. قال القديس يوحنا فم الذهب في رسالته الثالثة إلى قورينا قوس وهو منفيٌّ من الملكة أودكسيا: إنني لما خرجت من المدينة ما عدت أفكر بشيء، بل أخذت أحدث نفسي هكذا: فإنَّ نفتني الملكة فالأرض بكمالها للرب. وإنَّ أحببت أن تنشرني، فقد نُشر إشعيا من قبلي. وإنَّ أرادت أن تلقيني في البحر، فأذكر يونان. وإذا شاءت أن ترجمني، فلي أسوةً بإسطفانوس أول الشهداء. وإنَّ رامت أن تقطع رأسي، فرفيقي يوحنا المعمدان. وإنَّ آثرت أن تغصب مالي ورزقي، فعرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود. ٣٦٧. كما هو مكتوب. في مزمو ٤٣. إننا من أجلك نموت كلَّ يوم وقد

حُسبنا كالغنم للذبح. قاله المرتل عن المكابيين وغيرهم من اليهود، الذين ضيق عليهم أنتيوخوس وعذبهم وقتلهم، كما قال تاوادريطوس. وأمّا الرسول فقال له عن الرسل والشهداء الذين اضطهدوا وعذبوا بأنواع العذابات، وذاقوا الموت حباً بالمسيح. أي إنّنا نحن معشر الرسل والشهداء، لا اعترافنا باسمك وتعبّدنا لك، نذوق كلّ يوم من أنواع العذاب الموت ولم نُرحم في ذلك ولا رُقّ لنا، بل حُسبنا عند أعدائنا غنماً يستحبُّ نحرّها ويطيّب ذبحها. ٣٧. وفي هذه كلّها نحن غالبون بواسطة من أحبّنا. أي هيهات أن تفصلنا العذابات المذكورة عن محبة المسيح. لا، بل نحن فيها غالبون أغرب غلبة بمعونة المسيح الذي أحبّنا. وأمّا كون غلبتنا أغرب الغلبات وأعجبها، فمن ثلاثة أوجه. أولها، من حيث إنّنا ما اتخذنا في محاربة الأعداء إلاّ سلاح الصبر. ثانيها، من حيث إنّنا حصلنا النصر والغلبة بنفس العذاب والاضطهاد. ثالثها، تحقّقنا الغلبة قبل القتال كأنّنا ولاة الغلبة، وعلى ذلك قلت: إنّني لوائقُ أنّه لا موت ولا حياة إلخ. قال الذهبي: ويشهد للرسول في ما قال الرسل الذين قام عليهم العالم كلّ من ملوك وشعوب ويهود وأمّ وأقارب وأجانب، وثارت عليهم رياح الاضطهاد والعذاب من كلّ جهة وناحية، ولم تضعف قواهم ولا جزعت نفوسهم أدنى جزع، ولم يكن مثلهم إلاّ مثل رمح ضربه ضاربٌ برجله فلم يضرّ غير نفسه. أو مثل نار ضمّها رجلٌ بردائه، فأحرقت الرداء وهي لم تنطفئ. ٣٨. إنّني لوائقُ. بالله، أي ما أقوله هو عن ثقتي بالله واتّكالي عليه، لا عن تحقيق وتوكيد، كأنّه من المستحيل أن انفصل عن محبة المسيح. أنّه لا موت ولا حياة. أي لا وعيد موت ولا وعد حياة. ولا ملائكة ولا سلاطين ولا قوّات. عنى بهذه المراتب الثلاث عموم الشياطين والأبالسة على ما ذهب اللاهوتيون، إلى أنّ مراتب الملائكة الطوباويين سقط من كلّ واحدة منها بعضٌ. وفهم بعضهم بهذه المراتب الثلاث، عموم الأرواح من ملائكة وشياطين. ومعناه: لا يستطيع الشياطين الذين كلّ جدّهم واجتهادهم في فصل الناس عن المسيح أن يفصلوني أنا عنه، حتّى إنّ الملائكة لو امتحنوا ذلك لما قدروا. ولا هذه الأشياء الحاضرة. سواء كانت خيراً يُملَقُ به أو شراً يخوَّف منه. ولا المستقبل. ٣٩. ولا علوّ ولا عمق.

أي ولا السماء ولا جهنّم، أو لا رفعة ولا مذلّة. ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلني عن محبة الله. أي، ولا الأشياء التي سوف توجد في الكون، أو الأشياء الممكنة الوجود، لو وُجدت، لما أمكنها أن تفصلني عن محبة الله بوعيد الموت. على أنّ من يحبُّ الله لا يمكن أن يموت، لأنّ الموت إنّما هو عدم محبة الله. ولا يستطيع أن يفصلني بوعد الحياة، لأنّ من يفصلنا عن ينبوع كيف يعدنا بالماء. ولا يستطيع ملاكٌ أن يفصلنا، لأنّه لا يقوى على نفسنا وهي ملتصقة بالله. ولا تستطيع القوّات المتسلّطة في هذا العالم أن تفصلنا، لأنّ من اتّحد بالله هو أقوى من كلّ العالم. ولا تستطيع المكاره الحاضرة، لأنّنا نجدها خفيفة هيّة بقدر اتّحادنا بمن نحاول فصلنا عنه. ولا تستطيع المواعيد المستقبل، لأنّ كلّ خيرٍ مستقبل إنّما هو من مواعيد الله الصادقة، ولا شيء خيراً من الله الحاضر أبداً لمحبيّه. ولا يستطيع العلوّ، لأنّه بماذا تعدنا السماء حتّى تنفصل عن باري السماء. ولا يستطيع العمق، لأنّ جهنّم ما هي إلاّ لمن انفصل عن الله، فكيف تخيفنا ونحن مع الله. أخيراً أيّ مكانٍ يقدر أن يفصلني عن الله ولا مكان خالٍ منه الله. التي هي يسوع المسيح ربّنا. أي التي حصلنا عليها بواسطة يسوع المسيح حيث توصلنا إليها بإيمانه ونعمته.

الفصل التاسع

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن بكاء الرسول على رذل اليهود ونبذهم عن الإيمان، وبيان كون المواعيد التي جُعِلت للآباء لا تُلغى بما حلّ بهم من الرذل والرفض، بل تُنجز في جانب الشعوب الذين هم بنو إسرائيل بحسب الروح والإيمان.

اختيار شعب إسرائيل وخطيئته

١٢. إني أقول الحقّ في المسيح ولا أكذب ويشهد لي ضميري بروح القدس. ٢١. إن بي حزناً كثيراً وفي قلبي غمّاً لا يزول. أي إني قد حزنت على رذل اليهود إخواني، ورفضهم عن الإيمان والبرّ بالمسيح حزناً شديداً لا قياس له ولا انقطاع. ويشهد لي في صدق ما أقول، المسيح وضميري، والروح القدس فاحص القلوب والضمائر. وأقسم بهؤلاء أنني لست أكذب في ما أقول. ٣١. ولقد وددت لو أكون محروماً من المسيح لأجل وإخواني وأنسابي بحسب الجسد. أي لو جاز وصحّ لي، لوددت الانفصال عن مجد السماء، ورغبت في الاغتراب عن كلّ ما أعدّه المسيح لنا من السعادة، حبّاً باليهود بني جنسي وأخواني بالجسد، ليكونوا هم مع المسيح ويرثوا المجد والسعادة. فالرسول تمثّل ما تمثّل موسى لأجل شعبه، كما ورد في خر ٣٢. ولم يتمنّ ذلك عن نقص محبة منه للمسيح، بل عن إفراط حبه له، ورغبته في زيادة مجده، لأنّ مجده بخلاص اليهود يكون أزيد منه بخلاص الرسول وحده. ٤١. الذين هم بنو إسرائيل ولهم كانت ذخيرة البنين ومجد العهود والناموس والخدمة التي فيه والمواعيد. ٥١. والآباء ومنهم ظهر المسيح بالجسد الذي هو الإله على

الجميع الذي له التساييح والبركات إلى أبد الآبدين. فيه ذكر الرسول من مفاخر اليهود ثمانية. أولها، كون الله اتخذهم له بنين، بدليل أن ابني البكر إسرائيل خر ٤: ٢٢. ثانيها، تشريفهم على غيرهم بالعجائب الباهرة التي صنعت من أجلهم في البحر والبرية، وبحلول الله بينهم في الغمام والقبة والتابوت. ثالثها، عهد الله لهم. رابعها، إنزال الناموس عليهم. خامسها، انتخابهم لعبادة الله. سادسها، وعده لهم بالمسيح. سابعها، كون آبائهم هم إبراهيم وإسحق ويعقوب الآباء الأفاضل. ثامنها وأشرفها، ظهور المسيح منهم في تجسده. وغرض الرسول في ذلك إظهار محبته واعتباره لليهود ليستميلهم إليه. آ ٦٦. ثم إن كلمة الله لم تسقط سقوطاً لأنه ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيل. آ ٧. وليس لكونهم من نسل إبراهيم كلهم أولاداً. يعني أن مواعيد الله لإبراهيم ويعقوب لم تلغ لرفض اليهود ورذلهم، لأنها لم تُعَيَّن لكل من كان من نسل إبراهيم وإسرائيل، بل لمن يؤمن بإيمانها ويكون من نسلهما الروحي. فمثل هذا يُعد من أولاد إبراهيم المعد له ميراث بركته، كما يتضح مما يلي. آ ٨. لأنه قيل من الله لإبراهيم في تك ٢٢. وإنما بإسحاق يُدعى لك النسل، أي إن الذين هم أولاد الجسد ليسوا هم أولاد الله بل إن أولاد الموعد يُحسبون نسلًا. هذا بيّنه لما قبله، على أن أولاد إبراهيم الحقيقيين هم الذين يقتفون إيمانه، سواء كانوا من اليهود أو من الشعوب. وبرهن على ذلك بكلام الوعد المورد هنا، ومعناه أن نسلك يا إبراهيم الذي يكون وارثاً بركة وعدي لك، هو الذي يولد من وعدي لك كإسحاق، لا كإسماعيل الذي وُلد بحسب قوة الطبيعة. فاستدل الرسول على أن أولاد إبراهيم والإسرائيليين الحقيقيين، هم الذين يولدون بالإيمان والنعمة، بحسب قوة الوعد الإلهي، كما وُلد إسحاق، لا الذين يولدون بحسب الجسد والطبيعة. ومنه يظهر أن وعد الله لإبراهيم بالبركة، أي بالبر والخلاص، لم يُلغ ولا بطل برذل اليهود، بل أُنجز وتم بالذين وُلدوا في العمد وآمنوا بالمسيح من اليهود والشعوب. اعلم أن الله جعل لإبراهيم وعدين: أحدهما زمني وثانيهما روحي. أما الزمني، فهو وراثة أرض كنعان. وأما الروحي، فهو مجيء المسيح من نسله. وفي هذين الوعدين كان إسحاق هو الوارث لإبراهيم، لأن نسل

إسحاق هم الذين أخذوا أرض الميعاد ومنهم وُلد المسيح. آ ٩. لأن هذه هي كلمة الوعد: سأتي في مثل هذا الزمان. في السنة الآتية. ويكون لساره ابن. يريد أن الله بهذا الكلام، وعد إبراهيم بإسحاق وحده فكان إسحاق هو الوارث له. وعلى ذلك لا يرث مواعيد إبراهيم، إلا من وُلد بنعمة الله ووعد.. قال القديس يوحنا فم الذهب: «إن مياه العماد الباردة تشبه رحم ساره العاقر، وكما وُلد إسحاق من ساره بقوة وعد الله، هكذا نُؤلد نحن من العماد بقوة كلمة الله. آ ١٠. وليس هي فقط ولكن رفقا أيضاً إذ كان لها خطلة مع أينا إسحاق. أي وليست سارة وحدها، تدلنا على أن الذين يُعدون أولاداً من الله، هم الذين يختارهم هو وينتخبهم، لا الذين يولدون بحسب الجسد. ولكن رفقا أيضاً تؤكد لنا ذلك بما جرى لها، حيث وُلدت ولدين توأمًا. فاختار الله أصغرهما وهو يعقوب وجعله وارثاً لإسحاق أبيه، ورذل أكبرهما وهو عيسو. قد علمت غرض الرسول مما مضى. وهنا بدا له أن اليهود قد يعترضونه. أولاً، بأن إسحاق إنما انتُخب لأنه ولد من حرّة، وأن إسماعيل رُذل لأنه ولد من أمة. ثانيًا، بأنهم هم أبناء إسحاق لا إسماعيل، فإذا هم بنو الموعد. فدفع اعتراضهم الأول بمثل يعقوب وعيسو، في أن عيسو رُذل مع أنه هو ويعقوب وُلدا من أب واحد وأم واحدة في زمان واحد. وردّ اعتراضهم الثاني برذل عيسو، مع أنه من نسل إسحاق نظيرهم، معروضاً بأن ليس كل من كان من نسل إسحاق هو من ورثة مواعيد إبراهيم وإسحاق. أي ليس من الممتنع أن يرذل الله اليهود، ولو كانوا من نسل إسحاق، كما رذل عيسو وهو من نسله. آ ١١. ومن قبل أن ولد ولداها ويفعلا خيراً أو شراً بأن انتخاب الله السابق الثابت. آ ١٢. لا من الأعمال بل ممن دعا فقيلاً. آ ١٣. إن الكبير يكون خادماً للصغير. يعني أن ابن رفقا الصغير فضّل على الكبير، وهما في حشاها. ولم يكن هذا التفضيل عن فضل في الصغير وشر في الكبير، بل عن مشيئة الله واختياره. اعلم أولاً، أن الله فضّل يعقوب على عيسو في خير زمني ونجاح دنيوي، حيث أعطى يعقوب البكورية مع أنه الأصغر، وجعل نسل أخيه عيسو عبيداً وخدماً لنسله. وأعطى أرض الميعاد للإسرائيليين الذين هم من نسله، وجعل الأدميين الذين هم من

نسل عيسو يخدمونهم، كما بيان من ٢ مل ١٦: ٨، فخدموهم إلى أيام يورام ابن يوشافاط كما يتَّضح من ٢ مل ٨. وكانت أيام خدمتهم نحو مائة وخمسين سنة. ثانيًا، فلم يكن هذا التفضيل في أمر الخلاص والسعادة السماوية، لأنَّ يعقوب وعيسو كليهما كانا وقتئذٍ في حالة الخطيئة الأصلية، ومن أولاد الغضب واللعنة. فليس كلُّ نسل يعقوب من الخالصين. وإنَّما غرضُ الرسول في هذا المثل، إبطالُ تنازع اليهود والشعوب حقَّ التقدُّم في الإيمان. إذ كان اليهود يدَّعون التقدُّم على الشعوب، فبيَّن لهم أنَّ الشعوب انتخبوا للإيمان بدلهم، وفضَّلوا عليهم كما فضَّل يعقوب على عيسو. ولم يكن انتخاب الشعوب إلى الإيمان عن فضل منهم، كما كانوا يدَّعون، كما مرَّ في المقدمة. بقياس كون تفضيل يعقوب لم يكن عن فضل له، بل كان عن إرادة الله. وللرسول غرض آخر قد تقدَّم آنفًا. كما كتب إنِّي أحببت يعقوب وأبغضت عيسو. قاله ملاخيا (١: ٢) بعد زمان طويل من مولد عيسو ويعقوب، بمعنى أنَّ الله أحسن إلى يعقوب ونسله، وآتاهم من المواهب والخيرات الزمنية ما لم يؤثَّه عيسو ونسله. فيكون حبُّ الله ليعقوب من حيث تفضيله له على أخيه، ويكون بغضه لعيسو من حيث إنَّه ما ساواه بأخيه. وهو من قبيل قوله: إنَّ يعقوب كان يبغض ليَّا ويحب راحيل. ومن لا يبغض أباه وأمه لا يستحقني. فإنَّ يعقوب كان يحبُّ راحيل أكثر من ليَّا. ونحن علينا أن نحبَّ الله أكثر من أبينا وأمتنا، لا أن نبغضهما. تسأل: أخلص عيسو أم هلك؟ أجيبك أنَّ ذلك غير محقَّق من الكتاب المقدَّس. وإن قلت إنَّه أخطأ خطأ كبيرًا لبيع البكورية وتعمُّده قتل أخيه، قلتُ إنَّ هذا أيضًا لا يحقِّق هلاكه، من وجه أنَّه يُحتمل أن يكون تاب، لا بل يترجَّح أنَّه تاب من وجه أنَّه صالح أخاه وسالمة، كما علَّم القديس أغوستينوس. وإن اعترضت بقول الرسول عنه في عب ١٢: ١٧: إنَّه لما رام بعد ذلك أن يرث البركة رُذِل، لأنَّه لم يجد موضعًا للتوبة ولو أنَّه طلبها بالدموع. قلتُ: إنَّ كلام الرسول هنا عليه من حيث طلبه إلى أبيه، أن يرجع بالبركة التي أعطاه لأخيه، ويتوب عمَّا فعل، أي يرجع ببركته فلم يرجع. ولكن أجابه بقوله: إنَّه بارك يعقوب، وليكن مباركًا كما سيمرُّ بك في الرسالة المذكورة.

الله ليس بظالم

١٤١. فماذا نقول إذا أعند الله ظلم؟ حاشى. أي إن كان الله أحبَّ يعقوب وبغض عيسو بلا ذنب ولا إثم، وفضَّل الشعوب المؤمنين على اليهود، فهو ظالم. قلت: حاشى الله من الظلم، ومن الممتنع المستحيل أن يكون الله ظالمًا. ١٥١. لأنَّه قال لموسى إنِّي أرحم من أرحم وأتحنَّن على من أتحنَّن. هذا دليل على أنَّ الله ليس بظالم في حبه يعقوب وبغضه عيسو، وتفضيله الواحد على الآخر، لأنَّ ذلك لم يكن بحقَّ ليعقوب أو لعيسو، بل كان بيده تعالى يؤثيه من يشاء ويمنعهُ عمَّن يشاء بلا ظلم ولا إثم. كذلك ليس بظالم في تفضيله الشعوب المؤمنين على اليهود الجسديين، لأنَّ ذلك غير متوجَّب لفريقٍ منهما. فلم يظلم في إيلائه لفريق دون آخر، لأنَّه المسلَّط على نعمه وعطاياه يهبها من يشاء ويريد. وقوله تعالى (خر ٣٣): إنِّي أرحم من أرحم وأتحنَّن على من أتحنَّن، كان لموسى من جهة الذين سجدوا للعجل. إذ عاقب بعضًا منهم وعفا عن بعض، تأدَّبوا بعقوبة أولئك أو من جهة حمايته تعالى لشعب إسرائيل دون باقي الشعوب، فذكره الرسول تأكيدًا لقوله: إنَّه لا ظلم عند الله فيما إذا فضَّل الشعوب المؤمنين على اليهود الغير المؤمنين، كما أنَّه لم يظلم في تفضيله يعقوب على عيسو، لأنَّ ذلك كلُّه من رحمته. والكلام هنا ليس هو على الانتخاب إلى المجد والسعادة، بل هو على ما صنعه الله من الرحمة إلى الشعوب في إيلائهم برَّ الإيمان دون اليهود. وإلَّا للزم أن يكون كلُّ الشعوب المؤمنين خالصين، وهذا باطل. ١٦١. فليس الأمر إذا في يد من يشاء ولا في يد من يسعى بل في يد الله الرحوم. يعني أنَّ البركة التي تقرَّرت ليعقوب، لم تكن في يد عيسو ولا في سعيه، بل في يد الله، فأمر بها أن تعطى ليعقوب لا له. ولم تُعطَ ليعقوب من سعي أمِّه وتديرها، بل من مشيئة الله الذي شاء أن تُعطى ليعقوب لا لعيسو. هكذا الذين دعوا إلى الإيمان بالمسيح من الشعوب واليهود، وصاروا ورثة البركة التي وُعد بها إبراهيم المرموز إليهم هنا بيعقوب، ما حصلوا على ذلك من فضلهم وصلاح أعمالهم، بل من مشيئة الله الذي أحبَّ أن يضعَ بركة إبراهيم في إيمان

المسيح، حتى يكون المؤمنون المسيحيون شعبه وبنيه، كما كان قبلاً لليهود المولدون من إبراهيم. وقد مرّ في المقدمة، أن مراد الرسول في هذه الرسالة بيان كون الإيمان بالمسيح لا يُستحقّ بحفظ ناموس موسى والختان، كما كان يدّعي اليهود، بل هو من فضل الله ونعمته فقط. ١٧٦. فإنه قال في الكتاب لفرعون إنني لهذا أقمتك لكي أظهر بك قوّتي ويُنادى باسمي في الأرض كلها. (خر ٦: ١٦). اعلم أن الله نوى في فرعون أمرين. أولهما، أن يحكم بالعدل ويطيعه ويدبّر الشعب بالاستقامة. ثانيهما، أن يُظهر فيه قوّته، وهذا من بعد نظره تعالى إلى شرّه وإصراره. فعلى هذا الاعتبار، ما ظلم الله في عقوبته وإظهار قوّته فيه. فجاء به الرسول هنا شاهداً لمقصده، في أن الله لم يظلم في إهمال اليهود ورذلهم لشُرهم وكفرهم، كما أنه لم يظلم في عقوبة فرعون وتعذيبه لعصيانته وعدم توبته، وقد كان قصده تعالى فيهم أن يؤمنوا ويتوبوا. ولكن حيث أصروا وعاندوا، عاقبهم ورذلهم واختار الشعوب بدلهم. راجع ٢: ٤ من هذه الرسالة، حيث نصّ الرسول على أن الله سبحانه ينوي في الخطأة. أولاً، أن يتوبوا. ثانياً، إذا لم يتوبوا، أن يعاقبهم ويُظهر قوّته فيهم، كما أظهرها في فرعون حيث عاقبه. وكان ملكاً ظالماً عنيداً جائراً على شعب إسرائيل، فذاع في كلّ الدنيا أن الله هو الإله الحقّ، وأنّ شعب اليهود هو شعبه. طالع يش ٢: ٩ ي. ١٨٨. فهو إذا يرحم من يشاء ويقسو على من يشاء. أي إنّ الله له الولاية والخيار في أعماله ونعمه، فيُحسن إلى من يشاء كما أحسن إلى يعقوب والشعوب حيث دعاهم إلى الإيمان، ويقسو على من يشاء كما قسا على فرعون واليهود. ولكنّ تقسيته قلب فرعون، لم تكن منه تعالى إلاّ من باب السماح، حيث تغاضى عنه وتركه يقسو قلبه ويزيد قساوة وعناداً، لأنّه تعالى أرسل إليه موسى دفعات ليطلق شعبه إسرائيل، وأنزل عليه ضرباته حتّى له على ذلك. فكان كلّما رفع عنه ضرباته يزيد عناداً وقساوة. ومثله اليهود، فإنّ الله ما رذلهم إلاّ لعدم إيمانهم وتوبتهم. قال القديس أغوستينوس: «إنّ الله يجزي عن الشرّ بالشرّ لأنّه عادل، ويجزي عن الشرّ بخير لأنّه صالح، ويجزي عن الخير بخير لأنّه عادل. ولكن لا يجزي عن الخير بشرّ لأنّه ليس بظالم».

١٩٦. ولعلّك تقول: فلماذا يؤنّب؟ لأنّه من ذا يقاوم مشورته. تصوّر الرسول معترضاً يقول له: إن كان الله يرحم من يشاء ويقسو على من يشاء كما قلت، فلماذا يؤنّب الخطأة ويلومهم ويعاقبهم، مع أنّهم ما قست قلوبهم إلاّ لأنّ الله قساها، لأنّه يرحم من يشاء ويقسو على من يشاء، كما قسا على فرعون، ومن تُرى يمكنه أن يقاومه في ما يشاء؟ فردّه بقوله التالي: كما ستري، وقد رأيت دفع ذلك في الكلام على تقسية قلب فرعون. فلو كان فرعون قديساً باراً وعادلاً مطيعاً، وأهمله الله ورذله وقسى قلبه وحمله على الخطأ، لصحّ للمعترض أن يقول ما قال. وهكذا قل عن اليهود الذين ما رذلهم الله لقساوة قلوبهم. ٢٠٦. فمن أنت أيّها الإنسان حتّى تجاوب الله؟ فهل تقول الجبلية لجابلها لماذا جبلتني كذا؟ هذا توبيخ للمعترض المذكور على وقاحته في ما قال، أي لا يحقّ لك أيّها الإنسان الدنيء الحقير أن تعارض الله في أعماله، كما لا يحقّ للإناء المجبول أن يعترض جابله لجبله له على حالة كذا وكذا. قال القديس غريغوريوس: «من كان من التراب ليس له أن يعارض الله، لأنّه لا يستطيع فهم أحكام الله». ٢١١. أوليس الفاخوريّ مسلّطاً على طينه بأن يصنع من جبلية واحدة إناءً للكرامة وإناءً للهوان. أي كما أن الفاخوريّ له أن يعمل من طين واحد إناءً لخدمة حقيرة أو آخر لخدمة جليلة، هكذا الله سبحانه، له أن يرحم من جماعة البشر من يشاء، كما رحم المؤمنين بأن دعاهم وبرّهم وجعلهم آنية للمجد والكرامة. وله أن يقسو على من يشاء، كما قسا على فرعون واليهود المعاندين، وجعلهم آنية للهوان والعذاب. ولكن كما أنه سبحانه، لم يقسُ على فرعون واليهود إلاّ لشُرهم وعنادهم، كذلك ما جعلهم آنية للهوان والعذاب إلاّ لسبب ذلك. وقد ضرب إشعيا مثل الفاخوريّ والجبلية (٢٩: ١٦؛ ف ٤٥)، إشعاراً بكون الإنسان ليس له أن يقاوم خالقه في أعماله. ٢٢٦. فإذا أحبّ الله أن يظهر غضبه ويبيّن قوّته أتى مع كثرة أناته بالغضب على آنية الغضب المعدّين للهلاك. هذا دفع ما قاله المعترض في ١٩٦، أي إنّ الله سبحانه لا يقسّي قلوب الخطأة المصريين، ولكن يحتملهم في شرّهم وبطيل صبره عليهم، فتقسو قلوبهم وتعتو ويزيدون توغلاً واستغراقاً في آثامهم، ظانّين أن كثرة إهمال

الله لهم إنما هي عن ضعف منه وعدم مقدرة على تعجيل عقابهم والانتقام منهم. اعلم أن إمهال الله للخطاة هو لأسباب ثلاثة. أولها، ابتغاء رجوعهم وتوبتهم كما جاء قبلاً في ٢: ٤. «أما تعلم أن سهولة الله إنما هي لتقبل بك إلى التوبة؟» وذلك لأنه جلت رحمته، يريد خلاص الكل فيمهل الخطاة من البشر ويتأني عليهم مراعاة لضعفهم، مع أنه لم يمهل الملائكة ولا صبر عليهم. ثانيها، إظهار قوته في انتقامه منهم، فيزيد في عقوبتهم مما زاد في إمهالهم، كما مر في ف ٢ أيضاً وفي آ ١٧ هنا. ثالثها، تخويف الغير بهم، لأنهم متى أمهلهم الله، هم لا يستحقون المهلة، يستوجبون أشد العقاب، فيعاقبهم أشد عقوبة تهويلاً لغيرهم من الخطاة. ٢٣. وأفاض مراحمه على آنية الرحمة المعدّين من الله للمجد. يعني أن زيادة رحمته للأبرار وللذين تابوا بعقوبة غيرهم، تظهر غنى مجده وقوته، كما تظهرها شدة عقوبته للأشرار المعاندين، لأن كثرة رحمته تعالى لهم هي بالخصوصي من جوده وفضله، لأن كل خير هو من الله لا منّا، وكل شر منّا لا من الله. وقوله آنية الرحمة وآنية الغضب، يعني الذين صاروا آلة لإظهار رحمته تعالى، والذين جعلوا أنفسهم آلة لإظهار غضبه، وهو مطابق لقوله قبلاً إناء للكرامة وإناء للهوان. ٢٤. نحن هم المدعوون ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً. أي إن آنية الرحمة المعدّة للمجد، هي نحن الذين دعينا إلى الإيمان من اليهود والشعوب، لا من اليهود فقط، كما يزعمون أي اليهود.

٢٥. كما قال في هوشع إنني أدعو الذين لم يكونوا لي شعباً شعبي والغير مرحومة مرحومة. ٢٦. فيكون في الموضع الذي لا يدعون فيه شعبي أنهم هناك يدعون أبناء الله الحي. (هو ٢: ٢٣) يشير فيه إلى دعوة الأمم والشعوب إلى الإيمان. أي إن هؤلاء يصيرون من شعب الله وعبدته وينالون الرحمة منه، ويدعون من أولاده بعد ما كانوا بعيدين عنه وغير أولاد له. والنبّي أنبا في هذا الكلام بما يصير لليهود في السبي، أي أن عشرة الأسباط منهم الذين يُسبون من الأثوريين لا يبقى فيهم شعب الله. وأمّا القليلون الذين يعودون إلى وطنهم، فيكون فيهم شعب لله. وأمّا في المعنى الرمزي، فأنبأ النبي بدعوة

الأمم إلى الإيمان، والرسول أتى به شاهداً لذلك. ٢٧. وأمّا إشعيا فيهتف من أجل بني إسرائيل لو كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فبقية منهم تحيي. قد بين الرسول، يقول هوشع، إقبال الأمم إلى الإيمان. ويقول إشعيا هنا: يبين رجوع بعض من اليهود إلى الإيمان. أي ولو كان شعب إسرائيل كرمل البحر في كثرة عدده، كما قال الله لإبراهيم، إلا أنه لا يقبل منه إلى الإيمان إلا جماعة قليلة. وأمّا البقية فيعمون كما سيأتي في ف ١١، ويعثرون بحجر العثرة كما يأتي في ٢٣ هنا. وفيه تخلص الرسول إلى مقصده، من أن مواعيد الله لم تلغ لعدم إيمان اليهود، بل نفذت في جنب الشعوب وبعض اليهود الذين آمنوا بالمسيح. ٢٨. لأن الرب جزم وقطع كلمة وسيجعلها على الأرض. إش ١٠. يعني أنه لا بد من خلاص البقية من إسرائيل الذين رسم الله بتخلصهم ونجاتهم. ٢٩. وكما تقدّم إشعيا وقال لو لم يبق لنا الرب الصباؤوت بقية لصرنا مثل سادوم وأشبهنا عامورة. أي لو لم يختار الله من اليهود جماعة لينجز بهم ما وعد به من البركة لإبراهيم، لبادوا، أي اليهود، وانقرضوا على آخرهم، كما باد أهل سادوم وعامورة، ولم يصيبوا شيئاً من المواعيد. وهذه البقية التي استبقاها الله من اليهود لينجز في جانبها مواعيده، هي مريم البتول والرسول وأنصار غيرهم قليلون ممن آمنوا بالمسيح. ٣٠. فماذا نقول الآن إن الأمم الذين لم يكونوا ساعين في طلب البر أدركوا البر الذي هو من الإيمان. ٣١. وأمّا إسرائيل الذي كان يسعى في طلب ناموس البر فلم يدرك ناموس البر. أي ولما أنبأت الأنبياء برذل اليهود ودعوة الأمم، ساغ لنا أن نقول: إن الأمم الذين لم تكن فيهم عبادة الإله الحق ولا ناموسه ولا شريعته، ولم يكونوا يتطلّبون البر المرضي له تعالى، فالآن قد أدركوا البر، وكان إدراكهم له بالإيمان، لأن البر إنما هو بالإيمان. وأمّا اليهود الذين كانوا هم الطلبة الساعين في إدراك البر، حيث كانت لهم الشريعة الموسوية التي هي الدليل على البر والمشيئة إليه، فلم يدركوا هذا البر، لأنهم ما تطلّبوه من حيث هو، كما يلي. ٣٢. فلماذا؟ لأنه لم يكن من الإيمان بل كان من أعمال الناموس. أي إن عدم إدراك اليهود البر، هو من وجه أنهم راموا أن يدركوه بأعمال الناموس، لا بالإيمان،

مع أن الله حصر البر في الإيمان وعلّقه عليه. فالأُم أدركوا البر، لأنهم آمنوا بالمسيح. وأمّا اليهود فلم يدركوه، لأنهم لم يريدوا أن يؤمنوا بالمسيح، بل ادّعوا وجوب البر لهم من أعمال الناموس، كما تقدّم. وهذا هو السبب لرذل اليهود ودعوة الشعوب. فعثروا بحجر العثرة. أي إن اليهود لم يؤمنوا بالمسيح لمذّته وانخفاض منزلته، ولا صدّقوا أنه الماسيّا المنتظر، بل نبذوه واحتقروه وأسأؤوا إليه. ٣٣. كما هو مكتوب. في إش ٢٨: ١٦. هاأنذا واضع في صهيون حجر عثرة وصخرة شكّ ومن يؤمن به لا يخزي. أي إن الله وضع في كنيسه التي نشأت في صهيون (أي أورشليم وكان بدؤها يوم البنديكستي) حجراً يسندها ويثبت بناءها، وهو المسيح ابنه، وكلّ من يؤمن به من اليهود والشعوب لا يخزي بإيمانه. وأمّا من لا يؤمن به فيعثر شرّ عثرة، ويكون هذا الحجر سبباً لعثرته وهلاكه. ولكن حقيقة عثرته وهلاكه، إنّما هي من عدم إيمانه، لا من الحجر نفسه، لأنّ الذين آمنوا بالمسيح، الذي هو هذا الحجر الموضوع أساساً للكنيسة ورأساً لها، لم يعثروا ولا كبوا في طريقهم، بل نجوا وخلصوا. فمما قيل تبين لك أنّ اليهود إنّما لم ينالوا البر لعدم إيمانهم. وأمّا الشعوب فتبرّروا لإيمانهم، لا لأنّ اليهود تربّوا وتعيّنوا للهوان والرذل، والشعوب خلّقوا للمجد والكرامة. وزد عليه أن الرسول يبتدئ الفصل التالي بالطلب والدعاء لليهود لكي يحيوا. وفي الفصل الذي بعده، يحثهم على التشبه بالشعوب والافتداء بهم في الإيمان وتحصيل البر. وهذا دليل على أنّ كلامه في ما مضى، لم يكن على رذلهم من الانتخاب إلى السعادة الأبدية، بل من الدعوة إلى الإيمان. على أنّ قصده في هذه الرسالة، إنّما هو بيان كون البر من الإيمان، لا بيان الانتخاب إلى المجد كما رأيت وسترى.

الفصل العاشر

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن شوق الرسول إلى خلاص اليهود، وبيان جهل اليهود طريق الخلاص، والفرق بين برّ الإيمان وبرّ الناموس، وشيوع الخلاص للمؤمنين من اليهود والشعوب، وإنباء الأنبياء بإيمان الأمم كفر إسرائيل.

لليهود والأمم ربّ واحد

١١. يا إخواني إنّ مسرّة قلبي وطلبتني إلى الله من أجلهم لكي يحيوا. يعني أنّه لا يؤدّ ولا يطلب لليهود إلّا الخير، وبالاخصّوص الحياة الأبدية. وهذا دليل على أنّ كلامه السابق كان في شأن رذلهم من الدعوة إلى الإيمان، لا إلى الملك السماوي. على أنّه لو كانوا غير مدعوّين إلى المجد، لكان ابتهاله من أجلهم باطلاً لا نفع منه. وبطلبه من أجلهم، أبان لهم أنّ كلامه على رفضهم من المسيح ما كان عن بغض، بل عن توجّع وشفقة. وقد علّم الرعاة والمدبّرين أن يبتهلوا لأجل من ضلّ من خرافهم، ويسعوا في طلبه، ويظهروا له خلوص المحبة.

٢١. لأنّي شاهد لهم على غيرّة الله فيهم ولكن ليست عن معرفة. ٣١. لأنّهم لم يعرفوا برّ الله ولما أرادوا أن يثبتوا برّ أنفسهم لم يخضعوا لبرّ الله. يعني أنّ اليهود كانوا يغارون على رعاية شرف الناموس، ظانّين أنّ غيرتهم لله. لكنّهم كانوا على ضلال مبین، إذ إنّهم كانوا يناقضون شرف الله وحقّه، بمناقضتهم ناموس المسيح وإيمانه، الذي هو ناموس الله الحقيقي. ولتفاوت محافظتهم على شرف الناموس، أبوا أن يخضعوا للإيمان الذي يبرّر

صاحبه عند الله، فكانوا يجعلون البرَّ الحقيقي في أعمال الناموس والأفعال الخارجيّة، مع أن الله جعل هذا البرَّ في الإيمان والتسليم بما أوحى. اعلم أن الرسول أراد ببرّ الله هنا، البرّ الذي يبرّرنا قدام الله، لا قدام الناس. وهذا البرّ هو مصالحتنا مع الله بإيمان المسيح. وعنى ببرّ اليهود حفظ الناموس. وعزاه إليهم لحصوله لهم بأعمالهم وقواهم الطبيعيّة وحفظهم الناموس. وأمّا برّ الله، فهو من الله نفسه. فاليهود ما أرادوا لأنفسهم البرّ إلا من الناموس، ولذلك لم يريدوا أن يخضعوا لإيمان المسيح الذي به برّ الله الحقيقي.

٤٤. لأن غاية الناموس هي المسيح برّاً لكلّ من يؤمن به. أي إن اليهود لم يعرفوا برّ الله، مع أن الناموس كان يعلمهم أن يطلبوا البرّ في المسيح، لا فيه. وكان يدلّهم على المسيح، مشيراً إليه إشارة البنان، لأنّه، أي المسيح هو الغاية التي ترتّب إليها الناموس وبه كماله وتمامه، إذ به البرّ لكلّ من يؤمن به إيماناً صحيحاً صادقاً.

٥٥. لأن موسى كتب في البرّ الذي من الناموس هكذا: من يعمل بهذه يحيى بها. مراد الرسول أن يبيّن لليهود ما هو البرّ الذي من الناموس، وما هو البرّ الذي من الإيمان، وأنّ البرّ الذي من الإيمان، هو أيسر من برّ الناموس وأسهل، فأوضح لهم بكلام موسى في ما كتبه عن برّ الناموس بقوله: من يعمل بهذه، أي بهذه الوصايا والرسوم، يحيى بها، أي ينجّ من الموت الزمنيّ الذي يُعاقب به من يخالف وصايا الناموس، ويُرزق عيشة راضية رخيّة على ما وعد الناموس من يحفظه، كما ورد في حز ٢٠. فيكون برّ الناموس نجاةً من القتل وحياةً طويلة راضية، وهو عسر المنال مستصعب تحصيله جدّاً. بخلاف البرّ الذي من الإيمان، فإنّه يورث حياةً سعيدة في الآخرة بدون انقضاء، وينجّي من الموت الأبديّ، ويبرّرنا عند الله. وتحصيله ليس بعسر ولا مستصعب كما يلي.

٦٦. وأمّا البرّ الذي من الإيمان فيقول هكذا: لا تقل بقلبك من ذا الذي صعد إلى السماء وأنزل المسيح. ٧٧. ومن الذي نزل إلى الجحيم وأصعد المسيح من بين الأموات. يعني أن البرّ لا يستلزم لصحة الإيمان حضور المسيح

ومشاهدته، حتّى يراه المؤمن ويتبرّر برويته، بل يكفي أن يؤمن بالمسيح دون رؤية ومعينة، ودون تعب في البحث والاستقصاء عمّن أنزله من السماء وأصعده من بين الأموات، إذ يكفي الإيمان به أنّه نزل من السماء وقام من الموت حقّاً. وفُسّر بعضهم الآية، بأنّ برّ الإيمان سهل المنال، لأنّه لا يأمر بالمستصعبات التي يعبر عنها بالصعود إلى السماء والنزول إلى الجحيم، على ما ورد في تث ٣٠. ولكن يتحصّل بالفهم والقلب، أي بالاعتراف بالمسيح والإيمان به.

٨٨. ولكن ماذا يقول؟ إنّ الجواب قريب من فمك وقلبك. أي إن الكتاب المقدّس يقول في تث ٣٠ إنّ الجواب قريب من فمك وقلبك. يريد أن البرّ الذي من الإيمان لا يقتضي تعباً ومشقةً، كما قلنا، بل هو سهل قريب، لأنّه يتحصّل بالفهم والقلب، أي بالإقرار بالمسيح والإيمان به. وهذه كلمة الإيمان التي ننادي بها. ٩٩. وهي أنّك إن اعترفت بفمك ببرّنا يسوع المسيح وآمنت بقلبك بأنّ الله أقامه من بين الأموات. أي إنّ الإيمان الذي نبشّر به أنّه لازم لحصول البرّ هو هكذا، أي هو قريب من الفهم والقلب كما قلنا. وقوله هنا عن الاعتراف بيسوع المسيح أنّه ربّ، يقابل قوله السابق: من ذا الذي صعد إلى السماء وأنزل المسيح كما أنّ قوله إنّ الله أقامه من بين الأموات يقابل قوله السابق ومن نزل إلى الجحيم وأصعد المسيح من بين الأموات. وإنّما ذكر الرسول قيامة المسيح بالخصوص، لأنها تتضمّن باقي أسرار الفداء، من حيث إنّ سرّ القيامة آخر الأسرار. وقد كان عند اليهود مستصعب التصديق، لأنّهم قتلوا المسيح. فإذا سلّموا بقيامته، ذكروا سوء عملهم، ولزمهم التسليم بباقي أسرار المسيح. خلصت.

١٠٠. لأنّ القلب الذي يؤمن به يتبرّر بالفهم والذي يعترف به يحيى. أراد بالقلب هنا العقل والإرادة، لأنّ الإيمان وإن يكن من أفعال العقل، إلّا أنّه من وجه أنّ مسائله وموادّه غامضة خفيّة على العقل. فيلزم أنّ الإرادة تقنع العقل وتحمله على أن يسلم بمثل هذه العقائد، ويصدّقها كلّ التصديق، ولو خفي عليه سرّها وكنه أمرها. وبذلك، أي بإقناع الإرادة للعقل، يصير الإيمان من الأفعال الحرّة الاختيارية التي لها ثواب واستحقاق. والمعنى أنّ إيمان العقل لازم لنيل

البر. وأن إقرار الفهم مما يقتضي لزيادة البرّ والمحافظة عليه، بدليل قوله تعالى: من يعترف بي أعترف به ومن يستح بي يستح به ابن الإنسان. إذ يحق له تعالى أن نكرمه ظاهراً وباطناً بإيماننا وإقرارنا، من غير بحثٍ وتقصٍّ في ما أوصاه وأمر بالاعتقاد به، لأنّه سبحانه قدير على أن يعمل ما لا نقدر نحن على معرفته وإدراك سرّه.

١١٦. لأنّ الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يخزي. إش ٢٨. هذا شهادة لقوله: إن البرّ بإيمان المسيح. والمعنى أن من يؤمن بالمسيح لا يخزي بإيمانه، ولا يخيب رجاءه، بل ينال كل ما يرجو وينتظر من الخلاص والسعادة. واعلم أن الرسول لم ينف باستلزامه الإيمان للبرّ والخلاص ما يلزم للخلاص من الأعمال الصالحة، كما أنّه لم ينف، بذكره قيامة المسيح، باقي الأسرار والعقائد الواجب الإيمان بها لنوال البرّ.

١٢١. ولم يفرّق في هذا بين اليهود واليونانيين لأنّ ربّ الجميع واحد غني لكل من يدعوّه. يعني أن قول إشعيا المشار إليه شامل لليهود والشعوب. فأني من آمن بالمسيح وعمل بإيمانه، سواء كان من اليهود أو من الشعوب، يخلص، لأنّ الله خالق الجميع ورحوم على الكل، ولا فرق عنده بين يهودي وأُمّي في أمر الخلاص. وهو كريم يبذل نعمه وعطاياه لكل من يسأله. فمن ثم لا يرذل من يؤمن به ويتوكّل عليه أيّاً كان. وفيه انتقل الرسول إلى إثبات غرضه الثاني، وهو أن الله سبحانه دعا الشعوب إلى الإيمان، مكان اليهود الذين لم يؤمنوا. وقد رأيت كيف أثبت غرضه الأوّل، وهو أن البرّ إنّما هو بإيمان المسيح.

١٣١. لأنّ كل من يدعو باسم الربّ يحيى. يوء ٢: ٣٢. أي كل من يطلب إلى الله بأمر الخلاص طلباً صادراً عن إيمان صحيح، يخلص ويحيى حياة أبدية. قال القديس أغوستينوس: «إنّ الإيمان أصل الطلب ومصدره، وهو أي الطلب بمنزلة أوّل ثمرة من الإيمان». فالرسول عني بالدعاء هنا ما كان عن إيمان ورجاء وندامة ومحبة مما يلزم لنيل الحياة الأبدية، وإلا لخلص الهراطقة والكفرة بمجرد دعاهم باسم الربّ، وهو باطل.

١٤١. فكيف إذا يدعون بمن لم يؤمنوا به وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوها به. وكيف يسمعون من غير منادٍ وكيف ينادون إن لم يرسلوا. إن كان البرّ والخلاص لكل من يدعو باسم الربّ، من اليهود كان أو من الشعوب، فالإيمان لازم للكل، والمناداة به ضرورية للجميع. على أنّه كيف يدعو باسم المسيح من لم يؤمن به؟ وكيف يؤمن إن لم يعلم ما يجب الإيمان به؟ وكيف يعلم ما يجب الإيمان به بدون معلّم ومبشّر؟ وكيف يبشّر من لم يرسل؟ على أنّه إذا لم تكن رسالته من الله، كان غير أهل للتصديق والاستماع له. وبذلك عرض الرسول بأنّ المسيح أرسل رسله إلى اليهود والشعوب، لودّه خلاص الكل، وأنّه أي الرسول، لا عجب في كونه رسول الشعوب، وقد كان اليهود يستغربون ذلك منه. اعلم أن الرسالة على قسمين: اعتيادية، وهي ما كانت عن أمر البابا والأساقفة. وغير اعتيادية، وهي ما كانت من عند الله سبحانه كرسالة الأنبياء. ومما تقدّم، يظهر ما أشرف وظيفة الرسالة من وجه كونها مبدأ الإيمان والخلاص، كما نصّ الرسول. وما أوجب استماعها بمهابة وإصاخة، لأنّ الله سبحانه هو الناطق بالمرسلين المتكلمين بكلامه العزيز. وما أجدر المرسلين بأن يبشّروا ويعظوا بكل جدّ وغيره، لأنّهم سفراء الله ونوابه!

١٥١. كما هو مكتوب: ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام والمبشرين بالخيرات. إش ٥٣. أي ما أحسن قدوم المبشرين بالإنجيل، كالرسل الشاهرين ما فيه من الخيرات العظيمة والمآثر الكريمة، كرضى الله عن البشر ومسالمة لهم، والنعمة والبرّ والخلاص وباقي المواهب والعطايا الإلهية. قال توليتوس: «إنّ أقدام الرسل جميلة تستحق المدح من أوجه. أوّلها، الخفة والسرعة حيث جالت في كلّ العالم وجابت الأرض بزمان قصير. ثانيها، القوّة. ثالثها، النظافة. رابعها، الجمال. لأنّ الرسل سبوا العالم بجمالهم وحسنهم، أي بنقاوة سيرتهم وصحة تعاليمهم، وبذلك تغلبوا على الملوك والفلاسفة، والناس الجانحين إلى الفواحش والقبائح. فجمال أقدامهم يدلّ على إزهار حكمتهم وتعليمهم وسناء فضائلهم وفعائلهم. قال أوريجانوس: «وهذا الجمال تقرّر لأقدام الرسل من حين غسلها المسيح».

١٦١. ولكن لم يدعنوا كلهم لبشارة الإنجيل. أي وإن كانت أقدام المبشرين جميلة، والبشارة سارة مفرحة، إلا أن اليهود لم يدعنوا ولا قبلوها إلا قليل منهم، لشدة ميلهم وانصبابهم إلى الشهوات والرذائل، وفرط تعلقهم باليهودية والشريعة الموسوية. لأن إشعيا (ف ٥٣) قال: يا رب من صدق أقوالنا. أي أن قليلين من اليهود صدقوا أقوال الرسل، ودعنوا لبشارة الإنجيل، وهذا شاهد لقول الرسول. ولكن لم يدعنوا كلهم لبشارة الإنجيل. والنبى قاله في شخص الرسل مراعاة لواقعة الحال.

١٧١. فالإيمان إذاً هو من السماع، والسماع من كلمة الله. أي يلزم من قول إشعيا المشار إليه صحة ما قلته في آ ١٤، وهو أن الإيمان لا يتحصّل بدون سماع كلمة الله.

١٨١. ولكنني أقول: أعلّهم لم يسمعوا وقد خرج صوتهم في الأرض كلها وكلامهم إلى أقاصي المسكونة. أي إن كان الإيمان من السماع بكلمة الله، وإن كانت كلمة الله قد نثرها الرسل ونشروها، حتى إن خبرهم سار إلى أقاصي العالم وذاع عملهم في الأرض كلها، فكيف لم يستطع اليهود بعد أن يعتذروا عن عدم إيمانهم؟ ألم يسمعوا أم فاتهم وحدهم ما قد شاع في الدنيا كلها؟ وكيف ينكرون بعد على الشعوب حق البشارة الإنجيلية، وقد تبشّر بها العالم كله؟ وقوله: «خرج صوتهم» بمعنى الماضي والمستقبل، وهو من مستطرقات الأنبياء. فإنهم كثيراً ما يستعملون صيغة الماضي بدل المستقبل، للدلالة على أن ما ينبئون به ويقولونه سيحدث قطعاً، كأنه قد حدث ووقع. والمقصود هنا، أن بشرى الإنجيل ذاعت وستذيع في الأرض كلها، وينتشر خبرها في كل البسيطة. وهذه الآية مقتبسة من قول داود في مز ١٨، وهي في الأصل قيلت عن سماء الكواكب المختلفة المتعددة، والأنوار الزاهرة الساطعة في كل المسكونة. والرسول استعارها للرسول، وما أحسن هذه الاستعارة وأقربها من الحقيقة! سأل القديس توما: وما الرأي في الذين ما سمعوا شيئاً من أمور الإيمان؟ فأجاب: لا ذنب عليهم لعدم إيمانهم. وأمّا عدم خلاصهم فيكون بسبب الخطيئة الأصلية،

وهلاكهم إنّما هو لما يرتكبونه هم أنفسهم من الخطايا الكبيرة. وأمّا إذا فعلوا من الحسنات والصالحات ما أمكنهم، فإن الله سبحانه لا يهتمهم بل يعتني بأمر خلاصهم، كأن يرسل إليهم مبشراً بالإيمان، كما أرسل بطرس إلى كرنيليوس وبولس إلى أهل مقدونية.

١٩١. ولكنني أقول أعلّ إسرائيل لم يعلم هكذا قال موسى الأوّل أجعل لكم غيرة بشعب ليس هو شعبي وأغضبكم بشعب غير مطيع. تث ٣٢: ٢١. أي ألم يعلم اليهود ببشرى الإنجيل وقد سمعوها ورأوا الأمم قد ارتدّوا وآمنوا وهم لم يؤمنوا نظيرهم، بل غضبوا منهم، وحنقوا عليهم، واستشاطوا غيظاً وكيداً، كما قال موسى، عن لسان الله، منبئاً بما سينال اليهود من الغيظ والمكيدة لإيمان الشعوب وصيرورتهم شعب الله بدلهم، مع أنهم كانوا عبدة أوثان لا يعرفون الله ولا يطيعونه.

٢٠١. وأمّا إشعيا فتجاسر قائلاً إنني ظهرت للذين لم يطلبوني ووُجدت للذين لم يسألوا عني. أي إن إشعيا لم يهرب من اليهود ولا خشي أن يغضبوا منه، لما يقوله عليهم من دعوة الشعوب بدلهم، وظهور المسيح، واستعلان نور إنجيله للأمم الذين ما كانوا يطلبونه ولا يسألون عنه. قال القديس إيرونيموس: «ومن تقليدات اليهود الصادقة أن إشعيا نشره الملك منسى واليهود، لأجل ما كان ينبئ به عليهم من مثل هذه النبوءة» وبه قال ترتوليانوس في ك ٣ من نظمه ضد مرقيون، ومن قول ترتوليانوس يُستدلّ على أن المنشار الذي نشر به إشعيا كان من خشب. ومن ١٨١ إلى هنا، أبان الرسول عن أن اليهود لا عذر لهم في عدم إيمانهم، وأن الشعوب يحقّ لهم أن يتبشّروا بالإنجيل، وأن اليهود معلوم رذلهم من قبل كما تقدّم.

٢١١. وقال لإسرائيل إنني بسطت يديّ اليوم كله إلى شعب عاصٍ غير مطيع. أي، والنبى المذكور قال عن اليهود شعب إسرائيل بشخص المسيح: إنني بسطت. الآية. أي أن المسيح بسط يديه في كل عمره لليهود بسط الحب المعانق، وذلك بتردّده معهم وتبشيرهم ومناداة رسله، وبالآيات والعجائب

التي فعلها كشفاً لهم عن نفسه. لكنهم ما فتئوا مصرّين على عدم إيمانهم، لا بل عادوا مقاومين له ولرسالته. قال الذهبي: «ومما قاله الرسول، تبين أن الهلاك وجب على اليهود من ذنبهم وعصيانهم وعنادهم، لأنهم سمعوا ببشرى الإنجيل وفهموها. ودعاهم المسيح وبسط إليهم يديه اليوم كله، أي باجتهاد بليغ، ولحثهم على المجيء إليه، قَرَّب الشعوب منه ودعا الأمم إلى الإيمان، فكان مثله في ذلك مثل أب رؤوف استدعى ابنه إليه ولم يأت. فدعا ابناً غيره حملاً لابنه على المجيء إليه، ومع كل ذلك لم يؤمن اليهود ولا تابوا.

الفصل الحادي عشر

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن أن الله لم يرفض كلّ شعب إسرائيل، بل استبقى منه بعضاً بنعمته. وأمّا البقية فعموا وعتوا، فأقام مقامهم الأمم. وأنه لا يحقّ للأمم أن يفتخروا على اليهود بذلك، لأن اليهود سوف يرجعون إلى المسيح.

البقية الباقية

١٧. لكنّي أقول: أعلّ الله رفض شعبه؟ معاذ الله من ذلك لأنّي أنا أيضاً من آل إسرائيل من زرع إبراهيم من سبط بنيامين. أورد الرسول قبلاً ما قاله الأنبياء في شأن رفض اليهود وإقصائهم عن الإيمان. فسأل هنا: أعلّ الله رفض كلّ شعب إسرائيل عن الإيمان ووراثته بركات إبراهيم بالمسيح. وأجاب: أن الواقع ليس كذلك، بدليل أنه هو نفسه من شعب إسرائيل، ومثله الرسل وغيرهم من الذين آمنوا من اليهود. ومع ذلك دعاهم الله إلى إيمانه ولم يرفضهم. فإذا لم يرفض الذين لم يريدوا أن يؤمنوا.

٢٠. ما رفض الله شعبه الذي عرفه سابقاً. أي إنّ الله لم يرفض الذين عرفهم سابقاً من شعب إسرائيل، أنهم سوف يطاوعون دعوة نعمته وينقادون إلى الإيمان. أولاً تعلمون ما قاله إيليا في الكتاب حين كان يشكو إلى الله على إسرائيل. كما ورد في ١ مل ١٩ حيث إيليا يستدعي الله على آخاب ملك إسرائيل وإزال امرأته وزبانيتهما. إذ يقول. ٣. يا رب قد قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي. قاله النبي المذكور، لتوهمه أنه لم يتبقّ غيره من عبدة الله وشعبه. وأنّ البقية، إمّا أنهم مالوا إلى

الوثنية والكفر، أو أنهم قُتلوا. لأنَّ الله سبحانه لا يُطْلِع أنبياءه على كلِّ ما يحدث من الشرِّ، إلَّا إذا رأى أن يقاوموه ويغاروا على كرامته ومشرفه تعالى. والمراد بالمذابح هنا، ما كانت مُنشأة في الجبال والأكام لعبادة الله، وأخصُّها التي أنشأها عشرة الأسباط حين منعهم الملوك الظلمة عن مجيء أورشليم لتقدمة القرايين والذبائح. وهي تُدعى في الكتاب مرتفعات، لبنائها في الأماكن المرتفعة. وقد كانت محرَّمة وممنوعة على ما في تث ١٦. ولذلك لم يخطئ في هدمها حزقيَّا ويوشيا ملكا يهودا. غير أنَّه لم يكن يجوز هدمها من باب المقاومة والبغض لعبادة الله وكرامته، كما فعل آخاب وإزبال.

٤. فقليل له في الوحي: إنِّي قد استبقيت لنفسي سبعة آلاف رجل لم يجثوا على ركبهم ولا سجدوا لبعال. أي، فقال الله لإيليا: لا تظنُّ أنك أنت وحدك تبقيت على عبادتي، لأنِّي قد استبقيت لخدمتي سبعة آلاف، أي كثيرين غيرك لم يتبعوا باعال ولا مالوا إلى عبادته. فهم ما برحوا يعبدوني نظيرك. وهؤلاء، قليلون منهم كانوا في السامرة مختفين من جور إزبال وآخاب، مثل إليشع وميخا وعوبديا وغيرهم كثيرون من الذين أخفاهم عوبديا. كما في ١ مل ١٨ و ٢٠. والبقية كانوا في اليهودية وكانوا كثيرين. وظهروا في أيام يوشافاط، وشهروا عبادتهم لله بتقدمة القرايين والذبائح. وأمَّا تعبيره بسبعة آلاف عن كثيرين، فهو من اصطلاحات العبرانيين. فإنَّهم كانوا يستعملون العدد السباعي بالمعنى المذكور، لجزيل اعتبارهم يوم السبت، كما أنَّهم استعملوا العدد العشاري بهذا المعنى أي معنى الكثرة اعتباراً للوصايا العشر، بدليل ما ورد في جا ١١: أعطِ السبعة نصيباً، أي المساكين الكثيرين. وما ورد في ١ ص ٢ على ما في العبرانية: إنَّ الجياع شعبوا حتَّى إنَّ العاقر ولدت سبعة أي كثيرين، كما في غير نسخ.

٥. كذلك في هذا الزمان أيضاً قد بقيت بقية حسب اختيار النعمة. أي كما أنَّه تعالى أبقى لنفسه كثيرين في زمان إيليا، مع أنَّ إيليا لم يكن عارفاً بهم، كذلك في هذا الزمان الذي انتشر فيه الإنجيل، قد استبقى من شعب اليهود الذين لم يؤمنوا، بقية تؤمن على مقتضى انتخاب النعمة كما يلي.

٦. فإن كان ذلك من النعمة فليس هو من الأعمال وإلَّا فليست النعمة بعدُ نعمة وإن كان من الأعمال فليس هو من النعمة وإلَّا فليس العملُ بعدُ عملاً. أي إن كان خلاص البقية المذكورة من اليهود هو من النعمة، فلا يكون من الأعمال. وإن كان من الأعمال فلا يكون من النعمة، لما بين النعمة والأعمال من المناقضة والمناقضة. لأنَّ النعمة فيها معنى التبرُّع والتفضُّل، والأعمال فيها معنى الوجوب والاستحقاق فتدافعا. والمراد بالأعمال هنا، ما كانت صادرة عن قوى الطبيعة أو أعمال الناموس. والمراد بالخلاص التبرير، لأنَّه تخلص من الخطيئة وبداية الخلاص الأبدى. وقد مرَّ بك في ف ٩ ما قرَّره الرسول، من أنَّ البرَّ بالإيمان لا بأعمال الناموس. أي أنَّه هبة من الله حسب اختيار نعمته، وليس هو متوجِّباً لأحد ولو كان محلاً له، لأنَّ هذه المحلَّة بذاتها لا تستوجب التبرير. فتأمل.

٧. فما هذا إذا؟ إن الذي طلبه إسرائيل لم يدركه وإنما أدركه المختارون وأمَّا البقية منهم فعموا بقلوبهم. أي ماذا ينتج ممَّا تقدَّم؟ ينتج أنَّ اليهود لم يدركوا البرَّ الذي كانوا يطلبونه، لأنَّهم طلبوه من أعمال الناموس، مع أنَّه يتحصَّل بالإيمان. فلذلك لم يدركه منهم إلَّا الذين آمنوا، وهم الذين دُعوا بحسب اختيار النعمة، كما تقدَّم. وأمَّا الذين لم يؤمنوا، فردُّلوا ومُنوا بالعماء كما مر في ف ٩.

٨. كما هو مكتوب أنَّ الله أعطاهم روحاً مظلماً وعيوناً لا يبصرون بها وآذاناً لا يسمعون بها حتَّى يومنا هذا. هذا تلميح إلى قول إش ٢٩: ١٠. ومعناه أنَّ الله أهمل اليهود في شرِّهم، وتغاضى عنهم في عنادهم، فأبصروا المسيح وكانوا كأنَّهم لا يبصرون، وسمعوا بالإنجيل وهم كأنَّهم لا يسمعون، فلم ينفكوا ملتصقين بعنادهم وضلالهم إلى هذا اليوم. راجع ٩: ١٨ ي.

٩. وقال داود أيضاً: لتكن مائدتهم قدَّامهم فخاً وجزاؤهم للثرة. مز ٦٨. المراد بالمائدة هنا الناموس والكتاب المقدَّس، لأنَّه طعام النفس وقوت الروح. وكان عند اليهود أطيب ملذَّة وأمرأ نجعة. أي ليصر لهم هذا الكتاب

للسقوط والعثرة، لأنهم أساءوا في فهمه وأخطأوا في استرشاده، ولم يريدوا أن يعرفوا منه المسيح. وليُعد لهم للعماء والموت، مع أنه قد كان لهم للاستشارة والحياة، كما قال القديس أنسلموس وأوريجانوس وغايتانوس. وفهم غيرهم بالمائدة هنا حمل الفصح. أي بسبب اجتماعهم إلى أورشليم لأكل خروف الفصح، يحتال لهم طيطوس ويستأسرهم. وقد تم الأمر كذلك، كما أخبر يوسيفوس في الحرب ٧: ١٧. وفسر الذهبي الآية تفسيراً بسيطاً بحسب منطوقها فقال: كما أن الطير والسمك يُصادان بطعام الشص والشرك، كذلك اليهود. فليكن لهم طعامهم، أي كل ما يلزم لهم من المعيشة، للضرر والموت. ومن حيث أنهم يطلبون رزقهم بطريق الحرام، فليجعله لهم الله للدمار، حيث يستكبرون بغناهم، ويتمردون لإيسارهم فيأتي عليهم الرومانيون ويبيدونهم.

١٠٠. ولنظلم عيونهم لئلا يبصروا وليكن ظهركم منحنيًا دائماً. يريد بالعين العقل، وبالظهر الإرادة. أي سامح يا الله وآذن، أن تغمض عقولهم عن معرفة الحق، وتميل إرادتهم عن طلب الأمور السماوية، إلى محبة حطام الأرض والالتصاق بالخيرات الزمنية. فالرسول أبان بهذه الأقوال النبوية عما صار إليه اليهود من الدمار والشقاء، لعنادهم وعدم إيمانهم بالمسيح. ومنه تعلم: ما جزي به اليهود يُجزي به المسيحيون، إذا جروا مجراهم في عدم وفائهم وخيانتهم للمولى سبحانه. على أن المسيحي، إذا أخطأ وأحبّ البقاء في خطئه والاعتراب عن خالقه، لا يلبث أن يصيبه ما أصاب اليهود، من ظلام العقل وقساوة القلب وصلادة الإرادة، فيسمع الوعظ وكلام الله. وهو كأنه لا يسمع، فيعود الكتاب المقدس له سماً وموتاً، مع أنه هو خبز الحياة. اعلم صانك الله، أن العناد في الخطأ له خمس دلائل تدلُّ عليه دلالة المعلول على العلة الأولى، ظلام العقل، كما قال أي ١٢: ٢٥: ويتلمسون في ظلمة حيث لا ضوء، ويضلُّهم مثل السكارى. ثانياً، الصمم كما ورد عن فرعون. من هو الرب حتى أسمع صوته (خر ٥: ٢). ثالثاً، عدم المبالاة بالله وبالناس، كما قال الحكيم (أم ١٨): إن المنافق إذا انتهى إلى قعر الخطايا لا يبالي. وفي ف ١ منه: لأنني دعوت فأبستم بل إنكم أبطلتم مشورتني كلها وما أردتم شيئاً من توبيخي، فأنا أيضاً أضحك

على هلاككم وأخسر حين يوافي خوفكم. رابعاً، عدم الاصطلاح. خامساً، النعاس كما في أم ٢٣: ٣٤. وتكون كمضجع في قلب البحر فتقول لقد ضربوني وما شعرت. ومن ذلك تنشأ صعوبة التوبة.

١١٠. فأقول إذا ألعلم عثروا لكي يسقطوا؟ حاشا. ولكن بعثرتهم صارت الحياة للشعوب لإغارتهم. أي ألعلى اليهود عموا وعثروا، كما تنبأ عنهم الأنبياء؛ بحيث لم يعد من الممكن أن يقوموا؟ كلاً. فإن قيامهم ممكن، وقد دعا الله الشعوب بدلهم، حثاً لهم وإغارة على القيام والتشبه بالشعوب في الإيمان. فيا لسمو أحكام الله وحسن تدبيره! فإنه سامح بسقوط اليهود، وأحال بشرى الإنجيل إلى الشعوب، حتى إذا رأى اليهود أن المواعيد الإلهية فاتتهم، يغارون من الشعوب فيؤمنون لإصابة هذه المواعيد.

١١٢. وإن كانت عثرتهم غنى للعالم وذرلهم غنى للشعوب، فكم بالحرى كمالهم. أي وإن كان سقوط اليهود أدى إلى قيام الأمم كما تقدّم، وإن كان ردّل الغير المؤمنين منهم اتفق منه انتخاب الشعوب، فأولى أن يكون إيمانهم بالمسيح آخر العالم غنى للشعوب، أي نفعاً ومصلحة للأمم. لأنهم متى رأوا اليهود حينئذ آمنوا، يحملون على التشبه بهم، ويغارون من عملهم ولاسيما لأن كثيرين من علماء اليهود سوف يبشرون مع إيليا وأخنوخ بالمسيح، وبقيّمون البيّنات لكيلا يحتقروهم لعدم إيمانهم على مجيئه. فالرسول بذلك يحبب إلى الشعوب إيمان اليهود، لكيلا يحتقروهم لعدم إيمانهم.

١١٣. إني أقول لكم يا معشر الأمم: إني من حيث كوني رسولاً إلى الأمم أمتدح وظيفتي. ١١٤. لكي أغير بذلك أقبائي وأخلص أناساً منهم. فيه وجه خطابه إلى الأمم، مشعراً بوجوب التوجع لليهود الغير المؤمنين وحثهم على الإيمان. ومعناه أنني أود أن أعظم شأن رسالتي لديكم، أيها الشعوب؛ بالأعمال الزاهرة والمعجزات الباهرة، وذلك كلفاً بأن بعض اليهود يغارون منكم ومنّي على اعتناق الإيمان والرجوع إلى المسيح. فقلوه «أناساً منهم» أي بعضاً من اليهود. يعني في أيامه لا يؤمن من اليهود إلا بعض، وأمّا كلهم فإيمانهم مؤجل إلى زمان آخر، كما سيجيء في ٢٦.

١٥٥. فإن كان نفيتهم صار سبب صلح للعالم، فما يكون رجوعهم إلا حياة بعد الموت. أعاد الرسول ما قاله في ١٢١، بياناً لفرط رغبته في خلاص اليهود. ومعناه، وإن كان رفض اليهود آل إلى إيمان الشعوب المتبدلين في العالم، وصار سبباً لهم لوجدان الصلح والسلام عند الله، فما يكون رجوع اليهود إلى الإيمان إلا حياة لجانب كبير من العالم، إذ برجعهم يحيى القسم الباقي من العالم بلا إيمان. وهذا القسم هو اليهود. فمتى آمنوا يصير العالم كله من يهود وشعوب حياً بالإيمان، ويكون من الفرح برجعهم ما يكون بحياة من قام من الموت. فالواجب إذاً عليّ وعليكم أيها الشعوب، أن نصلي من أجل اليهود، لأن إيمانهم فضلاً عما ذكر، سوف يكون لكم للنشاط والحرارة في الإيمان.

الزيتون البري والزيتون الجوي

١٦٠. فإن كانت الخميرة مقدسة فكذلك العجين أيضاً. وإن كان الأصل طاهراً فكذلك الأغصان. أشار الرسول بهذه الاستعارة إلى ما ورد في عد ١٥، من أن العجين الذي كانت باكورته تقدّم لله، كانت بقيته تُعدّ مقدسة، كأنها قُرِبت لله. ومقصده أن يبين، أن بقية اليهود الذين ما آمنوا بعد، يُعدّون قديسين ومؤمنين بالآباء والأنبياء والرسول الذين آمنوا وتقدّسوا، فكون الأوائل آمنوا، يؤمّلنا بإيمان الأواخر من اليهود، ويُبعد عنهم الاحتقار ومظنة الرفض من الإيمان بالإطلاق، من وجه أنه لا يبعد أن يؤمنوا، هم، كما آمن آباؤهم. ومثله قوله: إن كان الأصل طاهراً فكذلك الأغصان. أي إن كان آباء اليهود وأنبياءهم أطيهاراً، فلا يمنع أن يكون أولادهم كذلك. اعلم أن نسبة الرسول القداسة إلى اليهود، من قداسة أوائلهم وآبائهم، نسبة خارجية من باب المجاز، وبحسب اعتبار الناس، كما أن بقية العجينة التي كانت أوائلها تقدّم لله، كانت تُعتبر مقدسة بحسب اعتبار الناس، وبنسخة خارجية لا في ذاتها وبمقتضى الحقيقة. فمن ثمّ أخطأ كلونوس في برهانه بهذه الآية، على أن أطفال المسيحيين لا يلزم

لهم عماد، لأنهم يتقدّسون بقداسة آبائهم، مع أن كلام الرسول ليس هو على القداسة التي تجعلنا أصدقاء لله وقديسين عنده تعالى حقاً، بل هو على القداسة المجازية الخارجية كما تقدّم. ولو صحّ برهان كلونوس، لثبت به أن اليهود الغير المؤمنين وكبار المسيحيين أيضاً قديسون، لا حاجة لهم إلى الإيمان والمعمودية، لأنهم بنو قديسين. وقد علمت أن مقصد الرسول بذلك بيان الرجاء والأمل بإيمان اليهود، من حيث إن آباءهم قديسون وأصلهم طاهر.

١٧٠. وإن كان بعض الأغصان فسخت وأنت الزيتون البري طُعِمْتَ في مواضعها وصرت شريكاً في أصل الزيتون ودسمه. ١٨٠. فلا تفتخر على الأغصان، فإن افتخرت فلست أنت حاملاً الأصل ولكن الأصل حاملك. قصد الرسول أن يُبطل افتخار الشعوب على اليهود، فشبه الشعوب بزيتونة برية لا نفع في ثمارها، وعدّهم دخلاء. وشبه الآباء والأنبياء والرسول بأصل زيتونة كريمة. وعنى بهذه الزيتونة الكنيسة المقدسة فقال: وإن كان قوم من اليهود سقطوا عن برّ والديهم وإيمانهم، لأنهم أبوا أن يؤمنوا بالمسيح. وأنت أيها الأممي والشعب الغريب، الذي كنت كافراً لا خير لك في كفرك، قد وُضعت الآن مكانهم، ونُظمت بين المؤمنين منهم المتمسكين بإيمان آبائهم، وصرت شريكاً لهم في بركات جدودهم. فلا تستكبرن على اليهود الذين لم يؤمنوا، وإلا فيقال لك: ما أنت إلا دخيل في إيمان آبائهم وإيمان الأنبياء والرسول الذين منهم. ومنهم أصابك ما أصابك من المجد والخير في الإيمان. ولا يبعد أن تُفسخ أنت أيضاً لافتخارك وكبريائك وتيهك، كما فُسخ اليهود لتيههم. فمما قيل هنا علمت أن الكنيسة تشبه زيتونة كريمة مثمرة، أرومتها الآباء والأنبياء والرسول، ودسمها مواهب الروح القدس، وأغصانها كل من المؤمنين. وهذا التشبيه من قبيل ما قاله السيّد المسيح: أنا هو الكرمة وأنتم الأغصان.

١٩٠. ولعلك تقول إن الأغصان فسخت لأطعم أنا في مواضعها. ٢٠٠. فحسن أنهم فسخوا لعدم إيمانهم وأما أنت القائم في الإيمان فلا تستكبر في ضميرك بل خف. أي، وإن ادّعت، أيها الأممي، حق الافتخار

من وجه أن اليهود رُفضوا لتكون أنت مكانهم في الإيمان، فنعم! إنَّهم رُفضوا، ولكن رُفضهم كان لعدم إيمانهم. فاثبت أنت على الإيمان لئلا يصيبك ما أصابهم، ولا تستكبر لأنك لم تنزل مكانهم في الأصل من عملك وفضلك، بل من نعمة الإيمان وفضل الله الكريم. وكن على خوف من أن تُفسخ عن هذا الأصل كما فُسخوا. وما قال الرسول هنا، تستدل على أن ما زعمه كلوينوس من امتناع السقوط عن الإيمان باطل وخطأ، لأن الشعوب كانوا في الإيمان، ومع ذلك يخوفهم الرسول من السقوط عنه. قال القديس أنسلموس: «إنَّ الخوف أكبر صائن للفضيلة والنعمة».

٢١١. لأنه إن كان الله لم يشفق على الأغصان النابتة في جوهرها فلعله لا يشفق عليك أيضًا. أي، وكن في خوف أيها الأممي، لأنه إن كان الله سبحانه لم يُبق على اليهود مع أنَّهم من أصل الآباء المقدَّس، بل رذلهم لعدم إيمانهم، وأقصاهم عن كنيسة، فأولى أن يرد ذلك أنت الدخيل، إن لم تحافظ على إيمانك واتضاعك. فإنَّ الاتضاع حارس الإيمان.

٢٢. فانظر الآن سهولة الله وصعوبته. أمَّا الصعوبة فعلى الذين سقطوا. وأمَّا السهولة فعليك إن بقيت على السهولة، وإلا فتقطع أنت أيضًا. أي حتى لا يبقى لك سبيل إلى الافتخار، أيها الأممي، فتأمل تصعُّب الله وتشديده على الذين لم يؤمنوا، كيف نبذهم عنه وأقصاهم عن نعمته. وانظر إلى صلاحه ورفقه بالذين هم في الإيمان نظيرك، واحرص أن تقابل صلاحه بالشكر والوفاء وحسن العمل والثبات في الإيمان. ومن ذلك نستدل، على أن الثبات من دلائل الانتخاب إلى المجد، وأنَّ هذا الثبات غير مضمون لأحد.

٢٣. وأولئك أيضًا إذا لم يدوموا على نقص إيمانهم فسيطعمون لأنَّ الله قادر أن يطعمهم أيضًا. أي إنَّ اليهود إن عادوا فأمنوا، يردون إلى مواضعهم في أصل الكنيسة، لأنَّ الله سبحانه لا يمنعه أن يردهم إلاَّ عدم إيمانهم.

٢٤. فإن كنت أنت قطعت من زيتون البرية الذي كنت فيه بالطبع وطعمت في زيتون طيب خلاف طبعك، فكم بالحرى أولئك يطعمون

بزيتون طبعهم. أي إن كان الله دعا الأمم إلى الإيمان وأدخلهم كنيسة، بعدئذ كانوا خارجًا عنها، فأولى أن يردَّ اليهود إليها وهم قد نبتوا فيها، بما أنَّهم من نسل الآباء والأنبياء القديسين، الذين هم أصل الكنيسة وأرومتها. على أنَّ الغارس يودُّ أن يلقح في غرسته فرعًا جيّدًا، ويكره أن ينزل فيها فرعًا برّيًا. والغرسة نفسها تأبى بحسب طبعها أن مثل هذا الفرع البرّي يحمل ثمارها الطيبة. وهذا عبارة عن أن ردَّ اليهود إلى الإيمان ليس ممكنًا فقط، بل هو مستحبٌ مستعمل بالطبع. وما أحسن ما لحظه القديس أغوستينوس من قول الرسول هنا، وهو أن في قول الرسول أمرين غريبين: أولهما، أن الزيتون البرّي طعم في زيتونة جويّة طيبة، مع أن الأمر بالعكس. ثانيهما، أن هذا الزيتون حمل ثمار الزيتون الطيبة، والمعهود خلاف ذلك.

خلاص الشعب كله

٢٥. فإنني أريد يا إخواني أن تعرفوا هذا السرَّ لئلا تكونوا حكماء برأي نفوسكم أن عمى القلب صار لإسرائيل من مهلة يسيرة إلى أن يدخل ملء الأمم. ٢٦. وحينئذ كلُّ إسرائيل يحيى. هذا إثبات لقوله في ٢٣ و ٢٤، وهو أن اليهود لا يمتنع رُدُّهم إلى الإيمان، لا بل لا بدَّ من رُدِّهم إلى الإيمان. ومعناه: إنني أحبُّ أن أكشف لكم أيها الأمم عن أمر خفي عنكم، حتى لا تعودوا تفتخرون على اليهود وتعجبون بأنفسكم. وهذا الأمر الخفي هو أن اليهود بعضهم آمن بالمسيح، وأكثرهم سوف يؤمنون في آخر العالم. وعمى القلب الذي غشي قسمًا منهم عن إيمان المسيح، لا يزال فيهم إلى أن يكمل عدد الذين يؤمنون من الشعوب. فإذا كمل يؤمن شعب اليهود ويرجعون إلى المسيح. فقوله «كلُّ إسرائيل يحيى» يعني أن أكثر اليهود يؤمنون في آخر العالم لا كلهم، لأنَّ سبط دان لن يؤمن بدليل أنه ليس من المئة والأربعة والأربعين ألفًا الموسومين من الأسباط، الذين أخبر عنهم صاحب الرؤيا (ف ٧). فطالعه. فعلى ذلك، ذهب كثيرون إلى أن سبط دان يلحق بالدجال الذي سوف يكون منه، أي من سبط

دان. قال القديس إبيوليطوس وكثير من العلماء: إنَّ أخصَّ أتباع الدجال يكونون من اليهود. وإلى ذلك أشار المسيح في يو ٥ والرسول في ٢ تس ٢: ٢ كما سنرى وبناءً عليه يكون قوله كلُّ إسرائيل بمعنى نحو كلِّ إسرائيل. وأمَّا قوله من «مهلة يسيرة» فهو بحسب السريانية. ففي اللاتينية «من قسم» أي عمى القلب صار لقسم من اليهود، لأنَّ بعضهم كانوا قد آمنوا بالمسيح. وأظنُّ أنَّ معناه بحسب السريانية: من زمنٍ قليل، أي من مجيء المسيح إلى وقت الرسول. يعني أنَّ هذا العمى ما صار لهم من زمان طويل، ولكنَّه بقي فيهم إلى آخر العالم. فتأمل. كما هو مكتوب: إنَّه سيأتي من صهيون المخلص فيصرف النفاق عن آل يعقوب. إش ٥٩: ٢٠ أي سيأتي المسيح من نسل داود، من صهيون. فإنَّ صهيون كانت مدينة داود وكرسي ملكه. ويزيل الإثم عن شعب إسرائيل، ومن حيث إنَّ إزالة الإثم ما نفذت في جانب اليهود أولاد يعقوب في مجيء المسيح، لأنَّ بعضهم آمنوا وأكثرهم عموا، فإتمامها مؤجَّل إلى آخره العالم إلى أن يدخل ملء الشعوب.

٢٧. وحينئذٍ يكون لهم الميثاق الذي من قبلي إذا رفعت عنهم خطاياهم. أي وهذا الميثاق الذي جعلته لهم من نفسي، بأنِّي أصرف عنهم آثامهم، كما قال إش في الفصل المذكور، سأنجزه لهم في انتهاء العالم، بصرف الإثم لا عن بعضهم بل عن أكثرهم، وذلك ببشرى إيليا وأخنوخ، على ما قال الذهبي والقديس أغوستينوس، بدليل ما جاء في ملا ١ ورؤ ١١. وإلى هذا الميثاق أشار الرسول في ١ كو ١١. ومن كلِّ ما قيل هنا، يتأيَّد تسليم الكنيسة في شأن رجوع اليهود إلى المسيح آخر العالم.

٢٨. أمَّا بالإنجيل فهم أعداء من أجلكم. وأمَّا بالانتخاب فهم أحبَّاء من أجل الآباء. أي إنَّ اليهود نظرًا إلى الإنجيل أعداء لله. لأنَّهم قاوموا بشارة الإنجيل وأبوا أن يصدِّقوه، فأدَّى ذلك إلى إيمانكم ونفعكم أيُّها الأمم. وأمَّا بالنظر إلى الانتخاب، الذي بحسبه اختار الله اليهود شعبًا له، فهم محبوبون لديه من أجل أوليائه، آبائهم القديسين الذين وعدهم الله بأن يكون إلهاً لهم

ولنسلهم، خصوصًا في آخره العالم، إذ يدعو جمهور اليهود إلى إيمانه، فيقبلون بفرح من أجل آبائهم، على ما فسَّر أمبروسيوس وأوريجانوس وأغوستينوس. ما برح الرسول يبيِّن للشعوب، أنَّهم فازوا بمغنم الإيمان، بسبب اليهود. حتَّا لهم على التوجُّع عليهم والتشفُّق لهم ولو كانوا غير مؤمنين.

٢٩. لأنَّ الله لا يرجع بهبته ودعوته. أي أنَّ الله سمى آلاؤه، لا يرجع. أعطى ووهب ولا يخلف ما وعد به وعدًا مطلقًا من غير شرط، مثل وعده لإبراهيم وداود بمجيء المسيح. فإنَّه أنجزه ولم يصدِّه عن إنجازه شيء. فقد أخطأ اليهود بقولهم إنَّ مجيء المسيح تأخَّر بسبب خطاياهم. وعلى ذلك لا بدَّ أن ينجز وعده وميثاقه بصرف الإثم عن اليهود، كما تقدَّم، وإن جرى منهم مهما جرى من عدم الإيمان والعناد.

٣٠. فكما أنكم لم تكونوا تطيعون الله من قبل وأمَّا الآن فرحمتكم لعدم طاعتهم. ٣١. هكذا هم الآن لم يذعنوا لرحمتكم لتكون الرحمة لهم أيضًا. أي كما أنكم أيُّها الأمم لم تكونوا من المؤمنين قبلًا، إذ كنتم بغير إله في هذا العالم (أف ٢)، وأمَّا الآن فبسبب عدم إيمان اليهود دُعيتم إلى الإيمان وأصبتم الرحمة من الله، وأمَّا هم فلم يؤمنوا حسدًا لما خصَّكم من فضل الله بزعمهم أنَّ الإيمان لا يحقُّ لكم، فساءهم ذلك وغضبوا منه كثيرًا، ولكنَّهم سوف يُرحَمون من الله فيقبلون إلى الإيمان غيرًا منكم إذ يرون أن قد دخل ملء الأمم.

٣٢. قد حبس الله كلَّ أحد تحت المعصية ليترحَّم على جميع الناس. هذا ختام ما أخذ به في ف ٩ وقد ابتدأ في ف ١، بأنَّ جميع الناس من يهود وشعوب خطاة مستأسرون في عبوديَّة الخطيَّة، وأنَّهم في أقصى الحاجة والفقر إلى نعمة الله والمسيح. وقد علمت أنَّ كلَّ غرضه بذلك تحقير اليهود والشعوب وإبطال تكبرهم. وهنا اختتم بذكر الكفر وعدم الإيمان منهم. ومعنى الآية أنَّ الله سمح أن يتوقع كلُّ من اليهود والشعوب تتابعًا وتناوبًا في الكفر والعصيان، حتَّى يدعوهم إلى الإيمان، ويؤتيهم النعمة بيانًا لسمو رحمته الباهرة لدى الكلِّ. وهذا التوقع المشار إليه هنا، كان هكذا: ففي أوَّل العالم كان الناس بأجمعهم

على الديانة الصحيحة أمة واحدة، فتهافت الشعوب إلى الوثنية. وأما اليهود فعقد الله معهم ميثاقاً على يد إبراهيم ثم موسى فعبدوه، لكنهم لما جاء المسيح أبوا أن يؤمنوا به، فأنحاز الإنجيل لعدم إيمانهم إلى الشعوب، فأمنوا وصاروا عبدة الله. وهم أي اليهود نبذوا ورذلوا من الله، وفي آخر الزمان تفارق الأمم الإيمان (٢ تس) وتقبل اليهود إليه. ثم ترجع الأمم واليهود إلى المسيح ويكونون كنيسة واحدة. فمن ثم هتف الرسول قائلاً:

النشيد النهائي

٣٣٣. فيا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه. أحكامه لم يدركها أحد وسبله لا تفحص. تعجب الرسول من ثلاثة أمور في الله. أولها، غنى رحمته الزاخر، في كونه رحم جميع الناس، وغمرهم من آلائه وعطائه، وأطال صبره عليهم في كفرهم وعصيانهم. ثانيها، حكمته الباهرة التي رتب بها أن يكون سقوط اليهود خلاصاً للشعوب، ويكون حسد اليهود من الشعوب خلاصاً لهم أي اليهود. ثالثها، علمه الزاهر إذ عرف كل شيء قبل وقوعه معرفة جليلة مبينة، مثل رذل اليهود ودعوة الشعوب، ورجوع اليهود وكفر الشعوب، واثتلاف الفريقين أخيراً اثتلافاً دائماً غير منصرم. وعلى كل ذلك، كان كلام الرسول كما رأيت. وقوله: «أحكامه لم يدركها أحد» توضيح لقوله: يا لعمق حكمة الله. فإن أحكامه التي يدبر بها الأمور ويرتبها، هي من أفعال حكمته، وهي لا يدركها عقل إنسان أو ملاك. والمراد «بسبله تعالى» وجوه أفعاله وصورها وأنواعها، وهي غير مفحوصة ولا يستطيع أحد فهم سرها.

٣٤٤. من عرف ضمير الرب أو من كان له مشاوراً. إش ٤٠.

٤٠٤. أو من تقدم فأعطاه شيئاً ثم أخذه منه. قال تيودوريطوس: وهذه الثلاث هنا تقابل الثلاث المذكورة في آ ٧. فقوله «من عرف ضمير الرب» يقابل قوله «يا لعلم الله». وقوله «أو من كان له مشيراً» يقابل قوله «يا لحكمة الله».

وقوله «من تقدم فأعطاه شيئاً» يقابل «يا لعمق غنى الله». والمراد بالمشاور هنا من يشير على الله أو يعرف أسرارته تعالى. والمعنى أنه لا يسوغ لأحد أن يفحص عمل الله في رذل اليهود وانتخاب الشعوب، وأنه ليس لأحد فضل على الله في شيء كما قال تعالى في أي ٤١: من أعطاني شيئاً حتى أكافئه. وبين الرسول هذا بقوله التالي:

٣٦٣. لأن الأشياء كلها منه وبه وييده الذي له التساييح والبركات إلى أبد الآبدين آمين. أي لا أحد له قبل الله شيء وهو تعالى غير ملتزم بشيء لأحد، لأن كل شيء منه بحسب كونه خالق كل شيء ومبدعه، وكل شيء به بما أنه حافظه وصاينه. وكل شيء بيده أي بتدبيره وترتيبه. ومن قول الرسول وباقي الرسل «الذي له التساييح والبركات إلى أبد الآبدين» جرى في الكنيسة المقدسة تمجيد الثالث، وهو المجد للآب والابن والروح القدس. وزاد مجمع نيقية كما كان في البدء والآن ودائماً وإلى أبد الآبدين آمين على ما قال الحجري وتيريني. مستشهدين القديس باسيليوس وبارونيوس (تاريخ، مجلد ٣، سنة ٣٢٥).

الفصل الثاني عشر

من الرسالة إلى رومية

يتضمَّن ما يجب عمله في جانب الله وفي جانب القريب، وما يلزم الإنسان في حق نفسه، من تهذيب الباطن والظاهر، وتقديم أجسادنا ونفوسنا له تعالى، وإخلاص المحبة للقريب.

العبادة الروحية

١٢. فأطلب إليكم يا إخوتي برحمة الله أن تقيموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مقبولة لله بالخدمة الناطقة. أي قد أخبرتكم أيُّها الأمم، بما أصبتموه من نعمة الله ورحمته في دعوتكم إلى الإيمان. فأطلب إليكم الآن أن تكافئوا الله على ذلك، وتكونوا له من الشاكرين ذوي الوفاء، بتقديم أجسادكم له ذبيحة مقدَّسة في خدمته وعمل مسرَّته، وحيَّةً باستخدامها لعمل الفضائل والحسنات، لأنَّ الأجساد المستخدمة للردائل والسيِّئات تعدُّ ميتة، كما قال القديس غريغوريوس. قال الذهبي: «والمراد، أن تقدِّموا أجسادكم لله بحيث لا عدتمُ عملونها إلاَّ في خدمته تعالى ومرضاته». وقوله «بالخدمة الناطقة» أي بالخدمة الروحية الباطنة التي هي بحسب رشد النطق القويم. ومن حيث إنَّ الله تعالى روح، فيلزمنا أن نخدمه بالروح والباطن، لا بالشكل الظاهر فقط. وقد أشار الرسول إلى ذبائح العهد القديم من بقر وغنم، وأراد من المؤمنين أن يقدموا لله، لا مثل تلك الذبائح، بل أجسادهم بحسب ما تقدَّم. قال القديس توما: ولما كان للإنسان من جود الله نفسٌ وجسدٌ وزرقٌ، وجب عليه أن يقدم له تعالى نفسه للعبادة والأعمال الباطنة؛ ويهديه رزقه للتصدُّق والإحسان، ويضحِّي له جسده

بالأمانة. وهذه الذبيحة الروحية التي أشار إليها الرسول، يلزم أن يكون كاهنُها الروح، ومذبحها القلب، وسكّينها الندامة والإماتة، ونارها المحبة، ومادّتها الجسد الميت عن الخطيئة، الحيّ لله. قال الذهبي: «وكيف يصير الجسد ذبيحة مقبولة، إلّا فيما إذا كانت العين لا تنظر القبيح، واللسان لا يتكلّم بالمجون، واليد لا تفعل السوء» ولا يكفي هذا، بل ينبغي أن اليد تفعل الحسنات، واللسان يبارك الشاتم واللاعن، والأذن تصغي إلى الأقاويل الروحانية...

٢٠. ولا تشبّهوا بأهل هذا الدهر بل تغيّروا بتجديد ضمائركم لتمتحنوا أيّة هي مشيئة الله الصالحة المقبولة الكاملة. أي لا توافقوا بعد هذا العالم في مذاهبه ورغائبه الرديئة، ولا تشبّهوا بأهله السفهاء الفاسدين، بل تغيّروا وانقلبوا أناساً جديدين، وتجدّدوا بأفكاركم بحيث لا تفكّرون بعد إلّا بأمر الروح، فتعرفوا بذلك ما يريد الله يرضاه منكم. فإنّ تجديد سيرتكم وإصلاحها يقوم بمعرفة إرادة الله والعمل بحسبها. وبمقدار ما تجتهدون على تحسين سيرتكم، تزيدون علماً بمروضة الله وهدي منه تعالى إلى ما هو خير وحسن لديه. وفي قوله «مشيئة الله الصالحة المقبولة الكاملة» إشارة إلى أن ما يريد الله تعالى ممّا على ثلاثة أقسام. أوّلها، ما هو حسن وصالح وإليه أشار الرسول في الآية التالية. ثانيها، ما هو أحسن، مثل المحبة الخالصة الحارّة، وإليه يشير في آي ٩١ كما سنرى. ثالثها، ما هو كامل وتامّ، مثل المحبة الكاملة المقترنة بالاتّضاع العميق، والمودة للأعداء، ومقابلة الإساءة بالإحسان، كما سيأتي في آي ١٦.

التواضع والمحبة في الجماعات

٣١. وأقول لجميعكم بالنعمة التي وهبت لي ألاّ تضمروا أكثر ممّا ينبغي أن تضمروا. بل اضمروا بالورع كلّ امرئ حسب ما قسم الله له من الإيمان بالمقدار. قد علمت ممّا تقدّم أن الرومانيّين من شعوب ويهود، كانوا يتفاخرون في الإيمان ويتمجدون، وكلّ منهم يدّعي الفضل لنفسه على صاحبه، فنهاهم

الرسول عن ذلك لما فيه من الاستكبار والتعظّم المذموم، فقال: لا يفكر أحد منكم بنفسه أكثر ممّا فيه، ولا يضع نفسه في غير مقامها، بل فليضعها في المنزلة التي وضعه الله فيها في الإيمان، ولا يحسب لها أكثر ممّا جعل له الله من مواهب الإيمان. وقد علّمهم ذلك بنفسه إذ قال: «أقول لجميعكم بالنعمة». فلم يقل آمركم. ودعا رسالته نعمة من الله، حملاً لهم على أن يدعوا ما فيهم من خطايا الإيمان نعماً من الله وهبات من جوده العليم.

٤٠. لأنّه كما لنا في جسد واحد أعضاء كثيرة وليس عمل تلك الأعضاء كلّها بواحد. ٤١. كذلك نحن الكثيرون فإنّنا جسد واحد بالمسيح وكلّ واحد ممّا عضو للآخر. ضرب لهم هذا المثل مبيّناً لقوله السابق. أي كما أن الجسد البشريّ فيه أعضاء كثيرة، وعمل كلّ منها يفرق عن عمل الآخر ولس لكلّها وظيفة واحدة، هكذا الكنيسة التي هي الجسد السريّ للمسيح. فإنّ أعضاء كثيرة، أي مؤمنين كثيرين لكلّ منهم من مواهب الإيمان موهبة تختلف عن موهبة الآخر. قال القديس توما: «إنّ في الجسد البشريّ ثلاثاً. وحدة الجسد وكثرة الأعضاء. واختلاف وظائفها مع محلّية كلّ منها لمباشرة وظيفته. هكذا الكنيسة التي هي جسد المسيح السريّ: فإنّ فيها هذه الثلاث، وهي الوحدة، إذ أولادها يتحدون كلّهم بالمسيح، الذي هو الرأس، اتّحاداً داخليّاً بالإيمان والنعمة، واتّحاداً خارجيّاً بالأسرار، ويرتبطون برباط المحبة والإيمان، حتّى يصيروا كأنّهم جسد واحد وروح واحدة». ولكثرة، أي كثرة المؤمنين الذين هم بمنزلة الأعضاء. واختلاف الوظائف المرتبة للنفع العام. ولهذا جعلت لهم مواهب مختلفة كما يأتي تفصيلها في الآية التالية. ومغزى المثل أنّه يلزم كلاً من المؤمنين أن يقنع بما له من النعم والوظائف، ولا يتناول على صاحبه في أعماله، ولا يعمل لمنفعة نفسه فقط.

٦٠. لكنّ لنا مواهب مختلفة على قدر النعمة التي وهبت لنا فمّمّا من له النبوة بحسب إيمانه. أي إنّ الله وزّع علينا من فضل نعمته مواهب مختلفة وعطايا متنوّعة. فلنستعملها بالحشمة والأدب، ولا يتناول أحد ممّا على صاحبه.

فَمَنْ أُعْطِيَ مَنَّا النُّبُوَّةَ، وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَأَقْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْخُصُوصِ، فَلْيَسْتَخْدِمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِحَسَبِ نِظَامِ الْإِيمَانِ وَمَقْتَضَى التَّعْلِيمِ الْكَاثُولِيكِيِّ الْقَوِيمِ، وَلَا يَتَجَاوَزْ بِهَا مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ.

٧١. وَمَنَّا مِنْ لِهَ الْخِدْمَةِ فِي خِدْمَتِهِ. وَمَنَّا مُعَلِّمٌ فِي تَعْلِيمِهِ وَمُعَزٌّ فِي تَعَزِيَّتِهِ. وَمَنَّا مُعْطٍ بِانْبِسَاطٍ. وَمُدَبِّرٌ بِاجْتِهَادٍ. وَرَحُومٌ بِاسْفِرَارٍ وَجْهٍ. أَرَادَ بِالْخِدْمَةِ دَرَجَةَ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْكِنَائِسِيَّةِ. فَصَاحِبٌ مِثْلُ هَذِهِ الدَّرَجَةِ يَلْزِمُهُ السَّعْيُ وَالسَّلُوكُ بِمَا يُوَوِّلُ لِمَنْفَعَةِ الْكِنَيْسَةِ، لَا طَلَبًا لِمَصْلَحَةِ نَفْسِهِ وَشَرَفِهَا. وَمَنْ أُوتِيَ هِبَةُ الْعِلْمِ، فَلْيُعَلِّمْ غَيْرَهُ وَيَهْدِّبْهُ بِالْآدَابِ وَالضُّوَابِطِ الْإِنْجِيلِيَّةِ. وَمَنْ لَهُ نِعْمَةُ التَّعَزِيَّةِ، فَلْيَبَاشِرْهَا فِي جَانِبِ الْحَزُونِينَ وَالْمَصَابِينَ. وَمَنْ خَصَّهُ تَوَزِيعُ الصَّدَقَاتِ، فَلْيَفْرِقْهَا عَلَى الْجَمِيعِ بِأَمَانَةٍ وَخُلُوصٍ بِغَيْرِ خِيَانَةٍ وَمَحَابَاةٍ. وَمَنْ تَنْصَبَ مُدَبِّرًا وَرَأْسًا، فَلْيَسْهَرْ وَيَجْتَهِدْ فِي سِيَاسَتِهِ. وَمَنْ يَرْحَمُ الْبَائِسِينَ وَالْفُقَرَاءَ، فَلْيَفْعَلْ ذَلِكَ بِفَرَحٍ وَسُرُورٍ وَوَجْهِ بَاشٍ. وَهَذِهِ الْوُظَيْفَةُ الْأَخِيرَةُ أَحْصُ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ، هُوَ عِيَادَةُ الْمَرْضَى وَتَعَهُدُ الْحَبُوسِينَ. وَمَنْ الْبَيِّنُ أَنَّ مَبَاشَرَةَ ذَلِكَ تَقْضِي عَلَى صَاحِبِهَا بِالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ.

٨١. وَلِتَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَلَا رِيَاءٍ وَكُونُوا مَبْغُضِينَ لِلشَّرِّ وَمُقْتَفِينَ لِلْخَيْرِ. ٩١. وَكُونُوا مُحِبِّينَ لِإِخْوَتِكُمْ وَبَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَمُقَدِّمِينَ بِالْإِكْرَامِ أَحَدَكُمْ لِلْآخَرِ. انْتَقِلْ مِنَ الْوُظَائِفِ الْخَاصَّةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْعَامَّةِ، مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْجَمِيعِ مِنْ إِخْلَاصِ الْحُبِّ لِلْقَرِيبِ وَنَصْحِ الْمُوَدَّةِ لَهُ (عَلَى مَا قَالَ يُوحَنَّا ١١ يُو ٣: لَا تَكُنْ مُحِبِّتَنَا بِالْكَلَامِ وَاللِّسَانِ بَلْ بِالْعَمَلِ وَالصَّدَقِ). وَمَنْ يُغْضِ الشَّرَّ فِي الْقَرِيبِ وَحُبَّ الْخَيْرِ فِيهِ، وَمَنْ أَنَّ هَذِهِ الْحُبَّةَ لِلْقَرِيبِ حَكْمُهَا أَنْ تَكُونَ مِثْلَ مُحَبَّةِ الْأَخِ أَخَاهُ. وَبِتَقَدُّمَةِ الْإِكْرَامِ وَالاحْتِرَامِ لِمَنْ نَحْبُهُ، وَهُوَ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى كَوْنِهِ ابْنًا لِلَّهِ وَعَضْوًا لَجَسَدِ الْمَسِيحِ وَأَخًا لَنَا.

١٠١. كُونُوا مُجْتَهِدِينَ غَيْرِ مُتَكَاسِلِينَ وَحَارِّينَ بِالرُّوحِ وَلِرَبِّكُمْ عَابِدِينَ. ١١١. كُونُوا بِرِجَاكُمُ فَرِحِينَ وَفِي شِدَائِدِكُمْ صَبُورِينَ وَلِلصَّلَاةِ مَدْمِنِينَ. ١٢١. وَكُونُوا مُشَارِكِينَ فِي حَاجَةِ الْقَدِّيسِينَ وَمُحِبِّينَ لِلْغُرَبَاءِ. أَيُّ يَلْزِمُ الْمَسِيحِيِّينَ أَنْ يَتَعَاطَوْا وَاجِبَاتِهِمْ بِالْاجْتِهَادِ دُونَ كَسَلٍ، وَأَنْ يَكُونُوا بِالْخُصُوصِ نَشِيطِينَ فِي

عِبَادَةِ الرَّبِّ، وَأَنْ تَطْيِبَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا مِلْتَهَبَةً بِنَارِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَأَنْ يَكُونُوا فَرِحِينَ مُسْرُورِينَ بِانْتِظَارِ الْجِزَاءِ السَّمَائِيِّ وَبِرِجَاءِ الْأَجْرِ الْمَعْدِّ لَهُمْ. وَهَذَا الرِّجَاءُ فَلْيَكُنْ لَهُمْ مُصْبِرًا عَلَى الشَّدَائِدِ وَمُعَزِّيًا فِي الضِّيقَاتِ. كَتَبَ الْقَدِّيسُ أَتَانَاسِيُوسُ عَنْ الْقَدِّيسِ أَنْطُونِيُوسِ أَنَّ كَانَ فَرَحًا مُسْرُورًا فِي السَّعَةِ وَالشَّدَّةِ سَوَاءً. وَكَانَتْ مَسْرَّةَ قَلْبِهِ بِأَدِيَّةٍ عَلَى جَبِينِهِ، وَبِهَا اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ الَّذِينَ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَهُ. وَأَنْ يَثَابَرُوا، أَيُّ الْمَسِيحِيِّينَ، عَلَى الصَّلَاةِ بِدُونَ مَلَلٍ. وَأَنْ يَسْعَفُوا الْمَسَاكِينَ بِالتَّصَدُّقِ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ. وَدَعَاهُمْ «قَدِّيسِينَ» بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ تَقَدَّسُوا وَتَخَصَّصُوا لِلَّهِ. قَالَ الْذَهَبِيُّ: وَلَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ: «أَغِيثُوا الْمُحْتَاجِينَ بَلْ شَارِكُوهُمْ، دَلَالَةً لِلْأَغْنِيَاءِ عَلَى أَنَّ إِسْعَافَ الْمَسَاكِينَ ضَرْبٌ مِنَ الْمَتَاجِرَةِ، وَهُوَ شَرَكَةٌ رَابِحَةٌ بِهَا يَشْتَرِكُ الْأَغْنِيَاءُ بِحَاجَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْفُقَرَاءُ بِغْنَى الْأَغْنِيَاءِ. فَإِذَا آسَى الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ، جَلَبَ إِلَيْهِ الْفَقِيرَ رَضَى مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ». وَمَنْ التَّصَدَّقُ ضَيَافَةَ الْغُرَبَاءِ. وَفِي اللَّاتِينِيَّةِ: اقْتَفُوا الضِّيَافَةَ. أَيُّ بَادَرُوا إِلَيْهَا وَاسْعَوْا وَرَاءَهَا نَظِيرَ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطَ.

المحبة للجميع حتى المعادين

١٣١. بَارِكُوا عَلَى مُضْطَهْدِكُمْ. فَبَارِكُوا وَلَا تَلْعَنُوا.

١٤١. أَفْرَحُوا مَعَ الْفَرِحِينَ وَابْكُوا مَعَ الْبَاكِينَ. أَيُّ وَمَنْ الْحُبَّةَ لِلْقَرِيبِ طَلَبُ مَا يَنْفَعُهُ وَالِدَعَاءُ لَهُ، وَلَوْ أَضَرَّ بِنَا وَأَسَاءَ إِلَيْنَا، إِذْ لَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَشْتَهِيَ لَهُ ضَرَرًا الْبَيْتَةَ. ثُمَّ مِنَ الْحُبَّةَ لِلْقَرِيبِ، أَنْ نَفْرَحَ مَعَ الْفَرِحِينَ وَنَبْكِيَ مَعَ الْبَاكِينَ، كَأَنَّ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ حَلٌّ بِنَا.

١٥١. وَمَا ارْتَأَيْتُمُوهُ لِأَنْفُسِكُمْ فَارْتَأُوهُ لِإِخْوَتِكُمْ أَيْضًا وَلَا تَرْتَأُوا رَأْيًا شَامَخًا بَلْ وَافَقُوا الْمُتَوَاضِعِينَ. وَلَا تَكُونُوا حُكَمَاءَ بِرَأْيِ نَفُوسِكُمْ. أَيُّ وَكُونُوا مُتَوَافِقِينَ كَأَنَّ لَكُمْ قَلْبًا وَاحِدًا وَرَأْيًا وَاحِدًا. وَمَا يَرَاهُ أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ خَيْرًا فَلْيَرْهْ لْغَيْرِهِ وَيَطْلُبْهُ لَهُ طَلَبَهُ لِنَفْسِهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ الْحُبَّةِ لَهُ. وَلَا يَسْتَكْبِرُ أَحَدٌ عَلَى آخَرٍ وَلَا يَسْتَبْدُ بِرَأْيِ نَفْسِهِ، كَأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ مَشُورَةَ أَحَدٍ، عَلَى أَنَّ الْإِتِّصَاعَ يَصُونُ الْحُبَّةَ لِلْقَرِيبِ، وَالْإِسْتِكْبَارَ آفَةٌ لَهَا.

١٦٦. ولا تجازوا أحدًا سيئة عوض سيئة واحرصوا أن تعملوا الصالحات قدام جميع الناس. ١٧٧. وإن أمكن فبحسب طاقتكم سالموا كل واحد. ١٨٨. ولا تنتقموا لنفوسكم يا أحبائي بل أعطوا مكانًا للغضب لأنه مكتوب: إن لم تنتقم لنفسك فأنا أنتقم لك. (تث ٣٢). أي إذا أساء إليكم أحد، فلا تسيئوا إليه ولا تكيلوا له بما كال لكم. ولا يكفي هذا منكم، بل يلزمكم أن تحسنوا إليه، وتكون أعمالكم كلها حسنة حميدة عند الجميع. قال القديس برناردوس: «وعمل الصالحات قدام الناس يقوم بثلاث. الملبوس. والعمل والكلام. بحيث يكون الملبوس بحشمة دون زهو. والعمل محمودًا غير معيب. والكلام سديدًا غير سفاه». وقولي لكم إن أمكن فسالموا كل واحد. أي لا يكن من قبلكم باعث على المخاصمة والعداوة إلا إذا اقتضى ذلك العدل والحق. ولا تخاصموا عداتكم أخذًا بثأركم وانتقامًا منهم، بل اغفروا لهم واجعلوا للغضب مصرفًا عنكم، أو أعطوه مكانًا لديكم فسيحًا رحبًا، بحيث لا تضيق صدوركم غيظًا وغضبًا ممن ساءكم. ولا تنتقموا لأنفسكم، لأن حق الانتقام ليس هو لكم بل هو للرب، كما قال هو تعالى، وقد حفظه لنفسه بالخصوص، دلالة لكم على أن انتقامه من عداتكم يكون أشد من انتقامكم منهم. على أن الوقوع في يدي الله الحي مخيف جدًا. استدلل لوتاروس من قول الرسول هنا، على أن الانتقام لا يحق لذوي الولايات أيضًا، لكنه أخطأ في استدلاله وأشط. لأن سلطان ذوي الولايات من الله، كما يأتي في الفصل بعده، والكلام هنا إنما هو على انتقام العامة والمسددين.

١٩٩. فإذا جاع عدوك فأطعمه وإذا عطش فاسقه فإنك إذا فعلت ذلك تجمع جمر نار على هامته. لا يغلبكم الشر بل اغلبوا الشر بالخير. أي، بل أحسنوا إلى من أساء إليكم، كأن تطعموه في جوعه وتسقوه في عطشه، فيكون إحسانكم عنده كجمر نار المحبة، فيشعله ويرده لكم صديقًا صدوقًا. على أنه لا شيء أقوى من الإحسان في امتلاك المحبة. قال القديس أغوستينوس: «ولا شيء يجلب الحب مثل الحب». وفي المثل: أحبب تُحب. وفسر بعضهم الآية بأن الإحسان إلى المسيء يؤلمه وينكيه كأنه نار تلفح رأسه. لكن التفسير الأول أليق

بروح الرسول. وهذه الآية مقتبسة من أم ٢٥: ٢١-٢٢. وقوله «لا يغلبكم الشر» إلخ أي، لا يتغلب عليكم شر عدوكم حتى يجركم إلى الانتقام منه، بل استظهروا عليه بالإحسان والمؤاساة، تشبهاً بأبيكم السماوي الذي يخطر غيظه على الأخيار والأشرار... سئلت إحدى القديسات: «بأي طريق بلغت قمة الكمال؟ فأجبت: بثلاث. أولاً، أنني ما شكوت مصائبي إلا إلى الله. ثانيها، أنني كنت كريمة ذات جود على الكل ولو بالإرادة والشوق. ثالثها، أنني أحسنت إلى من أساء إليّ إحساناً وافراً ما بذلته له لولا إساءته».

الفصل الثالث عشر

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن حثّه لهم على الخضوع والطاعة لأرباب الولاية، ووصفه المحبّة وتقريظه لها، وتنبية الغافلين عن أمر الخلاص.

الخضوع للسلطات

١٣. كلُّ نفس فلتخضع لسلطان العظمة لأنّ ليس سلطة إلّا من الله. ومن هم سلاطين فهم مرتّبون من الله. لما كان لليهود أن ينصبّوا عليهم ملكاً من إخوتهم، كما جاء في تث ١٧، توهّموا أنّه لا تلزمهم طاعة الملوك الأجانب. ولافتخارهم بكونهم أحراراً لأنّهم شعب الله، كانوا يكرهون الوثنيين، ولا يريدون أن يؤدّوا الجزية للملوك الوثنيين. فدفع الرسول توهّمهم بهذا الفصل، وردّهم عمّا ذهبوا إليه، إبطالاً لما شاع عن المسيحيّين في أوائل النصرانيّة من أنّ ديانة المسيح مناقضة لكلّ سلطة وولاية. فلذلك أمر المسيح والرسول المؤمنين بالطاعة لكلّ ذي سلطة وولاية أيّاً كان. ومعنى الآية، أنّه يلزم كلّ إنسان الخضوع والطاعة للملوك ولكلّ من تنصّب من قبلهم، من وجه أنّ سلطتهم من الله سبحانه هذا. والعقل المنطقيّ يرى ذلك ويسلم به، لأنّ الولاية العادلة تردع الناس عن الشرور والمظالم، وتحيي العدل والسلام بين الرعايا، حتّى لا يفترس الذئب الحمل ويأكل القويّ الضعيف. وأمّا الله عزّ وجلّ، فإذا أراد عقوبة الشعب أقام عليهم ولاية قساة أشراراً كما قال في إش ٣: وأقيم رؤساءهم أحداثاً ويتسلّط عليهم الغاشون. قال تاودوريطوس: «وأما إذا كان سبحانه رؤوفاً بشعبه، أقام عليه رعاية كقلبه» كما قال في إر ٣. قال الذهبيّ والقديس توما: إنّ كلّ ولاية بذاتها من الله، ولكنّ أجراءها لا يكون دائماً بحسب إرادة الله.

٢٢. فمن قاوم السلطان فإنما يقاوم أمر الله والمقاومون يكسبون الدينونة. أي من عاند الملك وأبى الطاعة له، فقد عاند الله لأن كل سلطة من الله، وقد جلب على نفسه العقوبة من الملك والنقمة والدينونة من الله، كما قال الذهبي وغيره.

٢٣. لأن الرؤساء ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للأعمال الشريرة. أتريد ألا نخاف السلطان فاعمل صلاحاً فيكون لك من لدنه مدحاً. أي وتلزم الطاعة للولاة من وجه آخر، وهو الغرض الذي ترتبوا إليه. فإنهم قد أقيموا من أجل الأبرار يذبون عنهم ويحمون جانبهم من الغاصبين والأشرار. ولا خوف منهم إلا على ذوي التعدي والمساءة. فإذا أحببت أن تأمن بأس غضبهم، فاعمل الحسنات فيكون لك المدح من وجهين: من عقوبة الأشرار فإنها مديح للصالحين المطيعين، ومن الولاة أنفسهم.

٢٤. لأنه خادم الله ولكن هو لك للخير فإن أنت عملت سوءاً فخف لأنه لم يتقلد السيف عبثاً إذ هو خادم الله وهو منتقم بالغضب من الذين يعملون السيئات. أي، ثم يجب عليك الطاعة للملك من وجه كونه خادم الله وجنديه، وقد أقيم لأجلك لتعيش في أمان وهدوء. وأما إذا عصيت وعملت سوءاً، فخف من عقوبته وقصاصه، لأنه لم يتقلد السيف إلا لينضيه على من أذنب نظيرك. وهو نائب الله ينتقم من المذنبين لراحة عباده. فليتذكر من كان من أرباب الولايات أنه خادم لله ووكيله، وأن الواجب عليه أن يسير بحسب مسرة الله بالعدل والاستقامة، وأن سلطانه إنما هو لردع الشر وتأيد الخير. وليعلم الشعب أن خضوعه لمتولي سياسته خضوع للمولى سبحانه.

٢٥. ولذلك يلزمنا أن نخضع ليس من أجل الغضب فقط بل من أجل نيتنا أيضاً. أي يلزم مما ذكر أن الخضوع للولاة متوجّب علينا، لا خوفاً من العقوبة والقصاص فقط، بل خوفاً من أن نكون مذنبين عند الله بعدم خضوعنا لخادمه ووكيله، وهو تعالى قد أمرنا بالخضوع والطاعة، إذ قال: أعطوا ما هو لقيصر لقيصر.

٢٦. ولأجل هذا تؤدّون جزية الرأس فإنهم خدام الله وهم متولّون لهذا الأمر. أي ولأجل السبب المذكور، تؤدّون الجزية والخراج للملك. فإن تأدية مثل هذه تدل على وجوب الطاعة، وقد أداها المسيح نفسه وأمركم بتأديتها، لأن الولاة خدامه وأعوانه، وقد أعطوا الولاية لحماية المطيعين وردع العصاة.

٢٧. فأدّوا إذاً إلى كل حق جزية الرأس إلى من له جزية الرأس والعشور إلى من له العشور والمهابة إلى من له المهابة والكرامة لمن له الكرامة. أي، والحاصل يلزمكم أن تدفعوا للولاة الجزية والخراج لمعيشتهم، ويلزمكم أيضاً أن تهابوهم وتكرّموهم.

المحبة كمال الناموس

٢٨. ولا يكن لأحد عليكم حق إلا أن يحب أحدكم الآخر لأن من أحب قريبه قد أكمل الناموس. انتقل من حقوق الولاة إلى حقوق الرعاية. أي اقضوا كل من له قبلكم حق ولا تغضبوا من أحد شيئاً. وأما حق المحبة للقريب، فإنه وإن قضيتموه، لا يزال واجباً عليكم، لأن القريب يلزم محبته دائماً. قال القديس أغوستينوس: «إن المحبة لا تزال واجبة عليّ، وهي وحدها ذات حق كلما قضيته لزمني». وقوله: «من أحب قريبه قد أكمل الناموس» يعني من قضى حق المحبة للقريب، قد أكمل ما فرض عليه من الناموس من حقوق الغريب، كما يلي.

٢٩. لأن ما قيل لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشته وما أشبه من الوصايا إنما يكمل بهذه الكلمة وهي أن تحب قريبك مثل نفسك. أي إن الوصايا التي سطرت في اللوح الثاني المختصة بالقريب كلها، تؤل إلى إيجاب المحبة له. فمن أحب قريبه يكون قد أكمل كل هذه الوصايا، لانضمامها في وصية المحبة. وأما القديس أغوستينوس فأول الآية تأويلاً آخر حيث قال: «وأما كون الوصايا تكمل محبة القريب، فمن وجه أن محبة القريب تتضمن المحبة لله. على

أنَّ المحبة للقريب إنما وجبت له من أجل الله، فلا تقوم محبته إلا بمحبة الله. فعلى ذلك من أحبَّ القريب يكون قد أحبَّ الله وأكمل كلَّ الوصايا المختصة بالله وبالقريب». وأما قوله «قريبك مثل نفسك» فيدلُّ على المماثلة لا على المساواة. فإنَّ الإنسان يلزمه بحسب نظام المحبة أن يحبَّ نفسه أكثر من غيره. قال القديس توما: «إنَّ المحبة للقريب تقوم بثلاثٍ. أولها، أن نحبه لأجل الله. ثانيها، أن نحبه محبة مخلصة مستقيمة غير منحرفة ولا كاذبة. ثالثها، أن نمدّه في حاجته ونسغه في عازته».

١٠. فمحبة القريب لا تعمل سوءاً لأنَّ المحبة كمال الناموس. يعني أنَّ المحبة للقريب لا تؤذّن لصاحبها أن يصنع بقريبه سوءاً، ولا تطيق أن ينزل به شيء من الشرِّ، لا بل تأمر بما هو منفعة له وخير. وهي «كمال الناموس» أي غايته وغرضه، من حيث إنَّه أي الناموس إنَّما قد ترتّب لاقتياد الناس إليها. قال الجليل أغوستينوس: «إنَّ المحبة كمال الناموس من حيث إنَّ الناموس يكملُّ بها لا بالخوف. على أن من خلا من المحبة لا يخلو من الخلل في تكميل الناموس».

أنتم أبناء النور

١١. واعلموا أنَّ هذا زمان وساعة استيقاظنا من رقادنا لأنَّ حياتنا الآن أقرب من حين آمنا. أي ويلزمكم أن تبادروا إلى عمل كلِّ ما قلته لكم ممَّا يحقُّ للولادة وللقريب، من حيث قد حضر الزمان الذي يجب أن تستيقظوا فيه من رقاد الخطيئة وليل الجهل والعصيان، لأنَّ شمس البرِّ يسوع المسيح أضاء الدنيا بنور إيمانه وأشعة إنجيله. ثمَّ لأنَّكم قاربتم يوم الموت والدينونة ودنوتكم من دخول السعادة والحياة الأبدية. قال الذهبي: «بقدر ما نتقدّم في العمر والإيمان والفضيلة نقرب من غايتنا وندنو من سعادتنا. وكلّما طال زماننا نقرب من السماء أكثر من حين آمنا». وفسّر بعضهم قول الرسول هنا تفسيراً آخر وهو أنَّ زمان الخلاص والحياة الأبدية صار، في مجيء المسيح وانتشار إيمانه، أقرب من قبل،

لأنَّ الناس قبل مجيء المسيح كانوا يترجّون الخلاص وينتظرون ورود المخلص، وأما الآن فقد حصلوا على ذلك.

١٢. وقد مضى الليل ودنا النهار فلندعُ عنّا أعمال الظلمة ونلبس سلاح النور. أي ليل هذه الحياة كاد ينتهي، ونهار المجد المنتظر قُرب طلوعه. فلندعُ أعمال الظلام التي هي الخطيئة، ونلبس سلاح النور الذي هو الأعمال الصالحة الفاضلة. اعلم أنَّ الخطيئة يُعبّر عنها بأعمال الظلمة، من حيث إنَّ فاعلها يودُّ الخفاء والاستتار وبغض النور أي الاستعلان والاشتهار، كما قال يو ٣. قال أي ٢٤: ١٥: «وعين الزاني تراعي الدجي، ويقول: لا تراني عين، فيجعل سترًا على وجهه. ينقب البيوت في الظلام أنهم لا يعرفون النور لأنَّ الفجر لهم كظلِّ الموت». وأما كون أعمال البرِّ والصالح تدعى أعمال النور، فلأنَّ فاعلها يودُّ الاشتهار ولا يخجل إذا ظهرت. وتدعى سلاحًا، لأنَّها تقي صاحبها من عداته العالم والجسد والشیطان.. وقال بعضهم مثل قبريانوس وأمبروسيوس وأغوستينوس: إنَّ الزمان من قبل المسيح يُشبّه بالليل، وزمان مجيئه يُشبّه بالنهار. فمراد الرسول أن نترك أعمال الليل كالوثنية والخطيئة، ونعمل الأعمال الفاضلة التي تليق بالمسيحي.

١٣. ولنسع باحتشام سعي النهار لا بالأغاني والسكر ولا بالمضجع الدنس ولا بالغيرة والخصومة. أي، ومن حيث إنَّ النهار طلع والليل مضى، فلنعمل ما هو حسنٌ، ونسع سعيًا لائقًا لا خجل به، ولنحذر ما هو من أعمال الليل والظلمة، كالمضاجع النجسة والأغاني السفیهة والسكر والخصومة، وما أشبه ممَّا في عمله عار وعيب.

١٤. بل البسوا الربَّ يسوع ولا تهتمُّوا بشهوات بدنكم. أي، واطبعوا في قلوبكم روح يسوع المسيح وتزيّنوا بفضائله، حتّى يعرف الجميع أنكم عبيده وأتباعه. قال الذهبي: «وليسُ المسيح إنَّما هو ظهور المسيح بنا من كلِّ جهة بالقداسة والوداعة، على أنَّ اللابس يظهر شكله بما لبس» وقوله: «لا تهتمُّوا بشهوات بدنكم» نهى عن أتباع أهواء الجسد القبيحة لا عن الاهتمام بضروريّاته ومعيشته.

الفصل الرابع عشر

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن طلبه من الأقوياء في الإيمان أن يعضدوا الضعفاء ويتلافوهم، ونهيّه الفريقين عن مراعاة ما حرّم في الشريعة القديمة من المأكولات إلّا فيما إذا كان ذلك عثرة للضعيف وضدّ ضميره.

الأقوياء والضعفاء

١٦. ومن كان ضعيفاً في الإيمان فخذوا بيده ولا تتقسّموا بأفكاركم. اعلم أنّ بعضاً من اليهود المؤمنين كانوا، لعدم تفقّهم، يتوهّمون أنّه لم يزل واجباً عليهم الامتناع عمّا حرّم بحسب الشريعة الموسويّة، ممّا قدّم للأوثان وغير مأكولات. وغيرهم كان يزعم الخلاف، ولاسيّما الشعوب. فإنّهم كانوا يعارضون اليهود على ذلك، بأنّ الإنجيل أباح كلّ شيء من المأكولات. فكانوا يأكلون من غير امتناع عن شيء، فسبّب ذلك منهم عثرة لليهود الضعفاء واختلافاً ونزاعاً بينهم. فنهاهم الرسول بقوله هنا عن ذلك. ومعناه، ومن كان ضعيفاً في علم الإيمان ومعرفة الإنجيل، لا تحتقروه ولا تجادلوه في ما يزعم، بل ارفقوا به لئلا يفشل من تغليظ الجدل.

٢١. فإنّ من الناس من يعتقد أن يأكل كلّ شيء وأمّا الضعيف فليأكل البقل. أي من كان عالماً في الإيمان وخبيراً في المذهب، يعلم أنّه يجوز له أن يأكل كلّ شيء، لأنّه لا شيء من المأكولات محرّم في الإنجيل. وأمّا من كان غير عالم ذلك، فليأكل البقل وما أشبه من الخضراوات، لعلمه أنّ الشريعة الموسويّة قد حرّمت كثيراً من الطيور والبهائم والأسماك، ولم تحرّم شيئاً من الخضراوات.

٣٣. فمن يأكل لا يحتقر من لا يأكل ومن لا يأكل لا يدين من يأكل لأن الله قد قرّبه. أي من يأكل كل شيء بحسب إباحة الإنجيل وتحديد الشريعة الجديدة، لا يحتقر من لا يأكل تمسكاً بالشريعة القديمة لضعفه وعدم علمه، ولا يعدّه مخالفاً الشريعة الإنجيلية. كذلك من لا يأكل لا يحكم على من يأكل، بأنه مخالف للشريعة الموسوية المحرمة لما يأكله. لأن الله قد اتخذ مثل هذا عبداً له وقبله ورضي عنه، فلم يعد يسوغ لأحد أن يدينه ويعيبه.

٤٤. فمن أنت يا هذا حتى تدين عبداً ليس هو لك فإنه إن يقيم فلربّه يقوم وإن يسقط فلربّه يسقط لكنّه سيقوم قياماً لأن الله قادر على أن يقيمه. أي ليس لك، يا من لا تأكل، أن تدين من يأكل وتشجبه، لأن دينونة مثل هذا تنوط برّبه سواء تبرّر في الدينونة أو لم يتبرّر. لكنّه سيتبرّر لأن الله قادر أن يبرّره. على أن الله الذي حرّم بعض مأكّل في القديمة، يمكنه أن يحلّها في الجديدة، وهو قد حلّها وأتاحها. فالذي تحكم عليه أنت بأنه أذنب بأكلها، هو عند الله بريء وغير مذنب. اعلم أن الرسول في كلامه مع أهل غلاطية على هذا الموضوع، أي الامتناع عن بعض مأكّل بموجب الشريعة القديمة، غلظ خطابه لهم ووبّخهم، كما سنرى في الفصل الأول من رسالته إليهم. وأمّا في كلامه هنا، فتساهل واتّاد كأنّ ذلك لا بأس فيه. وسببه أن الغلاطيّين قبل أن آمنوا، كانوا لا يراعون المأكّل المحرّمة بحسب القديمة ولا غيرها من رسوم الناموس. وأمّا بعد، فصاروا يراعونها ويتمسّكون بها كأنّها لازمة ضروريّة، فوبّخهم ودعاهم جهلة. وأمّا الرومانيّون فجاملهم ولاطفهم، لأنّهم كانوا بعد ضعفاء بالإيمان وغير عالمين حقيقة ذلك. وسمح بالامتناع عن المأكّل المذكورة لمن اعتقد ذلك، وكان سماحه إلى زمن، إذ لم يكن يتأتّى وقتئذٍ إلغاء الشريعة القديمة بالكلية.

٥٥. ومن الناس من يميّز يوماً من يوم ومنهم من يميّز الأيام كلّها. أي، ومثل الضعيف المشار إليه في الآية ١ و٢، يفرّق يوم السبت مثلاً عن باقي

الأيام. وأمّا القويّ في الإيمان العالم بالخبر بالإنجيل، فلا فرق عنده بين يوم ويوم، بل يحسب الأيام كلّها سواء، لعلمه أن الشريعة الجديدة أبطلت الاحتفاظات القديمة. فليتبّع كلّ واحد ما رأى في ذلك بحسب ضميره. اعلم أولاً، أن الكلام هو على أعياد اليهود وأيام أصوامهم وقطائعهم، كما يظهر واضحاً من القرائن. فمن ثمّ، لا يصحّ للهرطقة تخريجه على أعياد الكنيسة وأصوامها، وإلاّ لأمر بحفظ هذه كما أمر بحفظ ما أشبهها ممّا رسمه الرسل كما جاء في أع ١٦. ثانياً، إنّ قطائع اليهود، منها ما كان دائماً كانقطاعهم عن لحم الخنزير والأرنب واليربوع كما في لا ١١، ومنها ما كان في أوقات معيّنة كانقطاعهم عن أكل الخمير في أيام الفصح. ثالثاً، إنّ الرسول سمح بأن يبقى الضعفاء من اليهود تابعين الشريعة القديمة في حفظ مثل هذه القطائع والأيام، إلى أن يكونوا قد تهذبوا وتفقهوا في علم الشريعة الجديدة، لئلاّ ينسلخوا عن الإيمان ويفشلوا إذا نهاهم عن ذلك بعنف وإكراه.

٦٦. فالذي يرى يوماً لربّه يرى. والذي لا يرى يوماً لربّه لا يرى. والذي يأكل لربّه يأكل ولله يشكر. والذي لا يأكل لربّه لا يأكل ولله يشكر. أي من يفرّق يوم العيد من غيره بحسب الشريعة القديمة ويميّز يوم القطاعة من غيره، فإنّه يفعل ذلك لمجد الله مشترع الشريعة الآمرة بالقطاعة ومراعاة هذه الأيام. ومن يخالفه في ذلك وعنده الأيام كلّها سواء، فحكمه كحكم ذاك في تمجيد الله وإكرامه، كما تقدّم في آ ٣١. كذلك من يأكل المأكّل المذكورة آنفاً ومن لا يأكل في حكم واحد عند الله، لأنّه سبحانه يعرف نيّة من أكل ومن لم يأكل إنّها مخلصّة لمجده.

٧٧. لأنّه ليس أحد ممّن يحيى لنفسه ولا أحد يموت لنفسه. هذا تعليل لقوله السابق: من يأكل ومن لا يأكل سواء عند الله، لأنّ كلّ إنسان حيّ أو مات إنّما هو لله لا لنفسه. فإنّ الله ربّ الحياة والموت، ولذلك يلزم أن نوجّه أكلنا وعدم أكلنا لمجده.

٨١. فَإِنَّا إِن حَيِينَا فَلرَبِّنَا نَحْيَا وَإِن مَتْنَا فَلرَبِّنَا نَمُوتُ فَنَحْنُ لِرَبِّنَا، أَحْيَاءُ كُنَّا أَوْ أَمْوَاتًا. أَيُّ كَمَا أَنَّ الْعَبْدَ هُوَ لِمَوْلَاهُ لَا لِنَفْسِهِ، كَذَلِكَ نَحْنُ فَإِنَّا إِن حَيِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ لِرَبِّنَا. فَيَلْزِمُنَا أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ لِحَمْدِهِ لَا لَنَا. وَإِن مَتْنَا فَلنَرْضَ الْمَوْتَ لِأَجَلِهِ لَا لِأَجْلِ أَنْفُسِنَا.

٩٢. فَلهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَحْيِي وَقَامَ لِيَكُونَ رَبًّا لِلأَحْيَاءِ وَالْمُوتَى. أَيُّ وَأَمَّا كُونُنَا لِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَحْيَاءُ كُنَّا أَوْ أَمْوَاتًا، فَمَنْ وَجْهَ أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ وَقَامَ لِيَبْأَشِرَ مَا أُوتِيَهُ مِنَ الْوَلَايَةِ وَالسُّلْطَةِ عَلَى الْأَحْيَاءِ وَالْمُوتَى. وَهُوَ عَزَّ اسْمُهُ، أُوتِيَتْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ مَذَاتُحِدَ لَاهُوتِهِ بِنَاسُوتِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَبْأَشِرْهَا إِلَّا بَعْدَ قِيَامَتِهِ.

١٠٢. فَلِمَاذَا تَدِينُ أَخَاكَ وَأَنْتَ لِمَاذَا تَحْتَقِرُ أَخَاكَ فَإِنَّا جَمِيعُنَا سَوْفَ نَقُفُ أَمَامَ مَنْبَرِ الْمَسِيحِ. أَيُّ لَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَدِينَ صَاحِبَهُ أَوْ يَحْتَقِرَهُ سِوَا أَكْلٍ أَوْ لَمْ يَأْكُلْ كَمَا تَقَدَّمَ. لِأَنَّهُ لَا وَلايَةَ لِأَحَدٍ مَتَّا عَلَى غَيْرِهِ بَلْ نَحْنُ بِأَجْمَعِنَا عِبِيدٌ لِلْمَسِيحِ وَالْوَلَايَةُ عَلَيْنَا إِنَّمَا هِيَ لَهُ. وَلِذَلِكَ سَوْفَ نَحْضُرُ كُلُّنَا قَدَامَهُ لِلدِّينُونَةِ. فَكُفُّوا إِذَا عَنْ مَدَايِنَةِ بَعْضِكُمْ.

١١٢. لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ حَيُّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ إِنَّ كُلَّ رَكْبَةٍ لِي تَجْثُو وَكُلَّ لِسَانٍ بِي يَعْتَرِفُ. إِش ٤٥. أَيُّ الْبَشَرِ بِأَجْمَعِهِمْ يَعْرِفُونَ الْمَسِيحَ أَنَّهُ الْإِلَهُ وَالِدَيَّانِ السَّامِيَّ وَيَمْدَحُونَ حِلْمَهُ وَعَدْلَهُ وَيَخْضَعُونَ لَهُ.

١٢٢. فَكُلُّ إِنْسَانٍ مَتَّا يَعْطِي حِسَابًا لِلَّهِ عَنْ نَفْسِهِ. ١٣٢. فَلَا نَدِينُ إِذَا بَعْضُنَا بَعْضًا بَلْ لِيَكُنْ أَفْضَلُ مَا تَحْكُمُونَ بِهِ أَنْ لَا تَضَعَ عِثْرَةً لِأَخِيكَ. أَيُّ وَمَنْ حَيْثُ إِنَّ كَلَامًا مِنْكُمْ سَوْفَ يَحَاسِبُ عَمَّا فَعَلَهُ هُوَ لَا عَمَّا فَعَلَهُ أَخُوهُ، فَلْيَكْفُ عَنْ دِينُونَتِهِ وَمَحَاسِبَتِهِ. وَلَكِنْ الْأُولَى أَنْ يَحْكُمَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ لَا يَجْعَلَ لِأَخِيهِ سَبِيلًا إِلَى الْخَطَا.

١٤٢. وَإِنِّي أَعْلَمُ يَقِينًا بِالرَّبِّ يَسُوعَ أَنْ لَيْسَ مِنْ قِبَلِهِ شَيْءٌ نَجَسًا إِلَّا لِمَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ نَجَسٌ فَلَهُ وَحْدَهُ نَجَسٌ. أَيُّ إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ مِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعْلَمِي، أَنْ لَيْسَ فِي إِنْجِيلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَأْكَلِ تَحْرِمُ، وَلَا شَيْءٌ نَجَسٌ غَيْرُ جَائِزٍ. وَإِنْ مِنْ تَوْهَمٍ

ذَلِكَ فَيُعَدُّ عَلَيْهِ مُحَرَّمًا لَخَطَا ضَمِيرِهِ. فَعَلَى ذَلِكَ لَا نَمْنَعُ أَحَدًا عَنْ أَكْلِ الْمُحْظُورَاتِ الْقَدِيمَةِ، وَلَا نَمْتَنِعُ نَحْنُ أَيْضًا عَنْ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ عِثْرَةً لَغَيْرِنَا وَضِدَّ ضَمِيرِنَا.

١٥٢. فَإِنْ أَنْتَ أَحْزَنْتَ أَخَاكَ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ لَا تَكُونُ سَالِكًا بِالْحُبَّةِ. لَا تَهْلِكُ بِطَعَامِكَ ذَاكَ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجَلِهِ. أَيُّ إِذَا كَانَ أَخُوكَ لَعَدَمَ عِلْمِهِ يَظُنُّ شَيْئًا مِنَ الْمَأْكَلِ مُحَرَّمًا وَأَكَلْتَهُ أَنْتَ أَمَامَهُ، فَإِنَّكَ تَغْمُهُ أَوْ تَسُوقُهُ بِفَعْلِكَ إِلَى أَنْ يَأْكُلَ مِثْلَكَ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ فَيَخْطِئُ، وَتَكُونُ أَنْتَ سَبَبَ خَطْئِهِ. وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ تَكَلَّفَ لِأَجَلِهِ الْمَوْتَ، فَأُولَى أَنْ تَتَكَلَّفَ أَنْتَ مِنْ أَجَلِهِ تَرْكَ أَكْلَةٍ تَضُرُّهُ.

١٦٢. فَلَا يُفْتَرِ عَلَى خَيْرِنَا. أَيُّ لَا تَجْعَلُوا سَبِيلًا لِلشُّعُوبِ أَنْ يَتَقَاوَلُوا عَلَى إِيمَانِنَا وَحَرِيَّتِنَا الْمَسِيحِيَّةِ فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْكُمْ تَتَخَاصَمُونَ وَتَتَنَازَعُونَ فِي الْمَأْكَلِ، يَشْكُكُونَ بِمَذْهَبِكُمْ وَرَبَّنَا يَنْكُفُونَ عَنْ اتِّبَاعِهِ بِسَبَبِ خِصَامِكُمْ.

١٧٢. لِأَنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ لَيْسَ أَكْلًا وَشَرْبًا بَلْ بَرًّا وَسَلَامًا وَفَرَحًا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. أَيُّ إِنَّ الدِّيانَةَ الَّتِي هِيَ مَمْلَكَةُ اللَّهِ، لَا تَقُومُ بِالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، وَلَا تَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ، بَلْ إِنَّمَا تَقُومُ بِالْبَرِّ وَالسَّلَامِ وَالْفَرَحِ الرُّوحِيِّ، أَوْ بِحِفْظِ نَامُوسِ اللَّهِ وَمَسَالِمَةِ الْقَرِيبِ، وَالْفَرَحِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي يَهَبُ السَّرُورَ لِأَبْنَاءِ السَّلَامِ لَا لِحُبِّي النِّزَاعِ وَالْخِصَامِ. قَدْ تَوَهَّمُ الْهَرَاظِقَةُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ هَذَا أَنَّ الصِّيَامَاتِ وَالْقَطَائِعِ الْكَنَائِسِيَّةِ لَا فَائِدَةَ فِيهَا، مَعَ أَنَّ كَلَامَهُ إِنَّمَا هُوَ عَلَى قَطَائِعِ الشَّرِيعَةِ الْقَدِيمَةِ كَمَا رَأَيْتَ مِنْ أَوَّلِ الْفَصْلِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ الدِّيانَةَ الْكَاثُولِيكِيَّةَ لَا تَقُومُ بِالْأَكْلِ كَأَنَّهُ لَا زِمٌ لَهَا ضَرُورَةً، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مِنْ ذَاتِهَا مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لَزِمًا بِالْعَرَضِ؛ كَمَا إِذَا تَحَرَّمَ مِنَ الْكَنِيسَةِ الْمُقَدَّسَةِ. وَشَاهِدُهُ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ حَرَّمَ عَلَى آدَمَ شَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَحَرَّمَ عَلَى الْيَهُودِ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ وَالْأَرْنَبِ كَمَا تَقَدَّمَ. فَتَأَمَّلْ.

١٨٢. فَالَّذِي يَخْدُمُ الْمَسِيحَ بِهَذِهِ يَكُونُ مَرْضِيًّا لِلَّهِ وَمَقْبُولًا لَدَى النَّاسِ. أَيُّ مَنْ يَعْبُدُ الْمَسِيحَ بِالتَّقْوَى الْخُلُصَةِ وَمَسَالِمَةِ الْقَرِيبِ وَالْفَرَحِ الرُّوحِيِّ، لَا بِالنِّزَاعِ وَالْخِصَامَةِ وَإِغَاظَةِ غَيْرِهِ وَغَمِّهِ، تَكُونُ عِبَادَتُهُ حَسَنَةً لَدَى اللَّهِ وَالنَّاسِ.

١٩٨. فلنقتفِ الآن السلامة وبناءنا المتبادل. أي يلزمنا أن نفعل ما يفيد غيرنا ويرسخه في الإيمان والفضيلة ويكسبه السلامة والراحة. اعلم أن الرسول كثيراً ما يعبر عما هو منفعة للقريب بلفظ البناء، وذلك من حيث تشبيهه المؤمنين بهيكل الله. فعلى ذلك يكون كل من المسيحيين بمنزلة حجر من هذا الهيكل، ويكون كل ما نفعله مما هو منفعة للقريب كبناء وترسيخ له في هذا الهيكل.

٢٠٨. ولا ننقض عمل الله من أجل الطعام. أي ويلزمنا الاحتراز من أكل ما يضر غيرنا ويسوقه إلى الخطأ، لأن غيرنا هو عمل الله وهيكل الروح القدس، وقد تكلف الله كثيراً في تشييده في الديانة والإيمان. فكيف نهدم نحن هذا العمل الكبير لأجل طعام خسيس وأكلة دنيئة. فالأشياء كلها نقيّة، لكنّها شرّ على الإنسان الذي يأكل بعثرة. أي لا شيء من المأكّل نجس من ذاته، كما تقدّم، لأن المسيح نفسه لم يحرم شيئاً منها. ولكن من يأكل ويؤذي غيره ويجعل له عثرة يخطئ. فمن هنا تعلم أن الأشياء الجائزة قد يلزمك الامتناع عنها فيما إذا أدّت إلى مضرة غيرك.

٢١٨. إنه لحسن أن لا نأكل لحمًا ولا نشرب خمراً ولا شيئاً يعثر به أخونا. أي إن المحبة للقريب تقضي علينا بأن نمتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر وما أشبه مما يكون له سبب خطأ ومضرة كما سبق.

٢٢٨. وأنت الذي فيك الإيمان فتمسك به بنفسك قدام الله. طوبى لمن لم يدين نفسه بشيء أفرزه. أي وأنت الذي تعلم يقيناً أنه لا شيء محرّم بعد، لأن الشريعة القديمة بطلت، وأنه يجوز لك أن تأكل كل شيء، فلا تشهر معرفتك هذه لئلا تجعل عثرة لأخيك الذي يزعم الخلاف، وطوبى لك إذا لم تستصوب أكل ما يضر غيرك ولو كنت عارفاً أنه يجوز لك. قال بعضهم: وقوله «طوبى لمن لم يدين نفسه بشيء أفرزه»، موجه إلى الضعيف الغير العالم في الإيمان وهو من نوع الالتفات. ومعناه أن الذي لا يفعل ضد ضميره يأكل ما يعتقد عدم جوازه؛ طوبى له، لأن مثل هذا، إذا انتقاد بمثل الغير إلى أكل لحم الخنزير مثلاً وهو يعتقد أن ذلك لا يجوز، يخطئ خطأ ضميره.

٢٣٨. ومن شكّ وأكل قد شُجِبَ لأنه ليس عن إيمان وكل ما لم يكن عن إيمان فهو خطيئة. أي من شكّ متردداً بأكل طعام كذا يجوز له أم لا وأكل في شكّه هذا، فقد أخطأ لأنه فعل بخلاف ضميره ومعرفته. ومن المعلوم أن كل ما يفعله الإنسان بخلاف ضميره يعدّ عليه خطأ. اعلم أن لفظة إيمان هنا يراد بها معرفة الضمير ويقينه، كما يظهر من القرائن.

الفصل الخامس عشر

من الرسالة إلى رومية

يتضمّن حثّه لهم على احتمال من كان ضعيفاً، وبيان كون المسيح بشراً اليهود حسب وعده وبشر الأمم أيضاً. واعتذاره لهم عن تغليظ كلامه السابق عليهم. ووعدته بالجيء إليهم.

نحن معشر الأقوياء

١١. ونحن معشر الأقوياء حقّ علينا أن نحمل ضعف الضعفاء ولا نرضي أنفسنا. أي إنّ المحبة الأخويّة تقضي على الأقوياء فينا والعلماء الفضلاء، بأن يحتملوا من هم دونهم، ويرشدوهم ويرفقوا بهم ولا يجعلوا لهم عثرة، بقياس أنّ الأعضاء في الجسد، قويّها يحمل ضعيفها. ومثل ذلك البناء. فإنّ القويّ فيه كالأعمدة والأساس يسند بقيّته. وهذه المحبة تقضي علينا أيضاً بالألّا نُسّر أنفسنا بما يسوء غيرنا، مثلاً بالألّا نأكل طعاماً هو عثرة لقريننا، كما مرّ في الفصل السابق.

١٢. لكن كلّ واحد منّا فليُرضِ صاحبه في الخير للبناء. أي ولكن الأولى أن نطلب في أعمالنا ما يسرّ قريننا ويفيده في أمر الخلاص، لا في ما يسرّه من الخطأ والشرّ.

١٣. فإنّ المسيح ما أرضى نفسه ولكن كما هو مكتوب إنّ عار معيّريك وقع عليّ. مز ٦٨-٦٩: ١٠. أي وقد علّمنا المسيح بعمله ما يجب علينا عمله في حقّ القريب لأنّه جلّ اسمه لم يعمل مشيئته ولا طلب في كلّ أعماله إلّا

مجد أبيه وخلص البشر. ولذلك حمل خطايانا، وذاق الآلام والموت، ترضيةً لله عما مسّه من الإهانة، ووفاءً عنا، واجتلاباً لرضاه تعالى إلينا، كما قال بلسان داود: إِنَّ عَارَ مَعِيرِكَ وَقَعَ عَلَيَّ. أي ما ارتكبه البشر من الخطأ والمساءة إليك يا الله أساءني كثيراً كأنه وقع عليّ. ولذلك اتّخذت على نفسي خطايا البشر لإصلاح شرفك وإهانتك.

٤٤. على أن كلّ ما كُتب قديماً إنّما كتب لتعليمنا ليكون لنا رجاء بالصبر وبغزاء الكتب. أي وإن يكن ما قاله داود في الآية المشار إليها إنّما قاله عن المسيح، إلّا أنّه يصحّ تطبيقه علينا وتحويله إلى إرشادنا وتهذيبنا، على أن كلّ ما كتب في الكتاب المقدّس إنّما كتب لتعليمنا، حتّى إذا قرأنا ما فيه من أخبار القديسين والأبرار، ولاسيّما قصّة المسيح، نتعلّم الصبر ونتعزّى ونتسلّى، وبتربّخ بنا رجاء السعادة الأبديّة، كما يأتي تبيان ذلك في رسالته إلى العبرانيّين.

٥٥. والله وليّ الصبر والعزاء يؤثيكم أن يفكر بعضكم نحو بعض فكر الاتّفاق بيسوع المسيح. أي، وإنّي أطلب من الله الواهب الصبر والعزاء أن يؤثيكم الاتّفاق ورفع النزاع والخصام من بينكم سواء كان في شأن التبرير أو بشأن المأكّل، وذلك بحسب ناموس المسيح وتعليمه، لأنّ المسيح لم يعلم بالخصام والشقاق بل بالاتّحاد والاتّفاق.

٦٦. لكي تمجّدوا الله أبا سيّدنا يسوع المسيح بضمير واحد وفم واحد. لأنّه متى اتّفق اليهوديّ منكم والأُميّ ولم يُعد نفور بين القويّ والضعيف، تصيرون في آرائكم وأعمالكم كأنكم واحد فيتمجّد الله بكم.

٧٧. من أجل هذا كونوا مقدّمين ومحتملين بعضكم بعضاً كما قدّمكم المسيح لمجد الله. أي والعالم منكم فليحتمل الجاهل ويهذّبه، والضعيف فليسنده القويّ، واليهوديّ فليقبل الأُميّ ولا ينفر منه اقتداءً بالمسيح الذي احتملنا وقبلنا وجعلنا إخوة له، لitemجّد أبوه بنا. هكذا أنتم، فإنكم بمثل ذلك تمجّدون الله وتكرّمونه.

٨٨. فأقول إنّ المسيح خدم الختان لصدق الله ليحقّق مواعيد الآباء. يعني أنّ المسيح خدم اليهود أهل الختان، حيث بشرهم ووعظهم وعلمهم حقائق إنجيله؛ تصديقاً لله أبيه في ما وعد به الآباء مثل إبراهيم وداود وغيرهما. ومراد الرسول بيّن في هذه الآية وما يليها، كيف قبل المسيح اليهود والشعوب. أمّا قبوله لليهود فلا إنجاز ما وعد به الآباء. وأمّا قبوله للشعوب فعن رحمة منه. وبذلك بيّن لهم الرسول الداعي إلى اتّفاقهم وائتلافهم، كأنّه ينهى الشعوب عن مخاصمة اليهود واحتقارهم، من حيث إنّ المسيح ظهر منهم وبشرهم فيحقّق الاعتبار. وينهى اليهود عن احتقار الشعوب، من حيث إنّ المسيح اتّخذهم شعباً كما يلي.

٩٩. والأُمّ يمجدون الله على الرحمة التي حصلت لهم كما هو مكتوب. لذلك أعتزف لك في الأُمّ وأرثّل لاسمك في الشعوب. يعني أنّ الأُمّ يحقّق عليهم أن يحمّدوا الله على أنّه اتّخذهم شعباً له ودعاهم إلى الإيمان لا عن وعد منه مثل اليهود بل من فضله ورحمته كما قال داود (مز ١٧): إنّي أعتزف لك يا الله وأشهر اسمك في الأُمّ وأحمدك بين الشعوب على ما تفضّلت به عليهم من النعمة والدعوة إلى الإيمان.

١٠٠. وقال أيضاً. الكتاب المقدّس (تث ٣٢). افرحوا أيّها الأُمّ مع شعبه. ١٠١. وقال أيضاً (في مز ١١٦-١١٧): «سبّحوا الربّ أيّها الأُمّ أجمعون وعظّموه يا جميع الشعوب. ١٢٢. وقال إشعيا يكون أصلّ يسى والذي يقوم يدبّر الأُمّ وإياه ترجو الشعوب. (ف ١١). يعني أنّ المسيح يظهر من نسل يسى أبي داود الملك، ويتولّى على الأُمّ ويكون ملكاً لهم. والشعوب ينتظرونه ويرجونّه بحسب كونه مخلصهم وفاديهم. ومراد الرسول في كلّ هذه الشواهد، إقناع اليهود بدعوة الأُمّ وإطلاع الأُمّ على ما أوتوه من فضل رحمة الله.

١٣٣. وإله الرجاء يملأكم من كلّ سرور وسلام بالإيمان لتتفاضلوا برجائه بقوة الروح القدس. أي وأطلب من الله الذي هو مصدر رجائنا وصائنه

ومكمله، أن يزيل من بينكم كلَّ انشقاق وخصام في أمر الإيمان، ويؤتيكم كلَّ سرور واتفاق، حتى لا يعود اليهود منكم ينازعون الشعوب، ولا الشعوب يخاصمون اليهود، ليزيد رجاؤكم بقوة الروح القدس. لأنه متى توطد بينكم السلام والسرور بتأييد الروح القدس، يتوطد فيكم الرجاء أيضاً.

خدمة بولس الرسول

١٤١. إني واثق يا إخواني أنكم ممتثلون صلاحاً وكاملون بكل علم وقادرون أن تعظوا غيركم. ١٥١. لكنني قد اجترأت عليكم قليلاً في ما كتبت إليكم لأذكركم بالنعمة التي أوتيها من الله. أي إني أوضحت لكم ما أوضحت في هذه الرسالة، لا تعليمًا لكم لأنكم تعلمون ذلك لا بل تستطيعون أن تعلموه. ولكن تطفئوا لكم وتنبيهًا وإتمامًا لواجبات رسالتي. تأمل حشمة الرسول وحكمته، كيف لطف كلامه في نصيحته لهم إيقاعًا لها في نفوسهم، وبذلك يعلم الرعاة أن يقلدوه في وعظ رعاياهم ونصحهم ليكون كلامهم مقبولاً مفيداً.

١٦١. لكي أكون خادماً ليسوع المسيح في الأمم وأخدم إنجيل الله ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بروح القدس. هذا تفسير للنعمة التي أوتيها من الله، وهي نعمة الرسالة والتبشير بالإنجيل بين الأمم، لكي يرضوا الله ويتقدسوا بالروح القدس بالأعمال الصالحة المقدسة، فيكونوا لدى الله قرباناً مقبولاً، وتكون أعمالهم ضحايا مقدسة، على ما قال القديس أغوستينوس. قال الذهبي: «فالمراد بقربان الأمم رجوعهم إلى الله وتقربهم منه تعالى، بقياس ما دعا أجسادهم ذبيحة حيّة»، كما مرّ في ف ١٢. وقد دعا في غير محلّ الصدقة قرباناً، كما دُعي انسحاق القلب ذبيحة. وأمّا استدلال كلوينوس بقول الرسول، على أنه لا ذبيحة إلا ذبيحة التبشير، فباطل من وجه أن الكلام هنا بين كونه من باب الاستعارة، والاستعارة لا تنفي الحقيقة بل تستلزمها وتوجبها. هذا وكون الأوخريستيا هي الذبيحة الحقيقية، بتأييد بما ورد من قول الرسول في ١ كو ١١: ٢٠ وفي عب ٧ و١٢.

١٧١. فإن لي فخراً عند الله ليسوع المسيح. ١٨١. لأنني لست أجسر على أن أقول عمّا لم يعملهُ المسيح على يدي لطاعة الأمم بالقوة والفعل. أي، فيحقّ لي أن أفخر، بكوني خادماً ليسوع المسيح وإنجيله ورسول الأمم وبشيرهم، وبكوني لا أدعي لنفسي عمل غيري ولا أقول ولا أخبر إلا بما فعله المسيح على يدي. فافتخاري حقّ وكلامي صدق.

١٩١. وبقوة الآيات والعجائب وبقوة روح الله حتى إنني جلت أورشليم إلى اللوريقوم وملأت بشارة المسيح. أي إنه بشر الأمم وردّهم إلى طاعة المسيح بالقول، حيث نشر عليهم الإنجيل بالكمال والملاءمة. وبالفعل، إذ عمل بينهم عجائب وآيات كثيرة، مثل طرد الشياطين وشفاء المرضى وإقامة الموتى، وجلب إليهم مواهب باهرة، مثل النبوة والألسنة وتمييز الأرواح وتفسير الأقوال، وغير ذلك ممّا يعدّده في ١ كو ١٢. وإلى هذه أشار هنا بقوله «بقوة روح الله». وقوله «ملأت» بمعنى أنجزت وكملت، أو شهرت ونشرت. وقوله «من أورشليم إلى اللوريقوم» بين من حيث ابتدأ رسالته إلى حيث انتهى. فالبلدان التي طافها هي أورشليم وأرايا ودمشق وأنطاكية وسلوقية وقبرس وبمفيلية وبسيدة ولوقانية وسوريا وشيشيليا وفروغيا وغلاطية وميسيا وترايا وأخاثة وأبيرا واللوريقوم أي بوزانيا أو بشناق. فهذه وغيرها جابها الرسول كالصاعقة المنقضة، وبشر فيها إلى السنة الثامنة والخمسين للمسيح، التي يُظنّ أنه كتب فيها هذه الرسالة. وأمّا موته فكان سنة ٦٩. قال الذهبي: «لا تكاد تُعدّ البلدان التي طافها والشعوب الذين بشرهم». وأمّا هو فحصرهم وجمعهم بكلمة «من أورشليم إلى اللوريقوم».

٢٠١. وقد اجتهدت أن أبشر لا حيث دُعي اسم المسيح لئلا أبني على أساس غريب. ٢١١. ولكن كما هو مكتوب أن الذين لم يخبروا عنه يروونه والذين لم يسمعوا يطيعونه. أي وفي رسالتي، لم أبشر حيث بشر غيري من الرسل، تعجلاً لنشر بشارة الإنجيل، وإنجازاً لما تنبأ به إشعيا عن إيمان الأمم حيث قال: إن الذين لم يخبروا عنه (٥٢: ١٥). وقوله «أساس غريب». أي غير ما وضعه هو. ولم يودّ أن يبشر حيث بشر غيره لما تقدّم، مع أنه بشر في دمشق

وقد كان فيها مؤمنون حيث ذهب ليأسرهم. وبشّر في روميه، وكتب إليهم هذه الرسالة وقد بُشّروا من غيره، ولكن لم يكن تبشيرهم هذا، بحسب مجرد كونه رسولاً، إذ شأن الرسول أن يؤسّس ويغرس وينشئ، بل بحسب كونه ساقياً ومُثَبِّتاً ومعزّياً، كما قال في بدء هذه الرسالة. وفي ما يلي يقول: إنَّ انطلاقه إلى روميه يكون مروراً بهم لا للإقامة عندهم.

مشاريع بولس الرسول

٢٢٢. ولذلك مُنعتُ مراراً كثيرة أن آتيكم. أي إنني أحببت مراراً أن أجيء إليكم، ولكن عاقني أمر الشعوب الذين ما بلغهم بعدُ خبر الإنجيل.

٢٣١. وأما الآن فإذ لم يبقَ لي موضع في هذه البلدان وكنت منذ سنين كثيرة مشتاقاً إلى القدوم إليكم. أي وإذ لم يتبقَ مكان من هذه البلدان، أي أخائية ومقدونية خالٍ من بشاراة المسيح، لأنني طفتها وبنيت فيها كنائس وأقيمت فيها مطارنة وخوازنة كما مرّ في ١٩٩. فصرت آتيكم عن قليل لأروي شوقي من رؤيتكم، كما يأتي في الآية بعدها. قال الذهبي: «إنَّ الرسول ختم رسالته بما ابتدأها» من إيضاح شوقه إلى الرومانيين.

٢٤١. فمتى توجّهتُ نحو إسبانيا أرجو أن آتي وأراكم وتصحبوني إلى هناك بعد أن أتمتع برويتكم قليلاً من كثير. أي متى سافرت إلى إسبانيا أمرّ بكم وأقيم عندهم، قدر ما تأذن لي الفرصة لأروي قليلاً من كثرة شوقي وظماً فؤادي برويتكم. ثم يرافقني بعضكم إلى إسبانيا. يظهر من أع ٢١ أنَّ الرسول ما سافر في وقته إلى إسبانيا، كما قال هنا، لأنَّه لما قدم أورشليم أمسكه اليهود وأرسلوه موثقاً إلى رومية. فبقي فيها سنتين، وأما بعدُ، فعلى قول الحجريّ وتيريني، ذهب إلى إسبانيا بدليل أنَّه عاش بعد هذا الوثاق ثماني سنين. ولم تذكر عنه الأعمال شيئاً. فإنَّ وثاقه المشار إليه كان سنة ٦١ وقتله كان سنة ٦٩. وعلى قول القديس توما وسوتوس والبابا جلاسيوس وغيرهم. لم يذهب ولكلِّ حججٍ وأدلةٍ أوردها بارونيوس في تاريخ سنة ٦١.

٢٥١. وأما الآن فإنني منطلق إلى أورشليم لأخدم القديسين. أي لأبلغ الصدقات التي جمعتها من مقدونية وأخائية إلى الفقراء والمساكين في أورشليم، من الذين باعوا أرزاقهم ومقتناهم وسلّموا ثمنها للرسول. ثم سلب باقي ما كان لهم لإيمانهم بالمسيح. وإلى ذلك يشير في عب ١٠.

٢٦١. لأنَّه قد أحبَّ هؤلاء الذين في مقدونية وأخائية أن تكون لهم شركة مع المساكين القديسين الذين في أورشليم. ٢٧١. فأحبُّوا لأنَّه واجب عليهم على أنَّه إن كانوا شاركوهم في الروحيات فيجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات. أي من حيث إن اليهود الذين في أورشليم أشركوا الأمم معهم في الإيمان بأن أرسلوا إليهم واعظين ومبشرين ورسلاً فقد وجب على الشعوب أن يشركوهم معهم في الجسديات بأن يعطوهم جانباً من أموالهم لمعيشتهم.

٢٨١. وإذا تَمَّتْ هذا الأمر وختمتُ لهم هذا الثمر أمرُّ بكم ماضياً إلى إسبانيا. وفي اليونانية: وسلّمت إليهم هذا المختوم. وهو إشارة إلى أنَّه حمل الصدقات إلى أورشليم في صرة مختومة، دفعاً للشبهة. قال الذهبي: «وتسميته الصدقة ثمرًا يدلُّ على أنَّ الصدقة ثمرة نافعة للمتصدّق». قال الحجري: «وهذه الصدقات دعت ثمرًا لأنَّها ثمرة الروحيات التي بذلها اليهود للشعوب»، كما مرّ قبله. راجع ما قيل في ٢٤١ لجهة مضيئه إلى إسبانيا.

٢٩١. وإنني عالم أنني متى آتيتكم فآتيكم بملء بركة إنجيل المسيح. يعني أنَّه بذهابه إليهم وتردّده معهم وتفقيهِه إياهم، يتعرّون ويترسّخون في الإيمان ويزدادون علماً ومعرفة، على ما فسّر أنسلموس وأوريجانوس.

٣٠١. فأسألكم يا إخوتي بسيّدنا يسوع المسيح أن تتعبوا معي بالصلاة عني إلى الله. ٣١١. لأنجو من العصاة الذين في اليهودية وتقبل حسناً الخدمة التي أنا مبلّغها للقديسين في أورشليم. قد كان الرسول دارياً بما أصابه من اليهود والغير المؤمنين لما جاء أورشليم، إذ أوثقوه وأرسلوه إلى رومية كما جاء في أع ٢١. ولذلك طلب صلوات الرومانيين، وطلب صلاتهم أيضاً لتكون الصدقة التي جمعها مقبولة لدى اليهود المؤمنين. لأنَّ هؤلاء أيضاً كان متهمًا

عندهم ومكذوباً عليه، بأنه عدوهم ومحبٌ للأُمم. فإن كان الرسول ساغ له أن يستنجد صلوات الرومانيين، فأولى أن يسوغ استمداد صلوات القديسين. وأولى أن يسوغ لهم، أي الرومانيين، أن يستنجدوا صلاته. وإن ساغ لهم أن يستنجدوا صلاته، وهو في أرض الشقاء هنا، فأولى أن يسوغ لهم أن يستغيثوه ويضرعوا إليه وهو في دار السعادة مالِكاً مع المسيح.

٣٢٦. لأقدم إليكم مسروراً بمشيئة الله وأستريح معكم. ٣٢٧. وإله السلام يكون مع جميعكم آمين. أي وإذا تمَّ ذلك، أقدم إليكم مسروراً بتمامه وانتهاء أتعابي، وأستريح برويتكم، وأنسر وأنتم تسرون برؤية من سمعتم عنه أشياء كثيرة. وحيث طلبت صلواتكم فأصلي عنكم إلى الله ليؤتيكم السلام، ويرفع من بينكم النزاع والخصام.

الفصل السادس عشر

من الرسالة إلى رومية

يتضمَّن وصيَّته لهم بقوبا مبلَّغة هذه الرسالة، وسلامه عليهم، وتحذيره إياهم من الذين يشبُّون نار الخصام.

توصيات وسلامات

١٦. أستودعكم فوبا أختنا التي هي خادمة الكنيسة في غنغرا. فوبا هذه التي يوصي بها الرسول، كانت من النساء اللواتي كنَّ يخدمن المؤمنات المريضات ويلتمسن صدقة للفقيرات، لأنَّ اليونان كانوا يختارون من النساء بعضاً لتعليم النساء وتهذيبنَّ وبعضاً لخدمة المريضات وإسعاف الفقيرات. ودعاها الرسول أختاً، نظراً إلى الإيمان والديانة، لأنَّ المؤمنين كلَّهم إخوان. وهي كانت خادمة في كنيسة غنغرا التي هي ميناء قرنتية، وكان الرسول فيها وقتئذٍ على أهبة السفر إلى أورشليم. ولكن لم تكن فوبا خادمة للمذبح في الكنيسة المذكورة، بل في غير خِدم، مثل حراسة مداخل النساء إلى الكنيسة (لأنَّ مجالس النساء في الكنيسة كانت منفصلة عن مجالس الرجال، وكذلك مداخلهنَّ كانت غير مداخل الرجال) ومثل تعليم النساء ومعاونتهنَّ في المعمودية والتبثيت. فهذه ذهبت إلى رومية لحاجاتٍ لها وأخذت هذه الرسالة معها.

٢٦. لتقبلوها بالربِّ كما يحقُّ للأطهار وتقَدِّموا لها كلَّ ما تسألونكم لأنَّها كانت قائمة بأمر كثيرين وبأمري أيضاً. أي وهي تستحقُّ حسن القبول منكم والاهتمام بأمرها، لأنَّها مضييفة للغرباء ومحافظة على الذين ينزلون عندها خوفاً

من المضطهدين. وهي قد أضافتنى وأكرمت مثواي، فيحق لها عليكم أن تكرموها كما يحق للمؤمننة على إخوانها.

٣١. اقرأوا السلام على فرسقيلا وأقولاس المعاوين لي يسوع المسيح. فرسقيلا امرأة أقولاس، وقدمها عليه لأنها آمنت قبله، وشرف الإيمان أرفع من شرف الطبيعة، كما قال ليرانوس. وكلاهما كانا يهوديين، وكان الملك كلوديوس قد طردهما من رومية مع اليهود. ثم رجعا إليها فأهداهما الرسول سلامه، لأنهما كانا يعاونانه بأمر الإيمان (طالع أع ١٨).

٤٢. فإنهما بذلا أعناقهما دون نفسي ولست أنا وحدي أشكرهما بل كل جماعة الأمم أيضاً. يعني أنهما عرضا نفسيهما لمخاطر كبيرة لحاماته والحفاظة عليه في قومة ديمتريوس عليه في أفسس (أع ١٩). أو في القيام في قرنتية. فلأجل ذلك ولأجل اهتمامهما برّد الشعوب إلى الإيمان واجتهادهما على نشر الإنجيل، أوجب الثناء والشكر عليه وعلى الشعوب.

٥٠. وقرأوا السلام على الجماعة التي في بيتهما. أي عائلتهما أو المؤمنين النازلين في بيتهما. قال كروتوس: ويتصادق أنه لما كتب الرسول هذه التحيات لم يكن للؤمنين مجامع حافلة ولا كهنة، لأنهم كانوا قد رجعوا من المنفى عن قريب، وإلاّ لسلم الرسول على الكهنة وأرباب المجمع. قال ترتوليانوس: «وكان وقتئذ كل بيت كنيسة». وعلى بنطوس حبيبي الذي هو بكر آخائية بالمسيح. أي أول من آمن بالمسيح من آخائية. قال بعضهم إن بكر آخائية إسطفانوس لا بنطوس على ما ورد في ١ كو ١٦ وتوفيته، ولعل بنطوس هو ابن إسطفانوس ولما آمنا كلاهما معاً دُعيا بكر آخائية أي أول من آمنوا من آخائية بالمسيح. وفي اللاتينية: بكر آسيا. وموقع آخائية في بلاد آسيا، كما قال تيريني.

٦٠. وبلغوا السلام مريم التي تعبت بأمركم كثيراً. أي تعبت في انتشار الإيمان. وعلى ظن بعضهم أن مريم هذه هي التي قال فيها القديس أغناطيوس في كتابته إليها، إنها من خاصّة الله وأعقل النساء.

٧٠. اقرأوا السلام على أندرونيقوس ويوليا نسبي اللذين سببا معي وهما معروفان بين الرسل وقد تقدّماني بالمسيح. أي آمنا قبله، وكانا من اليهود، وعلى ذلك دعاهما نسيبيه، كما دعا اليهود أنسابه في ف ٩. ودعاهما معروفين بين الرسل، أي بين المبشرين بالإنجيل، لأن الوثنيين والغير المؤمنين كانوا يسمّون كل مبشر بالإنجيل رسولاً، مثل شيلو (أو: سيلا) وبرنابا وغيرهما. وقوله: «اللذين سببا معي» يعني كانا معه في أحد وثاقاته.

٨٠. وقرأوا السلام على أمفلاس حبيبي في الرب. ٩٠. اقرأوا السلام على أوربانوس مساعدنا في المسيح. أي في نشر إيمان المسيح. وعلى أوسطاخوس حبيبي. ١٠٠. اقرأوا السلام على أفلي المختار في ربنا. ١١٠. اقرأوا السلام على أهل بيت أرسطابلوس وعلى هيريدون نسيبي وعلى أهل بيت نرقيسوس الذين هم في الرب. أي الذين هم مؤمنون. ١٢٠. اقرأوا السلام على أطريفينا وأطريفاسا التعبتين في الرب. اقرأوا السلام على برسيس الحبيبة التي تعبت كثيراً في الرب. هؤلاء النساء يتعبن في أمر الإنجيل، بضيافة الغرباء وتعليم النساء وغير ذلك، كما تقدّم.

١٣٠. اقرأوا السلام على روفوس المنتخب في الرب وعلى أمه التي هي أمي. دعاها أمه اعتباراً لفضلها واحتراماً لروفوس، ونظراً إلى ما أظهرته له من فرط المحبة والإكرام.

١٤٠. اقرأوا السلام على أسونقريطوس وأفليفون وهما وبطروباس وهرمي والإخوة الذين معه. قال أوريجانوس: وأظن هرمي (أو: هرماس) هذا صاحب كتاب الراعي المأخوذ به عند القدماء.

١٥٠. اقرأوا السلام على فيلالاغوس ويوليا وعلى ناريوس وأخته ولولومباس وعلى جميع من معهم من الأَطهار. قال الذهبي: «إن الرسول أهدى السلام لكثيرين في هذه الرسالة بخلاف غيرها، لأنه لم يكن رأى الرومانيين».

١٦٦. ليسلم بعضكم على بعض بالقبلة المقدسة. وهذا السلام كان عند المسيحيين وقتئذٍ، دلالة على المحبة والإخاء والمساواة، فكانوا آخر صلواتهم يتلاثمون قبل تناول الأوخارستيا. ولكن لم يكن ذلك بين الرجال والنساء، بل بين كل فريق على حدة، إذ كانت مجالس النساء منفردة عن مجالس الرجال، كما تقدّم. وهذا السلام على النوع المذكور، بقي زماناً طويلاً في الكنيسة. ودعا الرسول «قبلة السلام» «مقدسة» لأنها كانت عن خلوص محبة مسيحية. ولما كان الرسول لا يمكنه أن يقبل الرومانيين قبلة السلام، كلّفهم أن يقبل أحدهم الآخر بدلّه. وجماعات كنيسة المسيح كلها يقرئونكم السلام. أي كل المؤمنين في كنائس غرقيا وآسيا من الذين أخبرتهم بأنني أكتب إليكم يسلمون عليكم. اعلم أن المبتدعين اتخذوا عدم تسليم الرسول على القديس بطرس رسول رومية وحبرها دليلاً، على أن القديس بطرس لم يذهب إلى رومية ولا أقام فيها. ولكن هذا الدليل قاصر ومدفوع، بأن بطرس وقتئذٍ لم يزل في المنفى مع باقي اليهود، إذ كان الملك كلوديوس قد نفاهم عن رومية من قبل ببعض سنين. فكان القديس بطرس يطوف غير أماكن من إيطاليا وإسبانيا وأفريقيا وبريطانيا وقيم فيها كنائس، مشتغلاً بأمر الإنجيل، كما قال البابا إينوشنسيوس الأول في كتابه إلى ديشنشيس وبارونيوس وبلرمينوس وغيرهم. على أنه لو كان القديس بطرس في رومية حينئذٍ، لأحمد ما نشأ بين اليهود والشعوب من الخصام والمنازعة، وما كان بولس تعرّض للكتابة إليهم، وعندهم رسولهم العلامة الشهير. وأما عدم كتابة بطرس إليهم في هذا الشأن، فلعله من حيث لم يكن بلغه ذلك لبعده عنهم. هذا ويحتمل أن الرسول كتب إلى القديس بطرس كتابة خاصة.

توقيع أول وتنبيهات

١٧٧. وأنا أسألكم يا إخواني أن تحذروا الذين يُحدثون الشقاكات والشكوك خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه وابتعدوا عنهم. عنى بهؤلاء الرسل الكذبة الذين كانوا يعلمون بحفظ الشريعة القديمة، على ما كان فيها من العبادات، ويكلفون المؤمنين من الشعوب حفظها.

١٨٨. فإن هؤلاء لا يخدمون سيّدنا يسوع المسيح بل بطنهم ويضلّون قلوب السدج بالكلمات الطيبة والبركات. أي إنهم لا يبغون في تعليمهم وتبشيرهم إلا رغد المعيشة لأن بطونهم آلهتهم. وما غرضهم بعد ذلك إلا انقياد الناس إليهم؛ فيمّوهون في الكلام ويزخرفون اختلاباً لقلوب الأميين، وهذا دأب الهرطقة والمبدعين في هذا الزمان.

١٩٩. لقد اشتهرت طاعتكم لكل إنسان فأنا مسرور بكم أن تكونوا حكماء في الصالحات وودعاء في السيئات. أي قد شاع في الدنيا خبر انقيادكم إلى إيمان المسيح. ففرحت بذلك أي فرح. فأريد منكم أن تثبتوا على ما بدأتم، بأن تكونوا عقلاء ذوي حذق في الصالحات، لئلا تنخدعوا من زخرفة المضللين، وتكونوا جهلاء في السيئات، كأنكم لا تعرفون الشر ولا تعلمون طريق السوء.

٢٠٠. والله ولي الصلح يسحق الشيطان عاجلاً تحت أقدامكم. لأنه خزاه الله قد وسوس في عقول المضللين وحركهم، إلى أن نصبوا لكم حبال الضلال والطغيان. ونعمة سيّدنا يسوع المسيح تكون معكم. ٢١١. يقرئكم السلام طيموتاوس العامل معي ولوقيوس وياسون وسوسيپطرس أنسبائي. طيموتاوس هو الذي كتب إليه الرسول رسالتين وكان معاوناً له. ولوقيوس على ما رأى أوريغانوس هو لوقا الإنجيلي، وصادق عليه كثيرون. وياسون وسوسيپطرس كانا من اليهود.

٢٢٢. وأقرئكم السلام أنا طرطيوس الذي كتبت هذه الرسالة بالرب. والرسول كان يملئ عليه أو أنه بيّضها عن خط الرسول. ويظنّ بعضهم شيلو (أو: سيلا) وهو الذي صار أسقفًا على إيكونيا.

٢٣٣. ويقرئكم السلام غايوس الذي يضيفني والبيعة كلها ويقرئكم السلام أرسطوس خزين المدينة وقوراتوس الأخ. «غايوس» كان الرسول نازلاً عنده، وكان قورنثياً والرسول عمّده كما قال في ١ كو ١: ١٤. وهو الذي مدحه القديس يوحنا الرسول في رسالته الثالثة على ضيافته، كما قال بعضهم.

وأرسطوس كان قهرماناً في قرنتيه، ثم صار أسقفاً في فيلبسيوس ومات شهيداً. وقوراتوس يظنُّ بعضهم أخا أرسطوس لنعته بالأخ، ولكنَّ الأخ هنا عند القديس بولس بمعنى المؤمن أي الأخ في الإيمان.

المجدلة

٢٤آ. والله الذي هو قادر أن يثبتكم حسب إنجيلي الذي أذيع عن يسوع المسيح بموجب إعلان السرِّ الذي كان مستوراً منذ الدهر. ٢٥آ. وظهر في هذا الزمان من كتب الأنبياء بأمر الله لجميع الأمم لطاعة الإيمان. يريد بإنجيله بشارته بالمسيح. ويريد بالسرِّ المستور تجسُّد ابن الله لأنَّه كان خفياً منذ الأزل. ثمَّ ظهر واشتهر بتبشير الرسل بحسب نبوءات الأنبياء لجميع الأمم فأمنوا.

٢٦آ. الذي هو الحكيم وحده. له يسوع المسيح الكرامة والمجد إلى أبد الآبدين. ٢٧آ. نعمة سيِّدنا يسوع المسيح مع جميعكم آمين.

رسالة مار بولس الأولى إلى أهل قورنثية